الجامعة الإسلامية ــــ غزة

عمادة الدراسـات العليـا

كلية أصـــول الديـــن

قسم التفسير وعلوم القرآن



أثر الفكر الصوفي في التفسير

دراسة ونقد

إعداد

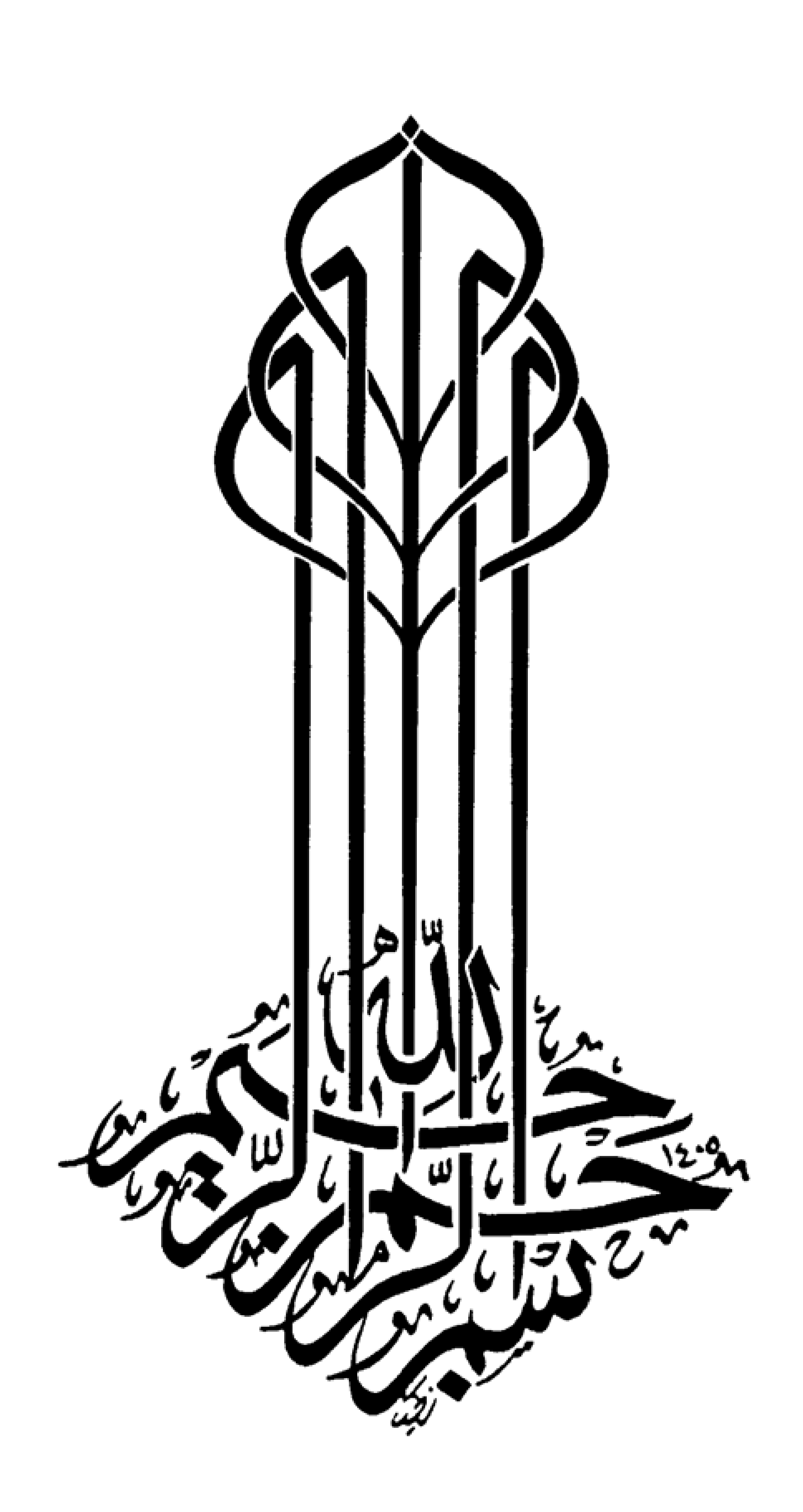
الطالب: بهاء حسن سليمان زعرب

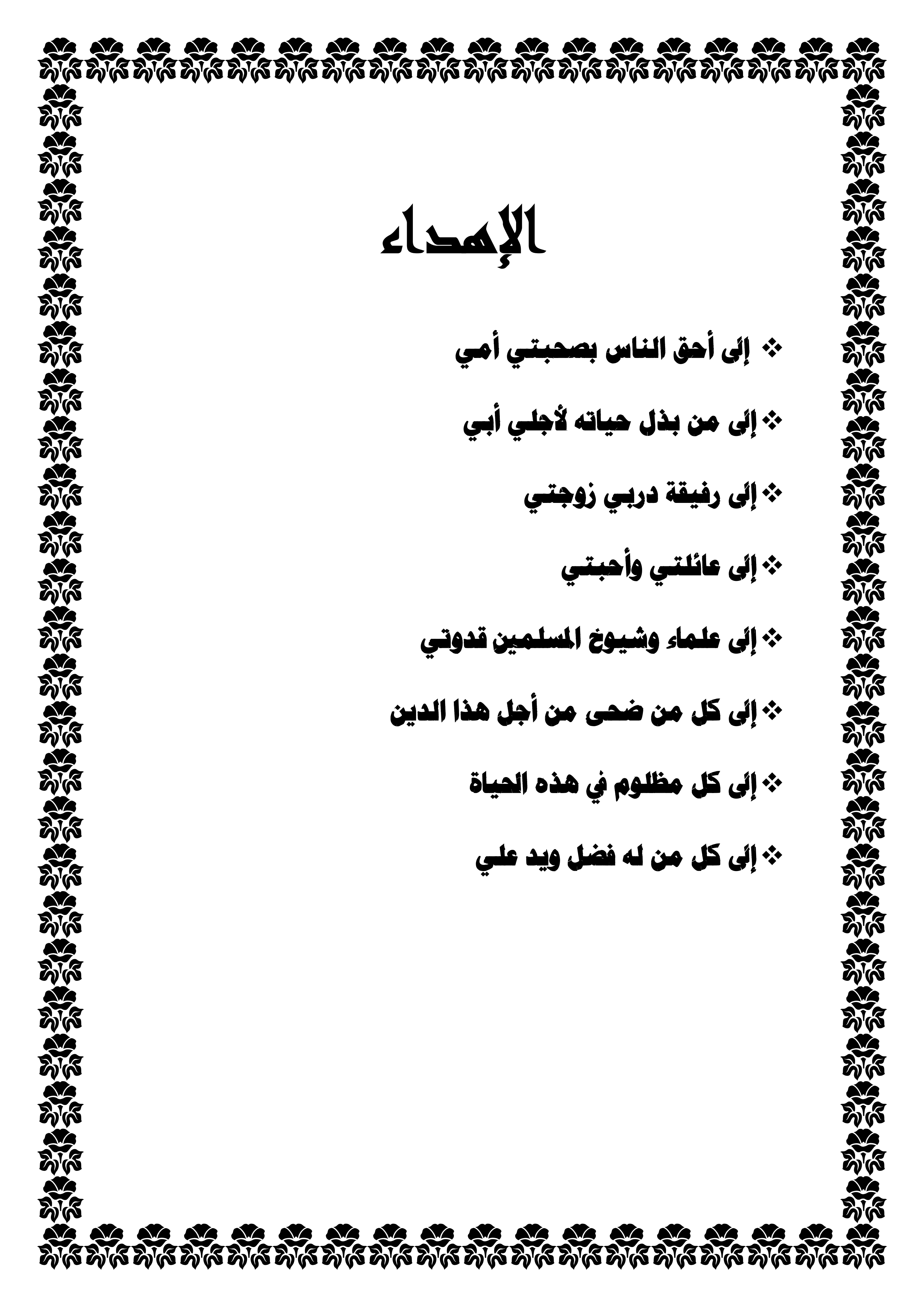
إشراف

الدكتور: رياض محمود قاسم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1434 هـ – 2012 م


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

- إلى أحق الناس بصحبتي أمي
- إلى من بذل حياته لأجلي أبي
- إلى رفيقة دربي زوجتي
- إلى عائلتي وأحبتي
- إلى علماء وشيوخ المسلمين قدوتي
- إلى كل من ضحى من أجل هذا الدين
- إلى كل مظلوم في هذه الحياة
- إلى كل من له فضل ويد علي

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد ﷺ، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [**النحل:٥٣**]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢] ، فاللهم لك الحمد أولاً وآخرا، لولا أنت ما اهتدينا ولا وفقنا، ويقول النبي ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[(١)]، فاعترافا لأهل الفضل بفضلهم، وانطلاقاً من الهدي النبوي، أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد لي يد العون، وأخص بالشكر سعادة الدكتور: **رياض محمود قاسم** الذي تشرفت بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، والذي أيضاً شجعني على المضي قدماً في كتابة هذا الموضوع، وأشكره على توجيهاته وملاحظاته الطيبة، فلم يأل جهداً في إبداء النصح لي. فجزاه الله عني وعن المسلمين خيراً.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل والامتنان للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة: فضيلة الأستاذ الدكتور: **محمود يوسف الشوبكي** –حفظه الله–، وفضيلة الدكتور: **وليد محمد العمودي** –حفظه الله– اللّذين تفضلا بقبولهما مناقشة هذه الرسالة، والشكر موصول أيضاً لأعضاء الهيئة التدريسية الكرام بكلية أصول الدين الذين تتلمذت على أياديهم، فجزاهم الله خير الجزاء، والشكر أيضاً للجامعة الإسلامية التي احتضنتني وأتاحت لي الفرصة في إكمال دراستي، وأخص العاملين في الدراسات العليا، والعاملين في المكتبة المركزية بالجامعة، وأختم بشكري لأهلي الذين قدموا لي يد العون، وأخص منهم والدي العزيزين اللّذين وقفا بجانبي معنوياً ومادياً، ولكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح١٩٥٤، (٣٣٩/٤). وصححه الألباني.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونصلي ونسلم على أفضل خلقه نبينا محمد ﷺ، أمرنا الله تعالى بامتثال أمره ولزوم طاعته، وحذرنا من عصيانه ومخالفته، فقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[الحشر:٧]، وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] أما بعد:-

فإن من أعظم نعم الله على هذه الأمة، هي كتاب الله، فهو دليلها ونورها، وفيه فلاحُها وعزها، خير كتاب أنزل، على خير نبي أرسل، بشيرا ونذيرا لخير أمة أخرجت للناس.

وقد تجلت خيرية هذه الأمة في تعظيمها لكتاب ربها، والعناية به في مظاهر كثيرة، ومناحٍ متعددة، منها عناية العلماء بتفسيره، وشرح معانيه، وبيان أحكامه....

وقد كثرت هذه التفاسير، وتنوعت واختلفت فيما بينها في المنهج والعرض، وكان لهذا الاختلاف أسبابه ودوافعه، منها ما يتعلق باختلاف المفسرين في مذاهبهم، ونزعاتهم الفكرية، ومنها ما يتعلق بأمور مختلفة ظهرت في تاريخ الإسلام، مثل الإسرائيليات، وعلم الكلام، وظهور الفرق المختلفة التي حرَّفت معاني الآيات نصرة لمذهبها وأفكارها، وغير ذلك من الأمور

وكان من هذه الأمور التي كان لها تأثيرٌ قويٌ في التفسير خصوصا، وعلوم الشريعة عموما (التصوف).

من هنا، فقد جعلت هذه الرسالة العلمية في دراسة هذا الموضوع، ومدى تأثيره على علم التفسير، إيجابا أو سلبا، ومدى تأثير الأفكار الصوفية والنزعة الصوفية في بيان معاني الآيات واستنباطاتها، وأسميته (أثر الفكر الصوفي في التفسير. دراسة ونقد).

وهذا جهد مقل في خدمة التفسير وتنقيته. أرجو به عفو الله وثوابه، والله ولي التوفيق.

وسأبين فيما يلي: أهمية الموضوع، واسباب اختياره، واهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

أولاً: أهمية الموضوع:

١. تندرج هذه الدراسة تحت موضوع الدخيل على التفسير، والذي يبحث في بيان الأمور الدخيلة على التفسير ومدى أثرها عليه، مثل: الإسرائيليات، وعلم الكلام، والفلسفة، النزعة الصوفية، وغير ذلك من الأمور.

٢. تبين هذه الدراسة أثر النزعة الصوفية عند بعض المفسرين على آرائهم وأقوالهم في تفاسيرهم.

٣. تحذير القارئ من بعض الشطحات أو الأخطاء التي وقع فيها بعض المفسرين بسبب نزعتهم الصوفية، أو تأثرهم بأقوال بعض المتصوفة.

٤. تبين موقف المفسرين من المتصوفة وأفعالهم وأحوالهم.

٥. ارتباط الموضوع بالصوفية –والتي تعد من أكثر الفرق انتشاراً في الأمة الإسلامية–، وبيان صلتها بعلم التفسير.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في خدمة علم التفسير، وبيان أهم العوامل التي أثرت فيه، والأفكار الدخيلة عليه. وتنقيته منها.

٢- تعد التفسيرات الصوفية للآيات القرآنية مستندا مهماً لهم في تبرير كثير من أقوالهم وأفعالهم وبدعهم وشطحاتهم. مما يوجب علينا مناقشة هذه التفسيرات، وتوضيح المعنى الصحيح للآية، وذلك له دوره في نشر الحق ومحاربة البدعة.

٣- حاجة المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم، يتناول الموضوع من جوانبه المختلفة، ويجمع شتاته، كما أن هناك بعض المباحث تتعلق بهذا الموضوع وتحتاج إلى بحث ودراسة.

ثالثاً: أهداف البحث:

١- توضيح أثر النزعة الصوفية لدى المفسر في تفسيره، في ترجيحه للأقوال، وفي تسويغه لبعض الاستنباطات من الآيات، إلى غير ذلك من الأمور.

٢- الرد على الفهم الخاطئ عند بعض الصوفية لبعض الآيات القرآنية، والذي أوقعهم في كثير من البدع والمخالفات.

٣- بيان أثر علم التفسير على واقع الأمة، ودوره في إصلاح الأمور وتقويمها.
٤- بيان دور المفسرين وجهودهم في محاربة البدع، والذب عن الدين.
٥- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث تفسيري محكم يتناول أثر الفكر الصوفي على التفسير .

رابعاً: الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الكتب والرسائل المؤلفة حول موضوعي التصوف والتفسير، غير أني لم أقف على مؤلف مستقل يجمع شتات الموضوع، ويسلط تركيزه في بيان مدى تأثير الأفكار الصوفية أو النزعة الصوفية على علم التفسير، إلا أن هناك بعض الدراسات التي ناقشت عدة محاور في الموضوع، وسأذكر بعض هذه الدراسات مقسمة حسب المحاور الموضوعية التي تدور حولها.

أولاً: دراسات حول موضوع التفسير الصوفي بنوعيه النظري أو الإشاري:

١. الدراسات في مناهج المفسرين التي تعرضت لهذا الموضوع، ومن أهمها: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، تقدم به للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن والحديث سنة ١٩٤٦م، وغيره.
٢. رسائل وبحوث حول التفسير الإشاري، وهي كثيرة، أذكر منها: التفسير الإشاري، لعمر بن سالم الخطيب، رسالة ماجستير، تفسير الصوفية وموقف العلماء من اتخاذه منهجاً في التفسير، أحمد فريد أبو هزيم، بحث في مجلة دراسات، ج٢٧، العدد ٢.

ثانياً: دراسات حول مواقف بعض المفسرين من التصوف، ومنها: الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني، د.أكرم حمدان، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، ج١٤، العدد الثاني، (ص٧٥-١٢٨)، ٢٠٠٦م.

خامساً: منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج النقدي في جمع المادة العلمية لموضوع الدراسة من خلال كتب التفسير، واستعان بالمنهج الوصفي في وصف مواقف بعض المفسرين من قضايا التصوف.

سادساً: عمل الباحث في البحث:

1- اعتنى الباحث بدراسة الأثر الصوفي في التفاسير الصوفية وغير الصوفية، مع التركيز على الأخيرة في الدراسة.
2- قام الباحث بالدراسة والمناقشة للأقوال الواردة في البحث.
3- التزم الباحث الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في عرض ومناقشة موضوعات البحث.
4- قام الباحث بتعريف موجز ببعض المصطلحات الصوفية التي تلزم في البحث.
5- قام الباحث بعمل تراجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث من كتب الطبقات والتراجم، وذلك يشمل: أعلام الصوفية، والأعلام غير المشهورين، والمفسرين الذين تم دراسة جهودهم في الدفاع عن التصوف أو الرد عليه.
6- عزو الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى مواضعها في كتاب الله، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في المتن.
7- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، مع التوثيق بذكر: الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين أو أحدهما أذكر حكم العلماء عليه.
8- قام الباحث بإعداد خمسة فهارس علمية في نهاية البحث، الأول للآيات القرآنية، والثاني للأحاديث النبوية، والثالث للأعلام المترجم لهم، والرابع للمصادر والمراجع، والخامس للموضوعات.

سابعاً: خطة البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس، وذلك على النحو التالي:

المقدمة:

وتشتمل على:

أهمية الموضوع، وبواعث اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، خطة البحث.

التمهيد

التصوف: تعريفه، علاقته بالزهد، مراحله، أقسامه.

ويشتمل على

- **أولاً:** تعريف التصوف لغة.
- **ثانيا:** أصل كلمة تصوف واشتقاقها.
- **ثالثا:** تعريف التصوف اصطلاحاً.
- **رابعاً:** العلاقة بين التصوف والزهد والفرق بينهما.
- **خامساً:** مراحل التصوف.
- **سادساً:** أقسام التصوف.

الفصل الأول

التفسير الصوفي وأثره في علم التفسير

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول:** أقسام التفسير الصوفي

  ويشتمل على ثلاثة مطالب:

  - **المطلب الأول:** التفسير الصوفي النظري.
  - **المطلب الثاني:** التفسير الفيضي الإشاري.
  - **المطلب الثالث:** أدلة التفسير الإشاري عند القائلين به.

- **المبحث الثاني:** مناقشة التفسير الصوفي الإشاري

  ويشتمل على ثلاثة مطالب:

  - **المطلب الأول:** الفرق بين التفسير الصوفي والتفسير الباطني.
  - **المطلب الثاني:** تقسيم الصوفية القرآن إلى ظاهر وباطن، وأثر ذلك في تفاسيرهم.

- **المطلب الثالث:** مناقشة كلام الألوسي في التفسير الإشاري.

- **المبحث الثالث:** قواعد وضوابط في التعامل مع التفسير الإشاري مع التمثيل.

- **المبحث الرابع:** أثر التفسير الإشاري على علم التفسير.

الفصل الثاني

أثر الفكر الصوفي في التفسير

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول:** أثر الأفكار الصوفية في تفسير بعض الآيات:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** المفهوم الخاطئ للعبادة عند الصوفية، وأثره في التفسير.
- **المطلب الثاني:** الأذكار المبتدعة عند الصوفية. وأثرها في التفسير.
- **المطلب الثالث:** أثر الأفكار الصوفية في تفسير القصص القرآني، (قصة موسى والخضر نموذجاً).

- **المبحث الثاني:** الأحاديث الصوفية في التفسير

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** علاقة الصوفية بعلم الحديث.
- **المطلب الثاني:** أمثلة لبعض الأحاديث الصوفية في كتب التفسير، وبيان أثرها.

الفصل الثالث

المفسرون والتصوف

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: الاتجاه الصوفي عند بعض المفسرين.**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

  - **المطلب الأول:** الاتجاه الصوفي عند الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب.
  - **المطلب الثاني:** الاتجاه الصوفي عند الألوسي في تفسيره روح المعاني.
  - **المطلب الثالث:** الاتجاه الصوفي عند الشعراوي في تفسيره الخواطر.

- **المبحث الثاني: الاتجاه النقدي للتصوف عند بعض المفسرين.**

ويشتمل على خمسة مطالب:

  - **المطلب الأول: ردود** الإمام أبي حيان الأندلسي على الصوفية في تفسيره (البحر المحيط).
  - **المطلب الثاني: ردود** الإمام القرطبي على الصوفية في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن).
  - **المطلب الثالث: ردود** الإمام البقاعي على غلاة الصوفية في تفسيره (نظم الدرر).
  - **المطلب الرابع: ردود** الشيخ محمد رشيد رضا على الصوفية في تفسيره (المنار).
  - **المطلب الخامس:** ردود المفسرين على بدع الصوفية القبوريين الاستغاثة بأصحابها والتبرك بها وغير ذلك.

الخاتمة

ختم الباحث بحثه بذكر أهم النتائج التي توصل إليها في دراسته، وبيان لأهم التوصيات. كما قام الباحث أيضاً بعمل الفهارس العلمية للبحث، وهي:

- أولا: فهرس الآيات القرآنية.
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.
- ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.
- رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.
- خامساً: فهرس الموضوعات.

وبالله التوفيق، وهو المستعان وعليه التّكلان.

التمهيد

التصوف

تعريفه، علاقته بالزهد، مراحله، أقسامه

- أولاً: التصوف لغة
- ثانياً: أصل كلمة تصوف واشتقاقها
- ثالثاً: التصوف اصطلاحا
- رابعاً: العلاقة بين التصوف والزهد والفرق بينهما
- خامساً: مراحل التصوف
- سادساً: أقسام التصوف

التمهيد

التصوف

تعريفه، علاقته بالزهد، مراحله، أقسامه.

موضوع التصوف من الموضوعات التي شغلت أذهان الباحثين، وملئت حيزاً من كتاباتهم، وتشهد لذلك المكتبات الإسلامية بما تزخر به من مؤلفات، سواء كانت مؤيدة أو ناقدة، وسواء كان مؤلفوها من المسلمين أو من غيرهم.(١)

ويرجع وجود هذا الكم الهائل من الدراسات حول هذا الموضوع إلى أثره البالغ في واقع الأمة، في العقائد والعبادات والحياة العامة، وأيضاً على المستوى الفكري؛ فالنزعة الصوفية تظهر على أربابها في مصنفاتهم من خلال أقوالهم وترجيحاتهم.

وموضوع التصوف كثرت فيه الأقوال، ودارت حوله المعارك، وذلك لما يكتنفه من الغموض واللبس في كثير من الأمور، حتى في أصله واشتقاقه، وقد سلك المتصوفة طريق الرمز والإشارة في كلامهم.

وهذه مقدمة مهمة في التعريف بالتصوف، وأقسامه، ومراحله، وعلاقته بمفهوم الزهد، وذلك تمهيداً للتعرف على أثره في التفسير، وبالله التوفيق وهو الهادي للصواب.

أولاً: تعريف التصوف لغة:

قال ابن فارس: "(صوف) الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف. والباب كله يَرجِع إليه. يقال كبش أَصْوَفُ وصَوِفٌ وصائفٌ وصَافٌ، كلُّ هذا أن يكونَ كثيرَ الصُّوف...فأمَّا قولهم: صاف عن الشَّرّ، إذا عَدَل، فهو من باب الإبدال، يقال صَابَ إذا مال".(٢)

---

(١) اهتم المستشرقون بموضوع التصوف، وكثرت كتاباتهم فيه، نذكر منها: "التصوف"، "آلام الحلاج"، كلاهما لماسينيون، "الصوفية في الإسلام" لنيكلسون، وغيرها، وانظر: "موقف المستشرقين من دراسة الفرق (الصوفية) عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة "رسالة دكتوراه، د. لطيفة بنت عبد العزيز المعيوف.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣ /٣٢٢).

وهذا المعنى الأخير – صاف بمعنى عدل– الذي رده ابن فارس، نجد من علماء اللغة من يصححه.

قال ابن منظور: "وصافَ السهْمُ عن الهَدَفِ يَصُوفُ ويَصِيفُ عدل عنه ...ومنه قولهم صافَ عني شرُّ فلان وأَصافَ اللّه عني شَرَّه".[١]

وجاء في المعجم الوسيط: (صاف) الكبش صوفا ظهر عليه الصوف فهو صائف وكثر صوفه فهو أصوف وهي صوفاء. (تصوف) فلان صار من الصوفية. (التصوف) طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح، (الصوف) الشعر يغطي جلد الضأن ويمتاز بدقته وطوله وتموجه، (الصوفة) القطعة من الصوف. (الصوفي) من يتبع طريقة التصوف والعارف بالتصوف وأشهر الآراء في تسميته أنه سمي بذلك لأنه يفضل لبس الصوف تقشفا، (الصواف) بائع الصوف.[٢]

من خلال التعريفات اللغوية المتقدمة يتضح لنا أن أصل كلمة صوف يرجع إلى معنيين: الأول: الصوف المعروف للشاة ونحوها، والثاني: الميل والعدول. أو أنها ترجع إلى معنى واحد فقط، وهو الصوف كما يرى ابن فارس.

ثانياً: أصل كلمة تصوف واشتقاقها:

اختلف العلماء والباحثون في أصل كلمة التصوف واشتقاقها على عدة أقوال، سأذكرها مبينا ما قيل فيها من الاعتراضات إن وجد، فيما يلي:

١–قيل إنه مشتق من "**الصفاء**": أي سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم.[٣]وهذا القول بعيد من جهة اللغة؛ لأننا لو نسبنا أحداً إلى الصفاء لقلنا صفائي.[٤]

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٢٥٢٨/٤)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير (٦٨/٣).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (٥٢٩/١).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد الكلاباذي (٣٨٠ هـ) (ص٩، ٢٥)، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي، ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) (١٦٥/٥).

(٤) الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٤٦٥هـ) (ص٤٦٤)، كشف المحجوب للهجويري (٤٦٥هـ)، د. إسعاد عبد الهادي قنديل (ص ٢٢٧).

٢-قيل إنه مشتق من "**الصف**"، أي "سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه"[١]، ولكن اللغة ترد هذه القول. فإن النسبة إلى كلمة "صف" صفي.[٢]

٣- قيل إنه نسبة إلى كلمة "**سوفيا** " اليونانية ومعناها الحكمة[٣]، والتي كانت تطلق على مذهب يؤمن أتباعه بوحدة الوجود[٤]، "ويدلّل أصحاب هذا الرأي على صحته بانتشاره في بغداد وما حولها بعد حركة الترجمة النشطة في القرن الثاني الهجري، بينما لم تعرف في نفس الفترة في جنوب وغرب العالم الإسلامي. ويضاف إلى الزمان والمكان التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان، حيث أفكار وحدة الوجود والحلول والاتحاد وغير ذلك من الأفكار الفلسفية".[٥]

ويرد على هذا القول: "أن الصوفية أنفسهم لا يقبلون أن ينسبوا إلى اليونان لما يجعل للخصوم عليهم سبيلاً حيث ينسبونهم إلى الفكر اليوناني القديم بما فيه من ضلالات وانحرافات."[٦] وأيضاً: فإن المتصوفة الأوائل كانوا من العباد وليسوا من الفلاسفة، وكان اهتمامهم في العبادات لا في علم الكلام أو الفلسفة.[٧]

٤- قيل إنه نسبة إلى **أهل الصفة** ﷺ: أي أنهم سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة ﷺ، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ[٨]، "وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل صُفي".[٩]

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٠).

(٢) الرسالة القشيرية (ص ٤٦٤)، كشف المحجوب للهجويري (ص ٢٢٧)، فقه التصوف لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، زهير شفيق الكبي (ص١١).

(٣) وهو قول البيروني (٤٤٠ هـ)، انظر: قضية التصوف..المنقذ من الضلال، د.عبد الحليم محمود(١٣٩٧هـ) (ص٣٢-٣٣)، التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير (١٤٠٧هـ)(ص٣٢).

(٤) عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د.أحمد بن عبد العزيز بن القصير (ص ٩٩). ورجح المؤلف هذا القول.

(٥) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، د.صالح الرقب ود.محمود الشوبكي (ص ٨).

(٦) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي"، د. محمود الشوبكي، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، ج١٠، العدد الثاني (ص ٩).

(٧) سيأتي الحديث عن أوائل الصوفية عند الحديث عن مراحل التصوف.

(٨) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٠)، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، أحمد بن عجيبة (١٢٢٤هـ) (ص٢٦).

(٩) فقه التصوف لابن تيمية (ص ١١)، وانظر: قضية التصوف..المنقذ من الضلال (ص ٢٧).

وأيضا: فهو قول مردود من جهة الواقع، فمن هم أهل الصفة الذين يحاول الصوفية النسبة إليهم، وبذلك يجعلون لهم نسبا إسلاميا عريقا؟

يقول ابن الأثير: " أهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه".(١) إذن فنحن أمام حالة طارئة سجلها التاريخ من حياة الصحابة ﷺ. فهؤلاء الصحابة الذين هاجروا من مكة نصرة لدينهم، قد تركوا بيوتهم ومتاعهم، فأووا إلى المسجد، فإيواؤهم إلى المسجد لم يكن بمحض رغبتهم، ولا حبا منهم للفقر، ولا اعتزالا منهم للحياة والعمل فيها، وإنما كان حالة طارئة أملتها عليهم الظروف المعيشية؛ كما يوضح ذلك وصف الله تعالى لهم بقوله ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢]. وأيضاً: فإنهم لم يستمروا على هذه الحالة، وإنما تركوها فيما بعد، لما انتصر الإسلام وتحسنت أوضاع المسلمين، وأخيراً: فإن أهل الصفة ﷺ لم ينفردوا عن باقي الصحابة ﷺ بعلوم أو أفعال يختصون بها كما هو حال المتصوفة.(٢)

والخلاصة: أن النسبة بين أهل الصفة ﷺ والصوفية محض وهم أو إدعاء لا حقيقة له، وإذا ما رجعنا إلى أقوال المفسرين حول هذه القضية، نجد من تأثر بالأفكار الصوفية فيها، فمثلاً يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره: أهل الصُّفَّة هم جماعة من أهل الله انقطعوا للعبادة فتناولتهم ألسنة الناس واعترضوا عليهم، لماذا لا يعملون؟ ولماذا لا يشتغلون كباقي الناس؟ بل وذهبوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: نريد أن تلتفت إلينا، وأن تترك هؤلاء المجاذيب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف:٢٨]، لذلك علينا حينما نرى مثل هؤلاء الذين نُسمِّيهم المجاذيب الذين انقطعوا لعبادة الله أن لا نحتقرهم، وأيضاً: كثيراً ما ترى أهل الدنيا في خِدْمة هؤلاء العبَّاد، ففي يوم من الأيام قُمْنا لصلاة المغرب في مسجد سيدنا الحسين، وكان معنا رجل كبير من رجال الاقتصاد، فإذا به يُخرج مبلغاً من المال ويطلب من العامل صرفه إلى جنيهات، فأتى العامل بالمبلغ في صورة جنيهات من الحجم الصغير، فإذا برجل الاقتصاد الكبير يقول له: لا، لا بُدَّ من جنيهات من الحجم الكبير؛ لأن فلاناً المجذوب على باب الحسين لا يأخذ إلا بالجنيه الكبير... (٣)

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/٣٧).

(٢) انظر: تلبيس إبليس، أبو الفرج ابن الجوزي (٥٩٧هـ) (ص ١٤٦)، الصوفية في نظر الإسلام، سميح عاطف الزين (ص ١٦)، دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية (ص٧).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ) (١٤/٨٨٧٥).

والذي يلاحظه الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي جاء متشبعاً بالأفكار الصوفية، وفيه ما فيه، فالشيخ –غفر الله له– شبه أحوال أهل الصفة من الصحابة رضي الله عنهم بمجاذيب الصوفية الكسالى الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، وشتان، فبينهما والله ما بين السماء والأرض، قال الإمام القرطبي: ولا حجة لهم في أهل الصفة، فإنهم كانوا فقراء يقعدون في المسجد ما يحرثون ولا يتجرون، ليس لهم كسب ولا مال، فإنما هم أضياف الإسلام عند ضيق البلدان، ومع ذلك فإنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويسوقون الماء إلى بيوت رسول الله ﷺ، ويقرؤون القرآن بالليل ويصلون. فكانوا يتسببون. فلما كثر الفتح وانتشر الإسلام خرجوا وما قعدوا.[1] وفي تفسير المنار: ويحتج بأهل الصفة أكلة أموال الناس بالباطل من أهل التكايا[2] الذين ينقطعون إليها تاركين للأعمال النافعة، فلا يتعلمون العلم ولا يجاهدون في سبيل الله وليس فيهم صفة من الصفات الخمس التي وصف الله بها أهل الصفة[3]، وإنما قصارى أمرهم أنهم يأكلون بدينهم، يأكلون الصدقات والأوقاف لأجل أن يعبدوا الله تعالى في هذه المواضع خاصة، فهي لهم كالأديار للنصارى ويكلفون من يستضيفونه الذبائح والطعام الكثير، ثم لا يخرجون إلا مثقلين، فإذا منعوا ما أرادوا انتقموا لأنفسهم بكل ما قدروا عليه من أنواع الانتقام، فإن الناس يحفظون عنهم شيئا كثيرا من ضروب الإيذاء، ومنه ما يبرزونه في معرض الكرامات والخوارق، حدثني غير واحد أن من الفلاحين من قصر في إجابة مطالب بعض الشيوخ عندما نزلوا عنده، فأحرقوا له حقله، وزعموا أن الله أحرقه بغير فعل فاعل كرامة لشيخهم، الذي لا حرفة له إلا أكل أموال الناس بالكذب على الله – تعالى – وادعاء الولاية والقرب منه، وهؤلاء الأشرار الضالون الذين يشبهون أنفسهم بأهل الصفة، ويزعمون أن لأكلهم أموال الناس بالباطل أصلاً في الكتاب والسنة، وحاش لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من ذلك.[4]

ثم إن هذا الانقطاع للعبادة منهي عنه شرعاً، ويتنافى مع هدي الإسلام الذي يأمر بالعمل ويحث عليه ويعده من العبادة، وأخيراً فإن مصطلح أهل الصفة لم يظهر إلا في المدينة

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (٦٧١هـ) (١٠٨/٨).

(٢) التكايا: جمع تكية، وهي كلمة تركية وتعني: رباط الصوفية. انظر: المعجم الوسيط (٨٦/١).

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣]، والصفات الخمس هي: ١–الإحصار في سبيل الله، أي حبسوا ومنعوا ٢–عدم استطاعة السفر للكسب، ٣–يحسبهم الجاهل أغنياء من تعففهم، ٤– يعرفون بسيماهم، ٥–لا يلحون في السؤال. وقد فصل صاحب المنار في تفسيره في شرح هذه الصفات. انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (١٣٥٤هـ) (٧٤/٣) وما بعدها.

(٤) انظر: المصدر السابق (٧٣/٣) وما بعدها.

بعد الهجرة، أما سورة الكهف فهي مكية[١]، لكن يدخل أهل الصفة في الآية كما يدخل غيرهم ممن تناولهم الوصف المذكور فيها، مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فإنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا من " أهل الصفة " أو غيرهم، أمر الله نبيه ﷺ بالصبر معهم.[٢]

٥- قيل إنه مشتق من **الصوف**[٣]: فيقال: تَصوَّف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، وهو اختيار الكثيرين من الصوفية وغيرهم.[٤] قال القشيري[٥]: " فذلك وجه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف**!!**".[٦]

٦- قيل إنه نسبة إلى **الصفوة:** أي باعتبارهم -حسب زعمهم- صفوة الله من خلقه، وأنهم النخبة المصطفاة من الأمة. وهو غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفوي.[٧]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦٠/١١)، وقال القرطبي: "هي مكية في قول جميع المفسرين". الجامع لأحكام القرآن(٣٤٦/١٠) وسبب نزول الآية: أن جماعة من المشركين جاءوا إلى رسول الله ﷺ فوجدوه قاعدا في جماعة من ضعفاء المؤمنين، كبلال وخباب، فلما رأوهم مع رسول الله ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف العرب لنا به فضلا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢] الآية، قال خباب: "فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم، قام وتركنا"، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف:٢٨] الآية. سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء، ح٤١٢٧، (١٣٨٢/٢)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٩/١١)، وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل الصفة وما يتعلق بهم من قضايا بالتفصيل، انظر: المصدر السابق (٣٧/١١-٨٤).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٠)، كشف المحجوب للهجويري (ص ٢٢٧).

(٤) منهم -من الصوفية-: السراج الطوسي(378هـ)، أبو نصر، في كتابه اللمع (ص ٤٠)، و أبو حفص عمر بن محمد السهروردي (٦٣٢هـ) في كتابه: عوارف المعارف (ص ٤٥)، وابن عجيبة في: معراج التشوف إلى حقائق التصوف (ص ٢٦). والدكتور:عبد الحليم محمود.في كتابه: قضية التصوف المنقذ من الضلال (ص ٣٤)، ومن غيرهم: ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، في مجموع الفتاوى (٦/١١)، وابن خلدون(٨٠٨هـ): في تاريخه (٦١١/١) وقال: "والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنّه من الصّوف....."، وغيرهما، وأيضاً من المعاصرين والمستشرقين الكثير، انظر: التصوف المنشأ والمصادر (ص ٣٤).

(٥) القشيري (٣٧٦ هـ /٤٦٥ هـ) هو الإمام الزاهد، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، له " الرسالة القشيرية "، والتفسير الكبير، ولطائف الإشارات وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٢٧/١٨)، طبقات المفسرين، السيوطي (٦١/١)، وانتقده ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس (ص١٤٩).

(٦) الرسالة القشيرية (ص ٤٦٤).

(٧) انظر: فقه التصوف، ابن تيمية (ص ١١).

٧- قيل إنه نسبة إلى **(صوفة):** وهو اسم أطلق في الجاهلية على الغوث بن مر[(١)]، وكان هو وأولاده يخدمون الكعبة ويجيزون الحجاج في الجاهلية، أي يفيضون بهم من عرفات [(٢)]، فهؤلاء انقطعوا إلى الله عز وجل، وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية.[(٣)]

ورد على هذا القول الإمام ابن تيمية فقال: "وهذا وإن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضا؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم " الصوفي "لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام."[(٤)]

خلاصة الأقوال السابقة:

من خلال عرضنا لأقوال العلماء في اشتقاق لفظة التصوف، نلحظ أن جميع هذه الأقوال لم تسلم من الاعتراض والنقد، كما أن غالبها لا يصمد في ميزان التحقيق والبحث العلمي؛ وذلك لعدة أمور:

- **أولاً:** إن بعض هذه الأقوال يعتمد على اشتقاق لا يصح في اللغة؛ فالاشتقاق من الصفاء: صفائي، ومن الصف: صفي، ومن الصفوة: صفوي.
- **ثانياً** : إن في هذه الأقوال تخصيص للصوفية بأمر عام، قد يوجد فيهم أو في غيرهم على السواء، وذلك كالصفاء، أو الصفوة، أو تأثرهم بفلسفات الأمم الأخرى. والصحابةﷺ هم صفوة الأمة، وأصفاها قلوباً، وفي الصف الأول همة ومقاماً عند الله، ولم يسموا صوفية.
- **ثالثاً:** بقي بعض الأقوال التي فيها نسبت التصوف إلى أمر تاريخي ، كنسبته إلى قبيلة صوفة الجاهلية، أو إلى أهل الصفة من الصحابة ﷺ، أو إلى لبس الصوف.

وقد بينت الرد على نسبة التصوف إلى أهل الصفة أو إلى قبيلة صوفة عند عرضي لتلك الأقوال.

---

(١) الغوث بن مر بن أُدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، الملقب ب"صوفة" كانت أمه لا يعيش لها ولد، فنذرت لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة، فكان يخدم الكعبة، ويلي إجازة الحجاج إليها بعد نزولهم من عرفة. وورث ذلك عنه بنوه. وهم يعرفون ببني " صوفة ". انظر: الإكمال، ابن ماكولا (٢٢٤/٥)، الأعلام، الزركلي(١٢٣/٥).

(٢) انظر: لسان العرب (٢٥٢٨/٤)، تاج العروس، الزبيدي (٤٠/٢٤).

(٣) تلبيس إبليس (ص ١٤٥). وابن الجوزي -رحمه الله- يرجح هذا القول.

(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٦).

مناقشة القول بنسبة التصوف إلى الصوف:

سأخصص هذا القول بمزيد من التفصيل والبيان في المناقشة، وذلك لعدة أسباب، منها:

١- سلامة الاشتقاق اللغوي في هذا القول؛ فيقال: تصوف إذا لبس الصوف.

٢- لأن لبس الصوف وتفضيله على غيره من الثياب يعتبر من الأمور التي اختص بها كثير من الصوفية، وجعلته شعارا لها؛ لأنه من وجهة نظرهم يتوافق مع الهدف الصوفي الداعي إلى التقشف والخشونة، وشظف العيش.

٣- كثرة القائلين والمرجحين لهذا القول، حتى بالغ بعض الباحثين[١] فرأى ضرورة رفض ما سواه من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون على السواء في اشتقاق الكلمة.

وقد ناقش الدكتور: محمود عبد الرازق الرضواني في رسالته للدكتوراة (المعجم الصوفي)[٢] تحت عنوان: (رد التصوف إلى الصوف ومناقشته على ضوء الأصول القرآنية والنبوية) هذا القول بالتفصيل، وذكر أن لبس الصوف من الأمور التي ظهرت عند بروز اتجاه الزهد الذي تبناه أوائل الصوفية، وقوى بعد عصر التابعين، فلجأ أغلبهم بالضرورة إلى نوعية الصوف، الملائم للخشونة وشظف العيش، وذلك ليتوافق مع تأديب النفس. وبين أن السراج الطوسي[٣] هو أول من نسب التصوف إلى الصوف، وأصَّل لذلك، ثم تتابع المؤلفون من معاصريه ولاحقيه يوافقون رأيه أو يخالفونه.

كما وطرح الدكتور الرضواني سؤالا مهماً حول نسبة التصوف إلى الصوف –فهي وإن كانت سليمة من ناحية الاشتقاق– إلا أنها تتطلب أصلاً قرآنيا أو نبوياً واضحاً بينا، ينبني عليه مشروعية الدعوة إلى تفضيل الصوف، واتخاذه شعاراً لعلم ما أو مذهب أو طريقة معينة؟ وهو ما نفى الباحث وجوده.

وسنناقش هنا مسألة تخصيص الصوف باللبس من الوجهة الشرعية، وذلك من خلال البحث في أصلي الشريعة: القرآن والسنة.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ماسينيون ود. مصطفى عبد الرازق (٢٥/١٦).

(٢) المعجم الصوفي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية دار العلوم جامعة القاهرة، د. محمود عبد الرازق الرضواني(ص٣٥٠) وما بعدها.

(٣) في كتابه اللمع عقد بابا بعنوان: باب الكشف عن اسم الصوفية، ولم سموا بهذا الاسم ؟...، انظر: اللمع (ص ٤٠)، وكتاب اللمع يعد من أقدم مراجع الصوفية.

والطوسي هو: عبد الله بن علي الطوسي، أبو نصر السراج: زاهد. كان شيخ الصوفية، توفي سنة: ٣٧٨هـ. انظر: الأعلام (١٠٤/٤).

تخصيص الصوف باللبس من الناحية الشرعية:

أ- تخصيص الصوف باللبس وتفضيله على غيره من خلال القرآن الكريم:

لم يذكر الصوف في القرآن إلا في آية واحدة في سورة النحل، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل:٨٠]، "وقد جاءت في معرض ذكر نعم الله تعالى على الإنسان وتذكيره بها، منها أن اللَّه خلق له الأنعام، ينتفع بها في عدة أشياء، ذكر منها الصوف، لكنه نص على استخدامه في الأثاث والمتاع، ولما ذكر اللَّه الملبس بعدها، عمم ولم يخصص الصوف وحده، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل:٨١]." [(١)] والسرابيل هي: الثياب من القطن والكتان والصوف.[(٢)]

وإذا نظرنا لما قاله بعض المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية، فإننا نلحظ بوضوح أثر الفكر الصوفي في تفسير الآية واستخراج لطائفها.

فمثلاً، يتحدث الزركشي في برهانه عن تقديم الصوف على غيره في هذه الآية، ويبين أن مقتضى ذلك شرفه بفضيلته، ثم يقول: ولهذا احتج به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من الملابس.[(٣)] ويقول ابن العربي المالكي: في هذا دليل على لباس الصوف، فهو أولى ذلك، فإنه شعار المتقين ولباس الصالحين، وشارة الصحابة والتابعين، واختيار الزهاد والعارفين.[(٤)]

وما ذكره الزركشي من أن تقديم الصوف على غيره في هذه الآية يدل على فضله، له وجهه من الصحة، لأن التقديم يفيد التفضيل غالباً، لكن هل فضل الصوف على غيره من جهة كثرة منافعه واستخداماته؟ أم من الجهة الشرعية في استحباب لبسه وتعظيم الثواب في ذلك؟ وهذه

---

(١) انظر: المعجم الصوفي (ص٣٥٢).

"(أَصْوَافِهَا) أي: الغنم، (وَأَوْبَارِهَا) أي: الإبل، [وَأَشْعَارِهَا] أي: المعز. والضمير عائد على الأنعام." تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ) (٣٣٧/٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٨)، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) (٢٧٠/١٨)، معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ) (٣٦/٥).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) (٢٥٩/٣).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٦٤/٥).

الجهة الأخيرة هي موضوع البحث، وثبوتها إنما يصح إذا ثبت أصلاً أن هناك فضيلة للبس الصوف وتقديمه على غيره، وقد قال الإمام القرطبي: "وقيل: إن ترك ذكر القطن والكتان إنما كان إعراضاً عن الترف؛ إذ ملبس عباد الله الصالحين إنما هو الصوف، وهذا فيه نظر."(١) فإذا لم تثبت فضيلة للصوف على غيره من أنواع اللباس، علمنا أن تقديمه لحكمة أخرى ليس هذا موضع الكلام فيها.

ولم تكن هذه الآية الوحيدة التي استدل بها بعض المفسرين على أفضلية الصوف. فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦]، نجد من يفسر لباس التقوى: بأنه لبس الصوف والخشن من الثياب، وذلك لما فيه من التواضع لله تعالى.(٢) ويعقب صاحب المنار على هذا القول فيقول: "وأضعف الأقوال في لباس التقوى أنه لباس النسك والتواضع كدروع الصوف ومرقعاته التي ابتدعها بعض العباد والمتصوفة، وإنما هي شر لا خير لأنها لباس شهوة وشهرة مذمومة. وكذا القول بأنه الحسن من الثياب فإن هذا هو الريش".(٣) ويبين الإمام القرطبي المعنى الصحيح للآية فيقول: "هو استشعار تقوى الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه"، ثم قال: "ومن قال: إنه لبس الخشن من الثياب فإنه أقرب إلى التواضع وترك الرعونات فدعوى؛ فقد كان الفضلاء من العلماء يلبسون الرفيع من الثياب مع حصول التقوى".(٤)

وعند قوله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥]، قال ابن العربي: قال علماؤنا: أول أمر الصوف يوم بدر، تسومت به الملائكة، وكان على الزبير ﷺ ذلك اليوم عمامة صفراء، فنزلت الملائكة ذلك اليوم على صفته؛ نزلوا عليهم عمائم صفر، وقد طرحوها بين أكتافهم.(٥)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) (١٥٤/١٠).

(٢) ذكر بعض المفسرين هذا القول في تفسير الآية على سبيل الحكاية والذكر للأقوال التي قيلت، لا على سبيل القبول والترجيح، انظر مثلاً: الجامع لأحكام القرآن (٧ /١٨٥)، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) (٤ /٢٨٤)، فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) (٢٢٤/٢)، وغيرها.

واختلف المفسرون في المراد من الآية. فقيل: (لباس التقوى)، هو الإيمان، وقيل: هو الحياء، وقيل: هو العمل الصالح، وقيل: هو السَّمْت الحسن، وقيل: هو خشية الله، وقيل: هو ستر العورة. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٣٦٦/١٢) وما بعدها.

(٣) تفسير المنار (٣٢١/٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨٥/٧)، وسيأتي كلامه قريباً في لبس الصوف إن شاء الله تعالى.

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢ /٧٥).

قلت: دلت الآية على اتخاذ العلامة في الحرب، قال ابن العربي: الاشتهار بالعلامة في الحرب سنة ماضية، وهي هيئة باهية قصد بها الهيبة على العدو، والتحريض للمؤمنين.[١] وقال ابن عاشور: وتطلق السومة على علامة يجعلها البطل لنفسه في الحرب من صوف أو ريش ملوّن، يجعلها على رأسه أو على رأس فرسه، يرمز بها إلى أنَّه لا يتّقي أن يعرفه أعداؤه ...، فهو يرمز بها إلى أنَّه واثق بحمايته نفسه بشجاعته، وصِدقِ لقائه، وأنَّه لا يعبأ بغيره من العدوّ.[٢]

فهذه الآية تدل على اتخاذ العلامة في الحرب، سواء كانت من الصوف أو العمائم أو غيرهما، وهذه العلامة تختلف باختلاف الواقع، كما تقدم من أن الزبير بن العوام ﷺ كان عليه يوم بدر عمامة صفراء مُعْتَجِرًا بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صُفْر. فهذه العلامات جُعلت في الحرب حتى يحصل بها تمييز الجيوش بعضها من بعض، ويميز الجندي صديقه من عدوه. فالآية تدل على جواز لبس الصوف والعمائم الصفر والتعلم بها، كغيرها من الأمور التي كانوا يجعلونها علامة لهم في الحروب كالريش مثلاً، أما تفضيلها على غيرها، فيحتاج إلى دليل آخر، وهو موضع البحث.[٣]

إذن يظهر لنا كيف يحاول بعض المفسرين استنباط فضيلة الصوف ولبسه من بعض الآيات، متأثرين بهذه الفكرة الصوفية التي تربط لبس الصوف بالزهد والعبادة[٤]، وتزعم أنه لباس التقوى وشعار الأنبياء والمرسلين –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين –.

وفي المقابل، برز اتجاه آخر لبعض المفسرين، يرفض هذه النزعة الصوفية في فهم بعض الآيات، ويرد بقوة على هذه الفكرة من خلال بعض الآيات. فمثلاً، عند قوله تعالى ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٢] نجد الإمام القرطبي ينتهز الفرصة للرد على هذه الفكرة، فيقول: "بين أنهم حرموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرمه الله عليهم. والزينة هنا: الملبس الحسن، إذا قدر عليه صاحبه. وقيل: جميع الثياب"، ثم قال رحمه الله: وإذا كان هذا فقد دلت الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد، وعند لقاء الناس

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢ /٧٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) (٧٦/٤).

(٣) ومن غرائب ما ذكره ابن العربي في أحكام القرآن هنا قوله: هذا يدل على لباس الثوب الأصفر وحسنه، ولولا ذلك لما نزلت الملائكة به. والمفسرون قالوا: إن الله قضى حاجة بني إسرائيل على بقرة صفراء. انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٧٥/٢).

(٤) وإذا كان الصوف علامة الزهد والتواضع والفقر، فالصوف في أزمنة وأمكنة أخرى هو أغلى الثياب وأفخرها.

ومزاورة الإخوان... وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى حُلَّة سِيَرَاءَ[(١)] تباع عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة".[(٢)] فما أنكر عليه ذكر التجمل، وإنما أنكر عليه كونها سيراء. وكان مالك بن دينار[(٣)] يلبس الثياب العدنية الجياد. وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار. أين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لباس الخشن من الكتان والصوف من الثياب. ويقول: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]، هيهات! أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى، لا والله! بل هم أهل التقوى وأولوا المعرفة والنهى، وغيرهم أهل دعوى، وقلوبهم خالية من التقوى...." [(٤)]

وينقل عن ابن الجوزي قوله: وأنا أكره ليس الفوط والمرقعات لأربعة أوجه: أحدها: أنه ليس من لبس السلف، وإنما كانوا يرقعون ضرورة. والثاني: أنه يتضمن ادعاء الفقر، وقد أمر الإنسان أن يظهر أثر نعم الله عليه. والثالث: إظهار التزهد؛ وقد أمرنا بستره. والرابع: أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة. ومن تشبه بقوم فهو منهم.[(٥)]

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله: الطيبات: هي المستلذات مما أحله الله لعباده، نهى الذين آمنوا عن أن يحرموا على أنفسهم شيئا منها، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقربا إليه، وأنه من الزهد في الدنيا فرفع النفس عن شهواتها، أو لقصد أن يحرموا على أنفسهم شيئا مما أحله لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم: حرام علي، ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني، قال ابن جرير الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبي ﷺ التبتل على عثمان بن مظعون رضي الله عنه[(٦)]، فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل

---

(١) السِيَرَاءَ: ثياب من الحرير.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء....، ح٥٥٢٢، (١٣٧/٦).

(٣) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، وهو من رواة الحديث، كان ورعا، توفي في البصرة سنة (١٣١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٢/٥)، الأعلام (٢٦٠/٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩٥/٧-١٩٨).

(٥) المصدر السابق (١٩٧/٧)، تلبيس إبليس (ص ١٧٠).

(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، ح٥٠٧٣، (٤/٧)، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة....، ح٣٤٧٠، (١٢٩/٤).

والبر إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به رسول الله ﷺ وسنه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون، إذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ. فإذا كان ذلك كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حله، فإن ظن ظان أن الفضل في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس، فقد ظن خطأ، وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها، ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الردية، لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سبباً إلى طاعته.[1]

وفي تفسير المنار: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الأعراف:٣٢] أي قل أيها الرسول لأمتك: هي – أي الزينة والطيبات من الرزق – ثابتة للذين آمنوا بالأصالة والاستحقاق في الحياة الدنيا، ولكن يشاركهم غيرهم فيها بالتبع لهم. وإن لم يستحقها مثلهم، وهي خالصة لهم يوم القيامة... كما تدل عليه الآيات الناطقة بأن دين الله الحق يورث أهله سعادة الدنيا والآخرة جميعا....[2]

وهكذا نرى بعض المفسرين[3] ينكرون على المتصوفة وغيرهم تحريمهم الطيبات على أنفسهم، ومن ذلك إيثارهم لبس الصوف دون غيره.

ومن خلال عرضنا لأقوال المفسرين يظهر أثر الفكر الصوفي والنزعة الصوفية في اختلاف أقوالهم، كما يظهر أثر ذلك أيضاً في ظهور بعض وجوه التفسير التي قيلت في بعض الآيات.

ب- تخصيص الصوف باللبس وتفضيله على غيره من خلال سنة النبي ﷺ وعمل الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن القيم رحمه الله في بيان هدي النبي ﷺ في اللباس: أفضل الطرق طريقُ رسول الله ﷺ التي سنها، وأمر بِها، ورغَّب فيها، وداوم عليها، وهي أن هديَه في اللباس: أن يلبس ما تيسر مِنَ اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة.... وفي الصحيحين عن قتادة قلنا لأنس

(١) انظر: فتح القدير (٨٠/٢) وما بعدها.

(٢) انظر: تفسير المنار (٣٤٧/٨).

(٣) انظر في هذا المعنى أيضاً: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء الألوسي(١٢٧٠هـ) (١١١/٨)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان (١٣٠٧هـ) (٤/ ٣٣٥)، محاسن التأويل، القاسمي (١٣٣٢هـ) (٤٧/٥)، ولصاحب المنار كلام جميل جداً في تفسير الآية (٣٤٠/٨) وما بعدها.

ﷺ: أيُّ اللباسِ كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ ؟ قال: الحِبَرَة.[1] والحبرة[2]: برد من برود اليمن فإن غالب لباسهم كان مِن نسج اليمن، لأنها قريبة منهم، وربما لبسوا ما يُجلب مِن الشَّام ومصر، كالقباطي المنسوجة من الكتان التي كانت تنسجها القبطُ، وعن عائشة رضي الله عنها أنها جعلت للنبي ﷺ بُردة من صوف، فلبسها، فلما عَرِق، فوجد رِيحَ الصوف، طرحها، وكان يُحبُ الرّيحَ الطَّيِّب[3].... [4]

وقد سار الصحابة ﷺ على منهج النبي ﷺ في اللباس واقتفوا أثره ، قال ابن القيم: وكان غالبُ ما يلبس هو وأصحابُه ﷺ ما نُسِجَ مِن القطن، وربما لبسوا ما نُسِجَ من الصوف والكتَّان[5]

ولبس الصوف لم يكن مرغوبا بين الصحابة ﷺ، وإنما فرض عليهم لأنهم لم يجدوا غيره، وإذا تيسر استبدلوه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم جاء الله بالخير، ولبسوا غير الصوف.[6]

وقد سار التابعون على نهج الصحابة في ذلك أيضاً، فمثلاً دخل رجل على الإمام ابن سيرين رحمه الله [7]، وكان الرجل يرتدي جُبة صوف، وإزارَ صوف، وعِمامة صوف، فاشمأزَّ منه الإمام، وقال: أظن أن أقواماً يلبسون الصوف ويقولون: قد لبسه عيسى بن مريم عليه السلام، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي ﷺ قد لبس الكتان والصوف والقطن، وسُنَّةُ نبينا أحقُّ أن تُتَّبَعَ. [8] قال ابن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، ح٥٨١٢، (١٤٧/٧)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب فضل لباس ثياب الحبرة، ح٥٥٦١، (١٤٤/٦).

(٢) الحِبَرَة: بكسر الحاء وفتح الباء وهى ثياب من كتان أو قطن محبرة أي مزينة والتحبير التزيين والتحسين. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٥٦/١٤).

(٣) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في السواد، ح٤٠٧٤، (٥٤/٤). وقال الألباني: صحيح.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ، ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ) (١٤٤/١).

(٥) المرجع السابق (١٤٣/١).

(٦) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، ح٣٥٣، (٩٧/١). وفيه :" كان الناس مجهودين يلبسون الصوف، ويعملون على ظهورهم، وكان مسجدهم ضيقا مقارب السقف، إنما هو عريش، فخرج رسول الله ﷺ في يوم حار، وعرق الناس في ذلك الصوف، حتى ثارت منهم رياح، آذى بذلك بعضهم بعضا، فلما وجد رسول الله ﷺ تلك الريح، قال : " أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا، وليمس أحدكم أفضل ما يجد من دهنه وطيبه "، قال ابن عباس ﷺ: " ثم جاء الله بالخير، ولبسوا غير الصوف وكفوا العمل، ووسع مسجدهم، وذهب بعض الذي كان يؤذي بعضهم بعضا من العرق ." وحسنه الألباني.

(٧) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر (٣٣ – ١١٠ هـ): إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، ينسب له كتاب: "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" مطبوع، وليس له. انظر: الأعلام (١٥٤/٦).

(٨) قال ابن القيم: ذكرها الشيخ أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح. انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد(١٤٣/١).

القيم معقباً على هذه القصة: ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقواماً يرون أن لبس الصوف دائماً أفضلُ من غيره، فيتحرَّونه ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرَون زِياً واحداً من الملابس، ويتحرَّون رسوماً وأوضاعاً وهيئات يرون الخروج عنها منكراً، وليس المنكرُ إلا التقيد بها، والمحافظة عليها، وترك الخروج عنها. والصواب أن أفضل الطرق طريقُ رسول الله ﷺ.[١]

والمنهج الوسطي في باب اللباس ما لخصه ابن القيم بقوله: "فالذين يمتنعون عما أباح اللهُ مِن الملابس والمطاعم والمناكح تزهُّداً وتعبُّداً، بإزائهم طائفةٌ قابلوهم، فلا يلبَسُون إلا أشرفَ الثياب، ولا يأكلون إلا ألينَ الطعام، فلا يرون لَبِسَ الخَشنِ ولا أكله تكبُّراً وتجبُّراً، وكلا الطائفتين هديُه مخالِفٌ لهدي النبي ﷺ ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب: العالي، والمنخفضِ".[٢]

الخلاصة: من خلال ما تقدم، لم نجد أصلاً شرعياً يصحح لنا تخصيص الصوف باللبس وجعله شعاراً لطائفة معينة، بل إن الأدلة التفصيلية تشهد بخلاف ذلك، وتبين أن في ذلك مخالفة لهدي النبي ﷺ.

الترجيح: بعد عرضنا لأقوال العلماء في أصل كلمة التصوف واشتقاقها، يتبين أن أقوى الأقوال وأشهرها هي نسبته إلى الصوف، وقد تعقبه القشيري رحمه الله بقوله: "ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف "، كما رد القشيري باقي الأقوال أيضا، وقال: ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة؛ فيقال: رجلٌ صوفي، وللجماعة صوفيَّة، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف، وللجماعة: المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق. والأظهر فيه: أنه كاللقب.[٣] وقد رد ابن خلدون على القشيري في كلامه عن عدم اختصاص الصوفية بلبس الصوف، فقال رحمه الله: "هم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف".[٤] وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف. فقيل في أحدهم: (صوفي) وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال.[٥]

ثم لماذا يطلق لقب" الصوفية" على هذه الطائفة دون غيره من الألقاب، دون اشتقاق أو قياس، أو مشابهة بين اللقب وحال هذه الطائفة. ثم هل كان هذا اللقب موجوداً -كما قيل في

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/١٤٣).

(٢) المصدر السابق (١/١٤٥).

(٣) الرسالة القشيرية (ص ٤٦٤).

(٤) تاريخ ابن خلدون (١/٦١١).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/١٦).

نسبة التصوف إلى صوفة–رجل في الجاهلية– أو سوفيا التي تعني الحكمة ثم أطلق على هذه الطائفة عند ظهورها أم أنه ظهر فجأة ونسبت إليه طائفة ما دون تشابه بينها وبينه!؟، فالأشبه: أنه من الصوف، والصوفية اختصوا به، وهو صحيح لغة. والله أعلم، وهو الهادي للصواب.

ثالثاً: تعريف التصوف اصطلاحا:

لا يقل اختلاف الصوفية في اختلاف تعريف التصوف عن اختلافهم في أصله واشتقاقه، بل ازدادوا فيه تعارضا وتناقضا[١]، فلقد ذكر السراج الطوسي أكثر من عشرين تعريفا[٢]، وأما القشيري فقد ذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفا من الصوفية المتقدمين[٣]، وقال السهروردي: "وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول".[٤]

وقد ذكر الأستاذ إحسان إلهي ظهير نماذج من هذه التعريفات ثم عقب قائلا : فهذه هي تعريفات التصوف والصوفية لدى أعلام الصوفية وأقطابهم أنفسهم ، ونقلناها من كتبهم، تضاربت فيها أراء القوم، وتعارضت فيها أقوالهم، لا جمع بينها ولا وفاق رغم ما ادعاه بعض المتأخرين، وحاولوا التوفيق ولكن دونه خرط القتاد، لأن كل تعريف مستقل عن التعريف الآخر، وحتى التعريفات العديدة التي صدرت عن شخص واحد تباعد بعضها عن بعض كل البعد وهذا التباعد ظاهر جلي لكل من نظر فيها وقرأها وتأمل وتدبر، وتحقق وتعمق. [٥]

وأكتفي في هذا المقام بما قاله ابن الجوزي رحمه الله حول هذه التعريفات، حيث بين مضمونها، فقال: "وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها: أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق...قال: وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن." [٦]

---

(١) انظر: التصوف المنشأ والمصادر (ص ٣٦).

(٢) انظر: اللمع (ص ٤٥). وما بعدها.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية (ص ٤٦٥) وما بعدها.

(٤) عوارف المعارف (ص ٤٤).

(٥) انظر: التصوف المنشأ والمصادر (ص ٣٩).

(٦) تلبيس إبليس (ص ١٤٧).

قلت: تعريف ابن الجوزي لمصطلح التصوف يقابل مفهوم التزكية في الشرع، ولو أن الصوفية التزموا بالمصطلحات الشرعية، لسدوا باباً واسعاً من أبواب البدعة، ألا وهو باب المصطلحات.

لكن هل التصوف ما هو إلا عبارة عن التزكية للنفوس، والقضية هي اختلاف مصطلحات؟

إن تزكية النفس عند الصوفية –باستثناء أوائلهم– تختلف عن التزكية الشرعية في مفهومها وطرقها وغايتها. ولعل أقرب مثالٍ في ذلك هو الزهد، الذي يعد وسيلة مهمة في تزكية النفس. وهو بداية السلوك عند الصوفية، ومع ذلك نلاحظ فرقاً بين الزهد في مفهومه الشرعي، والزهد في مفهوم الصوفية، وهو ما سأبينه –إن شاء الله تعالى–.

إن التصوف عبارة عن طريقة في تزكية التفس، لكنها لا تتقيد بالشرع لا في وسائلها، ولا في مفاهيمها التي يؤمن بها الصوفي في سلوكه، ولا في غايتها من هذه التزكية.

رابعاً: علاقة التصوف بالزهد والفرق بينهما:

يعتبر مفهوم الزهد من أكثر المفاهيم الإسلامية التي ارتبط بها التصوف، بل وظهر التصوف في زمن المبالغة في الزهد، وظهور مصطلح الزهاد.

وقد اعتنى الصوفية بالزهد اعتناءً كبيراً يظهر ذلك في كتبهم وأحوال شيوخهم. حتى قال الطوسي: الزهد مقام شريف، وهو أساس الأحوال المرضية، والمراتب السنية، ...ومن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده.(١)

ورغم هذه الدعاوى من قبل علماء التصوف في مزجهم بين مفهومي الزهد والتصوف، إلا أن هناك فروقا حقيقية بين المفهومين، فلقد ابتدع الصوفية أمورا كثيرة كان لها دور في تحريف المفهوم الحقيقي للزهد وتغيير معالمه .

الفرع الأول: حقيقة الزهد:

أ–الزهد لغة:

لفظ يدل على القلة في الشيء، والرغبة عنه، و والزّهِيد: الشيء القليل. وهو مُزْهِدٌ: قليل المال، والزاهدة في الأَشياء كلها ضد الرغبة. (٢)

---

(١) انظر: اللمع (ص ٧٢).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٣٠)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (١/ ١٣٨)، لسان العرب (١٨٧٦/٣)، المعجم الوسيط (٤٠٣/١).

ولم تأت لفظة الزهد في القرآن إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف:٢٠]. قال ابن كثير: اعتاض عنه إخوته[1] بثمن دُونٍ قليل، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين، أي: ليس لهم رغبة فيه، بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا. [2]

فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه، لم يسم زاهداً، كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً. [3]

ب: الزهد اصطلاحا:

جاءت عدة روايات في السنة تدل على فضل الزهد ومنزلته ، منها ما رواه ابن ماجه رحمه الله عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال رسول الله ﷺ: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس).[4]

فما هو الزهد، وما حقيقته؟

للزهد عدة تعريفات، فكل زاهدٍ يُعرِّفه بما تميلُ نفسُه إليه، وإلى حاله ونوع زهادته، وهو تعريف له ببعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه[5]، هذا مع اتفاقهم على فضيلته ومنزلته.

---

(١) قيل إن الضمير في قوله: { وَشَرَوْهُ } عائد على إخوة يوسف، وذلك: أن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، ويروى عن ابن عباس. وقيل: بل هو عائد على السيارة. وأن ذلك لقلة معرفتهم بالأسعار أو غيره من الأسباب التي ذكرها المفسرون. انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٧٧/٤)، التحرير والتنوير(٢٤٤/١٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٧٧/٤).

(٣) مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن قدامة المقدسي (ص ٣١٦).

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، ح ٤١٠٢، (٥٥٢/٥). وصححه الألباني، وحسنه النووي في: الأربعين النووية (ص٩٦)، والعراقي والسيوطي والزبيدي، انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استخراج: محمود بن محمد الحداد (٥/ ١٩٥٤– ١٩٩٥).

(٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٤/ ٢٢٨).

وعند دراسة هذه التعريفات، نلاحظ أنها تسير في اتجاهين[1]:

- **الاتجاه الأول:** ينظُر إلى الجانب الكمِّي: أي المقدار الذي يسوغ للإنسان الحصولُ عليه من الدُّنيا، وهنا نجِد آراء مختلفة: فمن يقول بترْك الدنيا بالكليَّة، وغيره يرى الأخذ على قدر الضرورة، وآخر يرى الاقتصار على الحلال، إلى غير ذلك من الأقوال. حتى أن صاحب الإحياء قد أفرد فصلاً، ذكر فيه حد الزهد في المأكل والملبس وغيرهما من ضروريات الحياة. فمثلا، يقول في الملبس: وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فإذا صار صاحب قميصين وسروالين ومنديلين فقد خرج من جميع ألوان الزهد من حيث المقدار[2]، إلى غير ذلك من الأمور والتحديدات التي تفتقد للدليل، وتختلف مع الروايات الصحيحة في هدي النبي ﷺ.

- **الاتجاه الثاني:** ينظُر إلى الجانبِ الكيفي؛ أي: السلوك النَّفْسي في التعامُل مع الدنيا والشهوات والغرائز الحسيَّة. مثل ما قال سفيان الثوري رحمه الله: الزهد في الدنيا قِصر الأمل، ليس بأكْل الغليظ، ولا لبس العباء. [3] وهذا الاتجاه يرَى أنَّ الزهد في حقيقته: تعلُّق القلب بالله دون سواه، فلا تشغله الدنيا عن الآخِرة، ولا يهتمُّ لأمر الدنيا، سواء أقبلتْ إليه أم أدبرَتْ عنه، إذا أُعطي شكَر، وإذا مُنِع صبر.

وهذا الاتجاه الأخير، هو الذي تشهد له النصوص بالصحة، ويؤيده واقع الأنبياء عليهم السلام ثم الصحابة رضي الله عنهم. فمثلاً: في موضوع اللباس، نجد ما أخرجه أبو داود في سننه، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لَقَدْ رأيتُ عَلَى رسول الله ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الحُلَلِ. [4] هذا مع كونه ﷺ أزهد الناس، قال ابن القيم : فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك وهذا كحال الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعمر بن عبد

---

(١) انظر: مفهوم الزهد بين الموسعين والمضيقين، عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، بحث في مجلة الجندي المسلم، العدد ٤٧، وانظر الأقوال في معنى الزهد في: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي(ص٢٩١).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٢٣٢/٤).

(٣) المصدر السابق (٢٢٨/٤)، جامع العلوم والحكم (ص٢٩١).

(٤) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب لباس الغليظ، ح٤٠٣٧، (٤٥/٤).(...حدثنا أبو زميل، حدثني عبد الله بن عباس، قال: لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ أَتَيْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه فَقَالَ ائْتِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ. فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلَلِ الْيَمَنِ – قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلاً جَمِيلاً جَهِيرًا – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَتَيْتُهُمْ فَقَالُوا مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ قَالَ مَا تَعِيبُونَ عَلَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلَلِ). وحسنه الألباني.

العزيز رحمه الله الذي يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده بل كحال سيد ولد آدم حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ولا يزيده ذلك إلا زهدا فيها. (١)

ومن التعريفات الجامعة في هذا الباب، تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: الزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة وثقة القلب بما عند الله، لأن الله تعالى يقول﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٣]، فهذا صفة القلب، وأما في الظاهر فترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس ومال وغير ذلك ، وجماع ذلك خلق رسول الله ﷺ.(٢)

فالزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، فمن كان بقلبه الرغبة في الآخرة، وأنه لا يعمل العمل إلا إذا كان نافعا له في الآخرة، وإذا لم يكن نافعا له في الآخرة، فإنه يتركه، فهذا هو الزاهد، فعلى هذا يكون الزاهد غنيا، وعلى هذا يكون الزاهد مشتغلا ببعض المباحات، إذا كان اشتغاله بها مما ينفعه في الآخرة؛ ولهذا قال النبي ﷺ لحنظلة رضي الله عنه: يا حنظلة ساعة وساعة.(٣) فمن استعان بشيء من اللهو المباح على قوته في الحق، فهذا لا يخرج عن وصف الزهادة؛ لأنه لم يفعل ما لا ينفعه في الآخرة، وهذا حاصله أن إقباله على الآخرة فقط، فلا يتأثر بمدح الناس، ولا يتأثر بذمهم، ولا بثنائهم ولا بترك الثناء، وإنما هو يعمل ما ينفعه في الآخرة. ويترك الاشتغال بكل المباحات، وإنما الذي ينفع بعضها. (٤)

الفرع الثاني: الفرق بين التصوف والزهد:

هنالك عدة فروق بين الزهد والتصوف، نجملها فيما يلي:

١- إن التصوف أعم من الزهد، فالتصوف كانت بدايته الزهد الكلي(٥)، ثم صار له كيانٌ خاصٌ له معالمه الخاصة، وأهله لهم إشاراتهم الخاصة بهم التي تميزهم عن غيرهم، فصار التصوف يشمل الزهد وغيره من الأمور. سواء كانت عقائدية ومنها التصورات الفلسفية التي

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم الجوزية (ص٢٥٢).

(٢) الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية (ص٧٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك فى بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا.ح٧١٤٣، وفيه: أن حنظلة رضي الله عنه قال: (لقينى أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال: قلت نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول، قال: قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ....).

(٤) انظر: شرح الأربعين النووية، صالح آل الشيخ (ص ٤٣٤).

(٥) تلبيس إبليس (ص ١٤٥).

دخلت على التصوف، أو عملية ومنها بدع المتصوفة كالسماع والرقص، وغير ذلك من الأمور التي ليست من الزهد في شيء.

٢- إن الزهد قد ورد منصوصاً عليه في عدة أحاديث، وآثار، ولذلك نجد في كتب السنة أبواب كاملة، تتحدث عن الزهد، وتحمل اسمه[(١)]، أما التصوف فقد تبين لنا أنه ليس له أصل شرعي يأمر به أو يدعو إليه.

٣- إن الزهد معلوم في اللغة معناه واشتقاقه، أما التصوف فاختلفت الأقوال في اشتقاقه وأصله كما سبق بيانه.

٤- إن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف. [(٢)]

٥- إن الزاهد في زهده يطلب رضا الله عز وجل والجنة، أما الصوفي فيرى أن أعلى درجات الزهد أن يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى عن الآخرة، فهو لا يريد إلا وجه الله فقط.[(٣)]

٦- هناك فرق بين الزهد الشرعي، والزهد عند المتصوفة، وذلك كما يلي:

أ- إدخال الفقر في الزهد، فالصوفية جعلت الفقر من الزهد، ولذلك نرى الغزالي يقرن بينهما في إحيائه، فيفرد كتابا بعنوان الفقر والزهد[(٤)]، وأيضاً فيه وفي غيره من الكتب الصوفية نجد الإطناب في الحديث عن الفقر والدعوة إليه، وذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في

---

(١) فمثلاً، في صحيح مسلم نجد كتاب: "الزهد والرقائق"(٢١٠/٨)، وفي سنن ابن ماجه نجد كتاب "الزهد" (٥٥١/٥)، ومن الكتب التي حملت اسم الزهد: الزهد للإمام أحمد، الزهد الكبير للبيهقي، الزهد لبن المبارك، وغيرها.

(٢) تلبيس إبليس (ص ١٤٩).

(٣) سيأتي -بمشيئة الله تعالى- مناقشة هذه الفكرة والرد عليها، انظر ص٧٠ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٤) إحياء علوم الدين (١٨٩/٤). والغزالي (٤٥٠/٥٠٥هـ) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صوفي، فقيه، أصولي، متكلم، فيلسوف، أعجوبة الزمان صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، من مؤلفاته: إحياء علوم الدين، المستصفى، البسيط، والوسط وغيرها الكثير. وقد انتقد عليه العلماء أشياء كثيرة وقعت في كتبه، قال عبد الغافر الفارسي: كانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٣/١٩)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان الألوسي(ص١٣١)، الأعلام (٢٢/٧)، وممن انتقده الإمام ابن الجوزي في مواضع كثيرة من كتابه: "تلبيس إبليس"(ص١٤٩، ١٥٨، ١٩٠، ٢٥٦، ٣١٢) وغيرها.

ذلك[١]، متناسين أن الإسلام سعى إلى القضاء على الفقر، والدعوة إلى العمل والجد، وقد كان ﷺ يستعيذ من فتنة الفقر[٢]، فالزهد ليس مقياسه أو مظهره الفقر، فقد يكون الرجل فقيراً لكنه حريص شره جاد في طلب الدنيا وإن لم ينل منها ما يريد. والعكس صحيح، فقد يكون الإنسان عظيم الثروة وافر المال مع معرفته بحق الله عليه، وحق الفقراء وغيرهم في ماله، ويكون زاهداً.

ب- ومن هذه النظرة الصوفية للفقر، بدأ الصوفية يتعاملون مع المال، كما قال أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسي: أركان التصوف عشرة: ...و ترك الاكتساب وتحريم الادخار.[٣] ومن هذه المفاهيم الخاطئة بدأ بعض المتصوفة، يمارس حرفة التسول والتكفف والسؤال لأموال الناس.[٤] بل وتعلق الأمر بالأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم والقدح في تزهدهم.

فنقرأ في الإحياء: أن آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه[٥]،

---

(١) أفرد الغزالي بابا في فضيلة الفقر مطلقا، وذكر فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما حكم عليها الحافظ العراقي في تخريجه للإحياء، منها: ح(قال ﷺ لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا)، ح(إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته)، وهما ضعيفان، وغير ذلك الكثير. انظر: إحياء علوم الدين (١٩٣/٤)، وفي دعوة الصوفية إلى الفقر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وآثرها السيئ على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس (٧٩٨/٢) وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الفقر، ح٦٣٧٧، (٨١/٨)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها، ح٧٠٤٦، (٧٥/٨).

(٣) التعرف لمذهب التصوف (ص ٨٩).

(٤) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وآثرها السيئ على الأمة الإسلامية (٨١٣/٢ - ٨٢٧).

(٥) إحياء علوم الدين (١٩٥/٤). وهو حديث موضوع، انظر: تذكرة الموضوعات للفتني (ص ١٧٧)، قال الإمام القرطبي عند قوله تعالى ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾{ص:٣٩}، قال: "قال الحسن: ما من أحد إلا ولله عليه تبعة في نعمه غير سليمان بن داود عليهما السلام فإنه قال: (هَذَا عَطَاؤُنَا) الآية. قلت : وهذا يرد ما روي في الخبر: إن آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه في الدنيا. وفي بعض الأخبار: يدخل الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفا؛ ذكره صاحب القوت وهو حديث لا أصل له؛ لأنه سبحانه إذا كان عطاؤه لا تبعة فيه لأنه من طريق المنة، فكيف يكون آخر الأنبياء دخولا الجنة، وهو سبحانه يقول : ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[ص:٤٠]، وفي الصحيح: "لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته..." الحديث. وقد تقدم فجعل له من قبل السؤال حاجة مقضية، فلذلك لم تكن عليه تبعة". الجامع لأحكام القرآن (٢٠٤/١٥)، وحديث (لكل نبي دعوة...)، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ح٦٣٠٥، (٦٧/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، ح٥١٢، (١١١/١).

وآخر الصحابة ﷺ دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف ﷺ لأجل غناه، وأنه يجيء يوم القيامة حبواً لأجل ذلك.[١]

ت- نظرة بعض الصوفية إلى الزهد بأنه تعذيب للنفس بشتى أنواع التعذيب، من الجوع والعري والسهر والفقر. وهذه الأمور مبتدعة لم يأمرنا بها الشرع الحنيف، وهي رغبة عن سنة النبي ﷺ كما جاء في حديث الثلاثة نفر الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال:(أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).[٢]

ث- ما ابتدعه الصوفية في موضوع اللباس، وزعموا أنه من الزهد، كلبس الخرق والصوف، والثياب المرقعة والبالية، وقد شحنت الكتب الصوفية بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، التي تدعو إلى لبس الصوف، والخرق[٣]، بل عندما يتحدث أحدهم عن كونه لبس الخرقة على يد الشيخ فلان، وكأنه يتحدث عن شيءٍ مهمٍ في حياته، وطريقه في السير إلى الله[٤]، بل ويجعل بعض الصوفية مستند طريقهم في لبس الخرقة أن عليا ﷺ ألبسها الحسن البصري رحمه الله، ويعلق ابن خلدون على ذلك فيقول: وفي تخصيص هذا بعلي ﷺ رائحة من التشيع.[٥]

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٦٦/٣)، وهو حديث موضوع، قال الشيخ الألباني: كذب، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الألباني (٢١٤/١٤). وقال ابن الجوزي: أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن في القيامة أفترى من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة. تلبيس إبليس (ص ١٦٢).وقد شنع ابن الجوزي على المحاسبي وأبو حامد الغزالي في ذكرهما لهذه الروايات الموضوعة، ورد عليهما .انظر: تلبيس إبليس (ص ١٥٨) وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح٥٠٦٣، (٢/٧).

(٣) انظر: كشف المحجوب للهجويري (ص ٢٢٤)، وقد ذكر الهوجيري أنه ألف كتابا مستقلا في أسرار لبس المرقعات، وانظر: إحياء علوم الدين (٢٣٣/٤)، تلبيس إبليس (ص ١٦٧) وما بعدها.

(٤) قال ابن الجوزي :" وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها إسنادا متصلا كله كذب ومحال ". تلبيس إبليس (ص ١٧١).

(٥) انظر: تاريخ ابن خلدون (٤٠٣/١)، وقال الشوكاني: "حديث: (أن النبي ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة عند الصوفية): باطل لا أصل له، قال ابن حجر: لم يرد في خبر صحيح. ولا حسن. ولا ضعيف: أن النبي ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحد من أصحابه، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى من ذلك صريحا فهو باطل، وقال: من المفترى: أن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري؛ لأن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا، فضلا عن أن يلبسه الخرقة، وقد صرح بمثل ما ذكر ابن حجر=

قال الإمام الذهبي: "وقد علمنا قطعا أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريدهم خرقة ولا يقصون شعورهم ولا فعله التابعون، بل جالسوا الصحابة وتأدبوا بآدابهم".(١)

ج- تحريم بعض نعم الله والتنفير منها. فنجد في كتب الصوفية عدة عبارات تفيد التنفير من الزواج (٢)، والنكاح(٣)، وأيضا نجد من امتنع عن المباحات فمنهم من لا يذوق الفاكهة، وآخر لا يشرب الماء البارد (٤)، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧]، فقد نزلت في بعض الصحابة عندما أرادوا أن يتبتلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار. فنزلت فيهم.(٥)

فهذه الأمور كلها خارجة عن حقيقة الزهد بمعناه الصحيح الذي جاءت به الشريعة. ومن هنا نلحظ تحريف الصوفية لمفهوم الزهد. وابتداعهم فيه.

خامساً: مراحل التصوف:

إن التصوف قد مر بعدة أطوار، وعدة مراحل. وبغض النظر عن بداية التصوف، والتي سأتحدث عنها كمرحلة مستقلة، فإننا نلحظ أن تاريخ الصوفية يتطور فيه الانحراف مع تقدم الزمن، ويأخذ أشكالاً مختلفة.

=جماعة من الحفاظ كالدمياطي، والذهبي، وابن حبان، والعلائي، والعراقي، وابن ناصر". الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني (١٢٥٠هـ) (ص ٢٥٣). وانظر: مقال: (إمتاع الرفقة بتمحيص إتحاف الفرقة برفو الخرقة)، د. حيدر عيدروس علي، على شبكة الألوكة: http://www.alukah.net/Sharia/0/31801/#ixzz2EtLwYZxb

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، الذهبي (٧٤٨هـ) (ص٥٣٢).

(٢) وقد عقد ابن الجوزي فصلاً بعنوان: (ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح). قال فيه : وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وان لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة. انظر: تلبيس إبليس (ص٢٦١) وما بعدها.

(٣) كما ذكر الطوسي في اللمع أن صوفيا تزوج من امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر. انظر: اللمع(ص ٢٦٤)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية (٨٢٨/٢) وما بعدها.

(٤) انظر: تلبيس إبليس (ص ١٣٦).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن (٥١٩/١٠).

إن بداية الخلل الذي دخل على الصوفية كان من باب الغلو في الدين.

وإذا رجعنا إلى كتب السنة، نجد عدة مواقف لبعض الصحابة مع الغلو في الدين، منها على سبيل المثال: حديث الثلاثة، لما سألوا عن عبادة النبي ﷺ، ثم كأنهم تقالوها...، -وقد تقدم- وتبين فيه موقف النبي ﷺ من هذا الغلو، وأنه ليس من سنته، ومن رغب عن سنته فليس منه.[(١)] وبذلك يقرر ﷺ وسطية الأمة واعتدالها.

وقد كان بداية الانحراف عند الصوفية من هذا الباب، كما بينا ذلك عند الحديث عن الفرق بين الزهد والتصوف .

ثم تطور الأمر بالصوفية عندما طرقوا باباً آخر من أبواب الضلال، وهو باب الجهل، وهو طريق مظلم يكثر فيه التخبط والسقوط في الأخطاء والانحرافات. قال ابن الجوزي: "وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات".[(٢)] وقال أيضاً: وقد دنت حيلة إبليس إلى جماعة من المتصوفة حتى منعوا تلامذتهم من حمل المحابر، ورُأيَت محبرة مع بعض الصوفية. فقال له صوفي آخر: استر عورتك، وهذا من خفي حيل إبليس.[(٣)] إذن من هنا بدأ الانحراف، من الجهل، وما أدراك ما الجهل .

ثم اجتمع للصوفية أمورٌ كانت سبباً في وقوعهم في مصائد الشيطان. فالجهل والعزلة كانا سببا لدخولهم في عالم الخواطر والوساوس. ودخولهم في الفلسفة كان له دور في البدع العقدية، وتأثرهم ببعض الرهبان الذين خالطوهم كان له دور في البدع العملية، وأخيرا اعتماد كثير من الصوفية الذوق كدليل في الحكم على الأمور ومشروعيتها كان له دوره في تلبيس الشيطان عليهم، وتحسينه البدع لهم.

وسوف يستعرض الباحث مراحل الصوفية، ومميزات كل مرحلة، وبعض أعلامها. والله ولي التوفيق.[(٤)]

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٤ من هذه الرسالة.

(٢) تلبيس إبليس (ص ١٤٧).

(٣) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (ص ٩٧).

(٤) انظر في الحديث عن مراحل التصوف وتطوره: تلبيس إبليس (ص١٤٧) وما بعدها، تفسير المنار (٢/٥٩-٦٢)، الصوفية .. نشأتها وتطورها، محمد العبده وطارق عبد الحليم (١٣-٤٠)، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، د. محمود الشوبكي، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية غزة- فلسطين، ج١٠، العدد الثاني (ص ٢١-٢٣).

أ- المرحلة الأولى: أوائل الصوفية:

وهي أكثر المراحل اعتدالاً، نلحظ في التصوف في هذه المرحلة النية الصادقة في العبادة والزهد، والإقبال على الآخرة والدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة. كما قال ابن الجوزي: "وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها: أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى... وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم".(١) وكذلك أثنى عليهم الإمام ابن تيمية في أكثر من موضع في كتبه، وبين أنهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين.(٢)

ومع وجود هذه المزايا والفضائل لهذه المرحلة، إلا أنها لم تخل من بعض المؤاخذات التي سجلها عليها بعض العلماء وبعض الباحثين في مجال التصوف. وهذه المؤاخذات كان لها دوراً – ولو قليلاً – في فتح باب واسع من البدع والانحرافات، ونجملها فيما يلي(٣):

١- التعمق والتشدد في العبادات وترك المباحات، كإدامة الجوع والسهر، وغير ذلك من الأمور.

وقد تقدم الحديث عن مبالغات الصوفية عند حديثنا عن الفرق بين الزهد الشرعي والزهد عند الصوفية.

٢- بدأ الكلام عن كيان خاص مميز يسمى (الصوفية) وظهرت كلمات مثل (طريقتنا) و(مذهبنا) و(علمنا)، يقول الجنيد(٤): "علمنا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب

---

(١) تلبيس إبليس (ص ١٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٥١٧/١٠)، وهذا الأصل الذي قرره أوائل الصوفية حجة على من جاء بعدهم ممن دخل في البدع والانحرافات.

(٣) الصوفية .. نشأتها وتطورها (ص ٢٤) وما بعدها.

(٤) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخزاز (٢٩٧هـ): شيخ الصوفية، أصله من نهاوند، ولد ببغداد ونشأ بها. فقيه شافعي، أخذ الفقه عن أبي ثور، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي، ولازم التعبد، وكان ورده في كل يوم ثلثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة، وكان يعرف سائر فنون العلم، وقال: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وقال الذهبي: وأين مثل الجنيد في علمه وحاله. انظر: سير أعلام النبلاء (٦٦/١٤)، البداية والنهاية (١٢٨/١١)، الأعلام (١٤١/٢) "الجنيد بن محمد وآراؤه العقدية والصوفية عرض ومناقشة." رسالة ماجستير، لنوال عبد السلام فلاتة.

الحديث لا يصح أن يتكلم في علمنا والله أعلم".[1]

٣- ظهور ما يسمى بالسماع الذي استحدثوه، قال الإمام ابن تيمية: "وهذه القصائد الملحنة والاجتماع عليها لم يحضرها أكابر الشيوخ كالفضيل بن عياض[2] وإبراهيم بن أدهم[3].... وقد حضرها طائفة منهم ثم تابوا وكان الجنيد لا يحضره في آخر عمره "[4]

٤- صنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد والزهاد وتخلط الصحيح بغير الصحيح وتتكلم عن خطرات النفوس والقلوب والدعوة إلى الفقر، وتعتمد على الأحاديث الموضوعة والضعيفة، مثل: كتب الحارث المحاسبي[5]، وأبي طالب المكي[6] ومن أشهرها كتابه (قوت القلوب) وغيرها.[7]

هذه هي حال الطبقة الأولى فيها زهد مشروع خلط بغير المشروع مع أن أحوالهم في العبادة والأذكار والبعد عن الرياء أحوال عالية، ثم تطور الأمر بعد هذا بإدخال مصطلحات فيها حق وباطل أو تحتمل هذا وذاك وزاد الانحراف واتسعت الفرجة والبعد عن السنة.[8]

---

(١) الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية (٤١٨/٢).

(٢) الفضيل بن عياض التميمي من بني يربوع ولد بخراسان ، قدم الكوفة وهو كبير كان ثقة ثبتاً فاضلاً عابداً ورعاً، وكان من شدة الخوف نحيفاً. كان كثير الحديث، توفى بمكة المكرمة سنة ١٨٧هـ في خلافة هارون الرشيد. انظر: البداية والنهاية (٢١٤/١٠)، سير أعلام النبلاء (٤٢١/٨)، طبقات الصوفية للسلمي (٢٢/١).

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق (١٦١هـ)، زاهد مشهور، رحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز.انظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٧/٧) وما بعدها، الأعلام (٣١/١)

(٤) مجموع الفتاوى (٥٣٤/١١). ثم تطور هذا السماع الصوفي فيما بعد، فلم يقتصر الأمر على هذه القصائد، بل تطور إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء. انظر: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية(ص١٠٨).

(٥) المحاسبي أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي (٢٤٣هـ)،الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠٨/٢٣)، صفة الصفوة، ابن الجوزي (٣٦٧/٢)، الأعلام (١٥٣/٢).

(٦) أبو طالب محمد بن علي بن عطية، الحارثي، المكي المنشأ، العجمي الأصل (٣٨٦ هـ). الإمام، الزاهد، شيخ الصوفية، كان له رياضات وجوع بحيث إنه ترك الطعام، وتقنع بالحشيش حتى اخضر جلده. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣٦/٣٢)، البداية والنهاية (٣٦٥/١١)، صفة الصفوة (٣٦٧/٢).

(٧) انظر: تلبيس إبليس (ص١٤٨)، الصوفية .. نشأتها وتطورها (ص ١٠٨) وما بعدها.

(٨) انظر: الصوفية .. نشأتها وتطورها (ص٣٠).

ب- المرحلة الثانية: المصطلحات والغموض:

وقد امتد من القرن الثالث إلى أواسط القرن الرابع حيث ظهر في هذا الطور أبو يزيد البسطامي ت ٢٦١هـ.(١) وبدأ يتكلم بكلمات موهمة، وهو أول من تكلم في الفناء.(٢)

ووقع المتصوفة بمشكله المصطلحات الغامضة المبهمة التي يستطيع كل متصوف تفسيرها حسب ما يشاء، وهذه المشكلة "المصطلحات" وعدم وضوحها هي من أسباب ضلال الأمم قبلنا. (٣)

ت- المرحلة الثالثة: الصوفية الفلسفية:

تعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل الصوفية، حيث تسربت إليها الفلسفة اليونانية فابتعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف بل جعلتها من الصوفية الخارجة عن الإسلام. فظهرت فكرة وحدة الوجود، وغيرها من الأفكار الكفرية.(٤)

---

(١) انظر: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي"، د. محمود الشوبكي، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية غزة- فلسطين، ج١٠، العدد الثاني (ص ٢١).

وأبو يزيد البسطامي اسمه طيفور بن عيسى بن علي (١٨٨-٢٦١ هـ)، أحد مشايخ الصوفية، وكان جده مجوسيا فأسلم، له كلام نافع، وحكي عنه شطحات ناقصات، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة، ومن العلماء من بدعه وخطأه. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير(٤٢/١١)، سير أعلام النبلاء(٨٦/١٣)، الأعلام (٢٣٥/٣).

(٢) الفناء كلمة مبهمة مجملة قد تعني وجهاً باطلاً بل كفراً ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الفناء ثلاثة أنواع: الأول: فهو (الفناء عن إرادة ما سوى الله) بحيث لا يحب إلا الله. ولا يعبد إلا إياه... وأما النوع الثاني: فهو (الفناء عن شهود السوى) وهو يحصل لكثير من السالكين، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد؛ لا يخطر بقلوبهم غير الله؛ بل ولا يشعرون... وهذا الفناء كله فيه نقص. وأكابر الأولياء لم يقعوا في هذا الفناء....ونبينا ﷺ إمام هؤلاء وأكملهم؛ ولهذا لما عرج به إلى السموات وعاين ما هنالك من الآيات وأوحى إليه ما أوحى من أنواع المناجاة أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله... وأما النوع الثالث: مما قد يسمى فناء: فهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، فلا فرق بين الرب والعبد فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد. انظر: الفتاوى الكبرى (٢٠٦/٥) وما بعدها، دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية (ص ١٣٢) وما بعدها.

(٣) انظر: الصوفية .. نشأتها وتطورها (ص ٣١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٤٠).

ث- المرحلة الرابعة: ظهور الطرق الصوفية:

الطريقة الصوفية تعني النسبة إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ المربي. ويدعي لنفسه أنه من أهل الكرامات والمكاشفات، ويكون له ذكر خاص به، يزعم أنه تلقاه من الغيب إما من الله رأسًا، أو من الرسول ﷺ في اليقظة أو في المنام، أو من الخضر عليه السلام. ويجعل لهذا الذكر الخاص ميزة خاصة وفضل خاص أكبر من الموجود في القرآن والسنة، وأفضل مما عند الطرق الأخرى وهذا بالطبع لجلب (الزبائن) لهذا الطريق الخاص. ثم لكل طريق مشاعر خاصة فلون العلم والخرقة لون مميز، وطريقة الذكر الصوفي مميزة، ونظام الخلوة مميز، وهكذا.[(١)]

والطرق الصوفية ظهرت منذ القرن الخامس الهجري وما بعده، ثم انتشرت وكثرت، بل لم تقف عند حد أو مفهوم، فهي دائماً في ازدياد وتجدد؛ إذ كل من ابتدع طريقاً، وجد له أتباعاً يتسمون باسمه أو باسم طريقته[(٢)]، وكل هذه الطرق مبنية على الابتداع في الأذكار والشعائر، وخير الطرق طريق محمد ﷺ.[(٣)]

سادساً-أقسام التصوف[(٤)]:

أ- التصوف السني:

وهو التصوف المقيد بالكتاب والسنة، وهو الذي بمعنى الزهد والورع، والاهتمام بأعمال القلوب كالمحبة والشكر وغيرهما من الأعمال، وهو يقابل معنى التزكية الشرعية، والأصل أن يلتزم المسلم المصطلحات الشرعية، خصوصاً أن لفظ الصوفية لم يعد اليوم يطلق إلا على أهل الطرق المبتدعة.

وعلى هذا النوع من التصوف السني كان أوائل الصوفية[(٥)]، مع التحفظ على بعض الأمور عندهم، كالمبالغة الشديدة في الزهد والعبادة، وغير ذلك من الملاحظات التي ذكرتها على المرحلة الأولى.

---

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق (ص٣٥٠)

(٢) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي(٨٩٤/٣).

(٣) سيأتي الحديث عن بعض هذه الطرق وبدعها، انظر: ص١٥١من هذه الرسالة.

(٤) انظر: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي"، د. محمود الشوبكي، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، ج١٠، العدد الثاني (ص ٥١) وما بعدها.

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) (٨٨/٤).

ومن أعلام هذا النوع من التصوف: الجنيد، وأبو سليمان الداراني[1]، وغيرهما.

ب- **التصوف البدعي:**

وهو التصوف الذي اختلط فيه الحق مع الباطل، السنة مع البدعة، فمثلا اختلط الرقص مع الذكر، والأوراد الشرعية بالأوراد البدعية، وكبدع القبور، وغير ذلك من الأمور. وجميع الطرق الصوفية تدخل في هذا النوع من التصوف.

ومن أعلام هذا التصوف البدعي: الشعراني[2]، والرفاعي[3]، وغيرهما.

ت- **التصوف الفلسفي:**

وهو التصوف الذي اختلط بالفلسفات القديمة كاليونانية والفارسية والهندية وغيرها، فظهرت فيهم المعتقدات الكفرية، والأفكار الوثنية، كالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود[4]، وغير ذلك من المعتقدات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم: "وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى؛ ولهذا يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى وبالوحدة تارة فإنه مذهب متناقض في نفسه؛ ولهذا يلبسون على من لم يفهمه. فهذا كله كفر

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان (٢١٥هـ): زاهد مشهور، من أهل دمشق، رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده. كان من كبار المتصوفين. له أخبار في الزهد. انظر: الأعلام (٢٩٤/٣).

(٢) أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (٨٩٨ – ٩٧٣هـ)، من علماء الصوفية. ولد في مصر، وتوفي فيها. له تصانيف عدة، منها" لواقح الأنوار في طبقات الأخيار" ويعرف بطبقات الشعراني الكبري. انظر: الأعلام، الزركلي (١٨١/٤)، قلت: كتابه المعروف بطبقات الشعراني، أكثر فيه مؤلفه من ذكر الطامات والبدع، والغلو في الأولياء، وغير ذلك كثير، ولذلك وصف صاحب المنار الشعراني بقوله: "وهو أشهر داعية في عصره إلى خرافات الصوفية". تفسير المنار(٣٣٠/١٠).

(٣) أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الرفاعي (٥١٢– ٥٧٨هـ)؛ كان فقيهاً شافعي المذهب، أصله من المغرب، والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء منسوبة إليه، ولأتباعه أحوال عجيبة: من أكل الحيات وهي حية، والنزول في التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفئونها، انظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن قاضي شهبة (٥/٢)، الأعلام (١٧٤/١)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية مناظرة مع الطريقة الرفاعية، ذكرها في مجموع الفتاوى (٤٤٥/١١–٤٧٥). بين فيها بدعهم ورد عليها، وقد أفردها الشيخ عبد الرحمن دمشقية في كتاب، سماه: مناظرة ابن تيمية لطائفة البطائحية، وقدم لها وعلق عليها.

(٤) وحدة الوجود مذهب فلسفي لا ديني، يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة. دراسات في الفلسفة والتصوف (ص ٤٩)، وهؤلاء القائلين بالوحدة يعلمون أن هذه الفكرة كفر وزندقة، لذلك يكتمونها ويخفونها عن غيرهم. انظر في الرد على هذه الفكرة الكفرية: المصدر السابق (ص ٦٢) وما بعدها.

باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين." [(١)]

وقال الإمام الذهبي: أسأل الله السلامة من شطحات الصوفية، وأعوذ بالله من كفريات صوفية الفلاسفة الذين تستروا في الظاهر بالإسلام، ويعملوا على هدمه في الباطن. وربطوا العوالم برموز الصوفية وإشاراتهم المتشابهة، وسيرهم الغريب، وأسلوبهم العجيب، وأذواقهم الجلفة التي تجر إلى الانسلاخ، والفناء وغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوه﴾ [الأنعام:١٥٣] يعني طريق الكتاب والسنة المحمدية. ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فيا مسلمين بالله، تعالوا نبكي على الكتاب والسنة وأهلها. وقولوا: اللهم أجرنا في مصيبتنا، فقد عاد الإسلام والسنة غريبين، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.[(٢)]

ومن أعلام هذا التصوف الفلسفي: الحلاج [(٣)]، وابن عربي[(٤)]، وابن الفارض[(٥)]، وغيرهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٨/٢).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (٢٧٨/٢١).

(٣) هو الحسين بن منصور الحلاج الفارسي (٢٤٤-٣٠٩هـ) ولد بفارس، صوفي متكلم وله اتصال بالقرامطة له شطحات كثيرة، وأقوال سقيمة منها قوله " ما في الجبة إلا الله " " وأنا الحق " ولا يؤمن بفريضة الحج، وقد قتل مصلوباً على زندقته بفتوى من علماء عصره. انظر: البداية والنهاية(١٥٣/١١)، سير أعلام النبلاء (٣١٤/١٤)، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٤٨٠/٣).

(٤) أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، (٥٦٠ - ٦٤٠ هـ)، ولد بمرسية ونشأ بها، له التآليف الكثيرة المشهورة، مثل الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ينسب له القول بوحدة الوجود، والقول بإيمان فرعون وقوم نوح، ألف البقاعي كتاباً في تكفيره، وجزم السيوطي بتحريم مطالعة كتبه. انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٨٧) وما بعدها، سير أعلام النبلاء (٢٣ /٤٨)، البداية والنهاية (١٣/ ١٨٢)، وسيأتي الحديث عن تفسيره في الفصل القادم، بمشيئة الله تعالى، انظر: ص٣٦ من هذه الرسالة.

(٥) ابن الفارض (٥٧٦ - ٦٣٢هـ) عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، من أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين، قال الذهبي: صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية. فإن لم يكن في قصيدته تلك صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟ انتهى، وقال الحافظ ابن حجر: سألت شيخنا الإمام سراج الدين البلقيني عن ابن العربي فبادر الجواب بأنه كافر، فسألته عن بن الفارض فقال: لا أحب أن أتكلم فيه قلت فما الفرق بينهما والموضع واحد وأنشدته من التائية فقطع على بعد أنشاد عدة أبيات بقوله: هذا كفر هذا كفر، وألف البقاعي كتاباً في تكفيره، وأسماه: (القارض لتكفير ابن الفارض). انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٢٢)، لسان الميزان(٣١٨/٤)، نظم الدرر (٦٢١/٨)، الأعلام(٥٥/٥-٥٦).

الفصل الأول

التفسير الصوفي وأثره في التفسير

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول:** التفسير الصـوفي وأقسـامه
- **المبحث الثاني:** مناقشة التفسير الصوفي الإشاري
- **المبحث الثالث:** قواعد وضوابط في التعامـل مع التفسير الإشاري مع التمثيل
- **المبحث الرابع:** أثر التفسير الإشاري في التفسير

المبحث الأول
أقسام التفسير الصوفي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** التفسير الصــوفي النظـــــــــــري
- **المطلب الثاني:** التفسير الصــوفي الإشـــــــــاري
- **المطلب الثالث:** أدلة التفسير الإشاري عند القائلين به

المبحث الأول
أقسام التفسير الصوفي

مصطلح "التفسير الصوفي"، مصطلح ينبئ عن إنفراد الصوفية به، وهذا ديدن الصوفية وعادتهم، وخصيصة من خصائصهم، فاسمهم خاص بهم كما أن لهم مصطلحاتهم وإشاراتهم الخاصة بهم التي يفهمونها على طريقتهم.

وقد سلك الصوفية طريقة خاصة في تفسيرهم لكتاب الله، ساروا فيها على قواعدهم وأفكارهم، ونهجوا فيها نهجهم في التعبير بالإشارة، وسموه التفسير الإشاري.

والتفسير الصوفي يعتمد أساساً على أن للقرآن ظاهراً وباطناً، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء العارفون بالله.

والأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المقام كثيرة، فأولاً ما الحكم في سلوك هذه الطريقة في التفسير من الناحية الشرعية؟ وهل يمكن اعتبارها منهجاً من مناهج التفسير؟ وما أثر هذا المنهج في التفسير؟

وفي هذا المبحث يحاول الباحث الإجابة عن هذه الأسئلة، والله المستعان، وهو الموفق لكل خير.

التفسير الصوفي:

التفسير الصوفي" مصطلح مركب من كلمتين: التفسير والتصوف، وقبل أن يتحدث الباحث على هذا المصطلح المركب، سيعرف بأجزائه.

أما "التفسير" فهو مصدر على وزن (تفعيل) من "الفَسْر" وهو البيان والكشف.[١] هذا في اللغة. وأما في الاصطلاح: فعرفه الزركشي بقوله: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه".[٢]

وأما التصوف فقد سبق تعريفه، وهو ينقسم باعتبار ماهيته إلى قسمين[٣]:

- "تصوف نظري" وهو الذي يقوم على البحث والدراسة.

---

(١) انظر: لسان العرب (٣٤١٢/٥)، تاج العروس (١٣ /٣٢٣)، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٢٢٦١/٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٣).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي (٢٥١/٢).

- "تصوف عملي": وهو الذي يقوم على الزهد والرياضة.

ولكلا القسمين أثره في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول: التفسير النظري الصوفي:

وهو طريقة في تفسير آيات القرآن الكريم مبنية على نزعة صوفية فلسفية، يحمل فيها أصحابها الآيات على نظرياتهم وأفكارهم على طريقة الباطنية.[١]

والمقصود بالنزعة الفلسفية: أن أرباب هذا التفسير كانوا من أصحاب التصوف الفلسفي، وهو التصوف الذي اختلط بالفلسفة اليونانية، وأفكارها الوثنية. وحمل الآية على هذه الأفكار يكون بإدعاء أنها هي المراد بالآية، دون مراعاة للفظ أو السياق أو غيرهما، وهي طريقة باطنية الصوفية.[٢]

ومن التعريف السابق لهذا النوع من التفسير الصوفي، ندرك خطأه وزيغه، وأنه ليس إلا تحريفا لمعاني الآيات، ولياً لأعناقها، لتكون شهود زور على نظريات فلسفية، وأفكار منحرفة، تتصادم مع بدهيات الدين، وأساسات العقيدة.

ويعتبر ابن عربي – زعيم القائلين بوحدة الوجود – شيخ هذه الطريقة في التفسير[٣]، وقد حاول ابن عربي أن يروج لضلالاته وأن ينشر سُمَّه من خلال تفسيره لبعض آيات من القرآن الكريم.

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح:٢٢]، يقول:" لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، فأجابوه مكراً كما دعاهم فقالوا في مكرهم: لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً. فإنهم لو تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء. فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾

---

(١) اجتهد الباحث في وضع هذا التعريف، وانظر: المرجع السابق (٢٥١/٢).

(٢) سيأتي الحديث عن الباطنية وباطنية الصوفية –إن شاء الله تعالى–.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، (٢٥٢/٢). كتابات ابن عربي في التفسير الفلسفي تتمثل في: التفسير المنسوب إليه، وهو تفسير باطني صوفي اتحادي فلسفي لا علاقة له بالتفسير، وهو تفسير مطبوع باسم تفسير القرآن الكريم لابن عربي، وقد حقق بعض الباحثين نسبته إلى القاشاني الباطني، كما أن له تفسيرات لبعض الآيات في كتابيه الفتوحات المكية وفصوص الحكم. وهي على منوال تفسيره .انظر: المصدر السابق (٣٠٥/٤–٣٣٦)، تفسير المنار(١٨/١).

[الإسراء:٢٣] أي حكم فالعالم يعلم من عَبَد وفي أي صورة ظهر حتى عُبِد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة والقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود".[١]

وهو يقلب الحقائق القرآنية ويتلاعب في التفسير كيفما شاء، فنجده يفسر قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦] فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ستروا محبتهم فيَّ، دعهم فسواء عليهم ءأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيري، وعلى سمعهم ...[٢]

كما أنه يفسر الآيات بمصطلحات الفلاسفة وأفكارهم، كما فسر قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٧]، فقال:"وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالَم الأفلاك، وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس، وتحته سبعة أفلاك، وفوقه سبعة أفلاك، وهو الخامس عشر...".[٣]

وهكذا، يسعى أصحاب هذا التفسير إلى تحريف معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتفسيرها تفسيرا فلسفياً لا صلة له بمعاني القرآن لا من قريب ولا من بعيد.

المطلب الثاني: التفسير الفيضي الإشاري

الإشارة لغة: من " أشار" إليه و بيده أو نحوها أومأ إليه معبراً عن معنى من المعاني كالدعوة إلى الدخول أو الخروج.[٤]

---

(١) فصوص الحكم، ابن عربي الحاتمي (٦٣٨هـ) (ص ٧٢). قال الإمام الذهبي عن هذا الكتاب: "ومن أردإ تواليفه كتاب " الفصوص " فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله !." سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣). وقال البقاعي في كلام ابن عربي هذا: "لعنة الله على من يشك في كفر من يحرف هذا التحريف أو يتوقف في لعنه، وهم الاتحادية الذين مرقوا من الدين في آخر الزمان، ومن أكابرهم الحلاج وابن عربي وابن الفارض...". نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (٢٥١/٨).

(٢) انظر: الفتوحات المكية، ابن عربي الطائي (١١٥/١).

(٣) فصوص الحكم (ص ٧٥).

(٤) انظر: لسان العرب (٢٣٥٨/٤)، المعجم الوسيط (٤٩٩/١).

وعرف الزرقاني التفسير الإشاري بقوله: "هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا".(١)

فقوله: "هو تأويل القرآن بغير ظاهره"، أي بباطنه، لأن التفسير الإشاري يقسم الآية إلى ظاهر وباطن، "الظاهر: هو الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره، والباطن هو: ما وراء ذلك من إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك"(٢). وقوله: "لأرباب السلوك" لكونه يعتمد عندهم على صفاء القلب والرياضة الروحية.(٣) وقوله: "يمكن الجمع..." لأن أهل التفسير بالإشارة يؤمنون بالمعنى الظاهر للآية، "ويقولون: لا بد منه أولاً، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن، ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، ويجعلون هذا المعنى الظاهر طريقا إلى المعنى الباطن. ويمكن الجمع بين المعنيين.(٤)

ويمثل الغزالي للتفسير الإشاري عند شرحه للحديث النبوي الشريف، قال ﷺ : "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة." (٥) فيقول: "والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل: الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشُّورى:٥١]، وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن الصفات المذمومات فلا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهراً." (٦)

ثم يقول: "ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ) (٦٦/٢).

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (١٤٢٠هـ) (١/ ٣٤٧) .

(٣) انظر: التفسير والمفسرون (٢٦١/٢).

(٤) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢ /٦٧).

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، ح٣٣٢٢، (١٣٠/٤)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة، ح٥٦٣٦، (١٥٦/٦).

(٦) إحياء علوم الدين (٤٩/١).

من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه ...".[(١)]

فالتفسير الإشاري تفسير الصوفية يقولون في هذه الآية إشارة إلى كذا وكذا من المعاني الإيمانية، وهذه الإشارات قد يأخذها الصوفي من المعنى أو اللفظ أو حتى رسم المصحف، كما سنبينه –إن شاء الله تعالى– عند عرضنا لنماذج من هذا التفسير.

المطلب الثالث: أدلة التفسير الإشاري عند القائلين به

يتعرض الألوسي في مقدمة تفسيره –والذي يعتبر من التفاسير الإشارية– للتفسير الإشاري ويحاول أن يبرهن على صحته ومشروعيته، ونجمل كلامه في عدة نقاط فيما يلي:

١. بين الألوسي أن التفسير الإشاري يؤمن بالمعنى الظاهر ولا ينفيه، فيقول: وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف إلى أرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة وذلك من كمال الإيمان، لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن فقط؛ إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية، وحاشى سادتنا من ذلك؛ كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا لا بد منه أولا، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.

٢. استدل الألوسي بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطنٌ، ولكل حرف حَدٌّ، ولكل حدٍّ مُطَّلَع.[(٢)]، يقول: "وللقرآن ظاهر وباطن،.... وقد قال بعض من يوثق به: "لكل آية ستون ألف فهم"، وروى عن رسول الله ﷺ

---

(١) إحياء علوم الدين (٤٩/١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ح(١٠،١١). وقال محققه أحمد شاكر: "حديث واحد باسنادين ضعيفين... وأما أوله، دون قوله "ولكل حرف حد" إلخ، فإنه صحيح ثابت، رواه ابن حبان في صحيحه." انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/١–٢٣). قلت: أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب ذكر العلة التي من أجلها قال النبي ﷺ: (وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه). انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ح٧٥، (٢٧٦/١). وأول الحديث إلى قوله:" سبعة أحرف " أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح٤٩٩٢، (١٨٤/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ح ١٩٣٦، (٢٠٢/٢). وانظر: الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وأثارها، د.عبد الرحمن ابن صالح الدهش (ص٣٠) وما بعدها.

أنه قال: (لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع)، قال ابن النقيب[1]: إن ظاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله تعالى عليها أرباب الحقائق[2]..."

٣. كما واستدل الألوسي ببعض الآيات والوقائع التاريخية، فيقول: فلا ينبغي لمن له أدنى مسكة من عقل أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن، وياليت شعري ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، بل ما من حادثة ترسم بقلم القضاء في لوح الزمان إلا وفي القرآن العظيم إشارة إليها، وقد ذكر ابن خلكان في تاريخه[3] أن السلطان صلاح الدين لما فتح مدينة حلب أنشد القاضي محيي الدين قصيدة بائية أجاد فيها كل الإجادة وكان من جملتها:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر *** مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال، فسئل القاضي من أين لك هذا فقال أخذته من تفسير ابن بَرَّجان[4] في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ﴾. [الرُّوم: ٢-٤]، قال المؤرخ: فلم أزل أتطلب التفسير المذكور حتى وجدته على هذه الصورة[5] وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراجه وله

(١) محمد بن سليمان بن الحسن البلخي، المقدسي، أبو عبد الله، جمال الدين ابن النقيب (٦١١ – ٦٩٨هـ): مفسر، من فقهاء الحنفية.أصله من بلخ، مولده ووفاته في القدس. له(تفسير) كبير حافل، سماه (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير) قال المقريزي في سبعين مجلدة. انظر: الأعلام (١٥٠/٦).

(٢) قال أبو حيان الأندلسي: وقد أكثر صاحب كتاب التحرير والتحبير بحسب ما قاله هؤلاء الغلاة الذين ينسبون للصوفية في كل آية آية، ويسمي ذلك الحقائق، وأرباب القلوب وما ادعوا فهمه في القرآن لم يفهمه عربي قط، ولا أراده الله تعالى بتلك الألفاظ، نعوذ بالله من ذلك. انظر: البحر المحيط(١٨٩/٨).

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (٦٨١هـ) (٢٢٩/٤).

(٤) عبد السلام بن عبد الرحمن أبو الحكم اللخمي الإفريقي الصوفي المعروف بابن برجان (٥٣٦هـ)، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث وعلم الكلام والتصوف مع الزهد والعبادة، وله تواليف منها تفسير القرآن لم يكمل وشرح الأسماء الحسنى، قال ابن حجر: عابوا عليه الإمعان في علم الحرف حتى استعمله في تفسير القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء (٧٢/٢٠)، لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (١٧٣/٥).

(٥) قال ابن خلكان: حتى وجدته على هذه الصورة، لكن كان هذا الفصل مكتوبا في الحاشية بخط غير الأصل، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به، وذكر له حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك حتى حرره من قوله تعالى:[بِضْعِ سِنِينَ] {الرُّوم:٤}. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (٢٣٠/٤)، قلت: وهنا نضع علامة استفهام، فمع كونه كلاماً مهماً، واستنباطاً رائعاً، فلماذا يوضع في الحاشية؟ ولماذا يختلف في الخط؟ بل قد=

نظائر كثيرة. فالإنصاف كل الإنصاف التسليم للسادة الصوفية ما هم عليه، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق والعلائق إليه.

وإذا لم تر الهلال فسلم *** لأناس رأوه بالأبصار.[1]

كما احتج القائلون بجواز التفسير الإشاري بعدة أدلة نجملها فيما يلي:

٤. الآيات التي تأمر بالتدبر، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، قالوا فالقرآن يحث على تدبره واستنباط لطائفه وإشاراته.[2]

٥. ما أخرجه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون فى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النَّصر:١]. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النَّصر:٣].. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مَا تقول".[3] وقد علق الحافظ ابن حجر على هذا الحديث، فقال: "فيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم؛ ولهذا قال علي رضي الله عنه: أو فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن"[4]. وقال الدكتور الذهبي: "فبعض الصحابة رضي الله عنهم لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن

=ذكر المحقق عن موسى بن أحمد لطف الله به، قوله: وقعت في القاهرة ودمشق على ثلاث نسخ من التفسير المذكور وهذا الفصل المشار إليه لكنه مكتوب على الجميع على الحاشية بعد خط الأصل.

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٧–٨). وستأتي مناقشة كلام الألوسي –إن شاء الله تعالى– ص٥٢ من هذه الرسالة.

(٢) التفسير والمفسرون (٢/٢٦٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، ح(٤٢٩٤)، (٥/١٤٩). وكتاب التفسير، باب قوله [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا]، ح(٤٩٧٠)، (٦/١٧٩).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٨/٧٣٦).

عباس رضي الله عنهما وعمر رضي الله عنه، فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر، هو المعنى الباطن الذي تدل عليه السورة بطريق الإشارة."[١]

(١) التفسير والمفسرون (٢/٢٦٣).

المبحث الثاني
مناقشة التفسير الصوفي الإشاري

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الفرق بين التفسير الصوفي والتفسير الباطني
- **المطلب الثاني:** تقسيم الصوفية القرآن إلى ظاهر وباطن، وأثر ذلك في تفاسيرهم
- **المطلب الثالث:** مناقشة كلام الألوسي في التفسير الإشاري

المطلب الأول: الفرق بين التفسير الصوفي والتفسير الباطني

ويشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: التعريف بالباطنية وطريقتهم في التفسير

الباطنية مأخوذة من كلمة بطن، والبطن: الغامض من الأرض. وهو خلاف الظهر، وبطن كل شيء جوفه. وبطن الشيء بطونا خفي.(١)

"وأطلق لقب الباطنية للدلالة على طائفة من الناس استغلت التشيع كستار لتحقيق أهدافها"(٢)، وهم كما قال الإمام الغزالي: "مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض".(٣) "ولقبوا باطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر".(٤) فهم لا يعبئون بظواهر النصوص لأنها عندهم من القشور، ولا يأخذون بها، قال الزرقاني: "الباطنية قوم رفضوا الأخذ بظاهر القرآن، وقالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه دون ظاهره".(٥) وقصدوا بمذهبهم الخبيث هذا هدم الشريعة، وإفراغها من محتواها، وذلك بتأويل ظواهرها وتنزيلها على معاني جديدة تتوافق مع أهوائهم، فهم بطريقتهم هذه يريدون إبطال ثقة المسلمين بالألفاظ الشرعية ومدلولاتها. وهذا مذهب عظيم الضرر على الشريعة، يقتضي بطلان الثقة بالألفاظ وسقوط المنفعة بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر، ويمكن تنزيله على وجوه شتى.(٦)

والتأويل الباطني هو: "صرف اللفظ عن معناه أو عن ظاهر معناه بلا دليل ولا قرينة".(٧) فهو يُحَمِّل القرآن ما يشاء من المعاني -مما يتوافق مع غرضه وهواه- من غير ضابط يحكمه أو يقيده.

ويمثل الإمام الغزالي للتأويل الباطني، فيقول: ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [النَّازعات:١٧] أنه إشارة إلى قلبه، وأن المراد بفرعون هو الطاغي على كل إنسان، وفي قوله تعالى:﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾[القصص:٣١] أي ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغي أن يلقيه، وأمثال ذلك حتى يحرفون

---

(١) انظر: لسان العرب (٣٠٣/١)، جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي(٣٦٠/١)، المعجم الوسيط(٦٢/١).

(٢) الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه، أحمد عرفات القاضي (ص ١٤).

(٣) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) (ص ٣٧).

(٤) المصدر السابق (ص ١١).

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٦٣).

(٦) انظر: إحياء علوم الدين (٣٧/١)، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د.عدنان زرزور (ص ٣٥٣).

(٧) علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د.عدنان زرزور (ص٣٥١).

القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وسائر العلماء، وهذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له، فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين. (١)

الفرع الثاني: باطنية الصوفية

ولقب "الباطنية" استخدم أيضاً، بطريقة التوسع اللفظي بمعنى أعم من السابق والمخصص بطائفة معينة، فالباطنية لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينهما هي التأويل الباطني للنص، مع إدعاء أن ذلك هو المعنى المراد. وممن كان يستخدم لقب الباطنية بهذا المعنى الواسع في مناقشته للفرق المختلفة الإمام ابن تيمية.(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهؤلاء الباطنية قد يفسرون: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، أنه عليّ رضي الله عنه، ويفسرون قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] بأنهما أبو بكر وعمر، وقوله: ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢] أنهم طلحة والزبير رضي الله عنهما، و﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] بأنها بنو أمية. وأما باطنية الصوفية فيقولون في قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْن﴾ [النازعات: ١٧]: إنه القلب، و﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧]: إنها النفس، ويقول أولئك: هي عائشة رضي الله عنها....(٣)

فتحدث شيخ الإسلام عن نوعين من الباطنية، كل منهما يؤول النصوص بحسب ما يتفق مع الشعار الذي يتخذه؛ فباطنية الصوفية يظهرون شعار السلوك والعبادة، وباطنية الرافضة يظهرون شعار التشيع لآل البيت. وهذا يعني أن الباطنية غدت طريقة في التفسير، ومنهجية في التعامل مع النصوص، هذه المنهجية وقع فيها كثير من الفرق المنحرفة، منهم غلاة الصوفية كابن عربي والحلاج، وغيرهما، ومنهم الفلاسفة والرافضة وغيرهم.

الفرع الثالث: الفرق بين التفسير الباطني والتفسير الإشاري

من خلال ما سبق يتضح الفرق جلياً بين التفسير الباطني والتفسير الإشاري، في قضية جوهرية، وهي قبول الظاهر أو عدم قبوله. "فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٣٧/١).

(٢) انظر: الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه (ص ١٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٧/١٣).

ويقولون لا بد منه أولا. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة."[1] قال العلامة ابن عاشور: "أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية".[2] وبنحو ما ذكر ابن عاشور فرق الإمام ابن الصلاح بين التفسيرين، ثم علق قائلاً: "ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس".[3]

ومع أن التفسير الإشاري يؤمن بالمعني الظاهر، إلا أنه يقسم القرآن إلى ظاهر وباطن، وهذا ما سنناقشه في المبحث التالي. وبالله التوفيق.

المطلب الثاني: تقسيم الصوفية القرآن إلى ظاهر وباطن، وأثر ذلك في تفاسيرهم

ويشتمل على أربعة فروع:

الفرع الأول: فكرة الظاهر والباطن عند الصوفية

يعتمد التفسير الصوفي على المنطلقات والأفكار الصوفية في التعامل مع القرآن الكريم، ومن ذلك: تقسيمهم الإسلام إلى ظاهر وباطن[4]، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله. وقد أثرت هذه الفكرة كثيرا على الصوفية في تفاسيرهم وتعاملهم مع القرآن.

ويرى بعض الباحثين أن جذور هذه الفكرة تعود إلى الفكر الباطني الشيعي، يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: "وأما الفكرة الأخرى التي تسربت إلى التصوف من التشيع، واعتنقها الصوفية بتمامها هي فكرة تقسيم الشريعة إلى الظاهر والباطن، والعام والخاص. ومنها تدرجت وتطرقت إلى التأويل الباطني والتفسير المعنوي، وتفريق المسلمين بين العامة والخاصة، فإن الشيعة بجميع فرقها، وخاصة الإسماعيلية منهم يعتقدون أن لكل ظاهر باطنا، وقد اختص بمعرفة الباطن علي ﷺ، وأولاده أي أئمتهم المعصومون حسب زعمهم ، فسموا الموالين لهم بالخاصة، وغير المؤمنين بهذه الفكرة بالعامة ....ثم قالوا: إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو

---

(١) انظر: روح المعاني (٧/١)، مناهل العرفان في علوم القرآن (٦٧/٢)،

(٢) التحرير والتنوير(٣٤/١)، وانظر: البحر المديد (٤٩/١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢٣٠٩/٦).

(٤) انظر: اللمع (ص٤٤)، البحر المديد (٣٠٩/٥).

الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد ﷺ، وصاحب الحقيقة هو الوصي علي بن أبي طالب ﷺ". [١]

جاء في أصول الكافي للكليني: عن محمد بن منصور قال: "سألت عبداً صالحاً[٢] عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]؟ فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق" [٣] فتقرر هذه الرواية الواردة في أصح الكتب عند الشيعة، أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن لكل آية معنيين، معنى ظاهر وهو ظاهر التفسير، ومعنى باطن وهو حمل الآية على الأئمة.[٤]

الفرع الثاني: حقيقة علم الباطن عند الصوفية:

قال ابن الجوزي: "ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بُعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر".[٥] "ومعنى هذا أن علم الباطن هو التصوف بعينه".[٦]

وتحدث الغزالي عن العلم الباطن فيسميه "علم المكاشفة" [٧] ووصفه بقوله: لا رخصة في إيداعه في الكتب[٨]، ويقول شارحاً له: "هو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك

---

(١) انظر: التصوف المنشأ والمصادر (ص ٢٤٣)، وبتوسع في الموضوع: العلاقة بين التشيع و التصوف .. رسالة دكتوراة، فلاح إسماعيل أحمد (ص ١٨٢) وما بعدها، الفكر الصوفي في ضوء القرآن والسنة (ص٤٢١) وما بعدها.

(٢) يعنون به موسى الكاظم والذي يعتبرونه إمامهم السابع .انظر: أصول الكافي، الكليني (٣٢٩ هـ)، (٣٧٤/١) بالهامش.

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٧٤).

(٤) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري (١٥٠/١).

(٥) تلبيس إبليس (ص ١٥٨).

(٦) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٢٤٨).

(٧) انظر: إحياء علوم الدين (١٩/١). التعرف على مذهب التصوف (ص٨٧).

(٨) انظر: إحياء علوم الدين (٤/١).

حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين والمعرفة بملكوت السموات والأرض .... [١]
ويقول: " فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك."[٢]

ويذكر الغزالي بعض هذه المجاهدات والرياضات التي تفضي إلى المشاهدة، فيذكر عن أبي يزيد البسطامي قوله:" الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة".[٣]

إذن فهذا العلم الباطن عند الصوفية يختلف عن العلم الظاهر –حسب تقسيمهم– في مصادره، فهو يعتمد على الكشف الصوفي، بينما يعتمد العلم الظاهر على الكتاب والسنة، وأيضاً في وسائله كما جاء عن أبي يزيد وغيره.

الفرع الثالث: علاقة علم الباطن بالتفسير الصوفي:

لما قسم الصوفية الدين إلى ظاهر وباطن، جعلوا القرآن ظاهراً وباطنا، فالظاهر هو ما جاء في كتب التفسير على لسان أهل الشريعة من ذكر أسباب النزول ومعاني المفردات القرآنية والقراءات وغير ذلك، والباطن هي إشاراتهم وإلهاماتهم التي تنكشف لهم، وهي على لسان أهل الحقيقة.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٠/١).

(٢) المصدر السابق (٧١/١)، (٢٣/٣).

(٣) المصدر السابق (٨٤/٢)، وانظر الرسالة القشيرية (٢٧٠/١) ويذكر الغزالي قصة عن أبي اليزيد، فيقول: حكي أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبى يزيد، فقال له يوما: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر، وأقوم الليل لا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا. وأنا أصدق به وأحبه، فقال أبو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة، قال: ولم، قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: فلهذا دواء، قال: نعم، قال قل لي حتى أعمله، قال: لا تقبله، قال: فاذكره لي حتى أعمل، قال: اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك ... ابتدئ بهذا قبل كل شيء، فقال: لا أطيقه، قال: قد قلت لك أنك لا تقبل ، ثم علق الغزالي قائلاً: فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله. انظر: المصدر السابق (٣٥٨/٤)، والتعقيب عليها: تلبيس إبليس (ص٣١٢) وما بعدها.

قال أبو عبد الرحمن السلمي[1] في مقدمة تفسيره الذي سماه حقائق التفسير: لمّا رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصّل، وناسخ، ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة أحببت أن أجمع حروفا أستحسنها من ذلك وأضمّ أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي.[2]

وقال ابن عجيبة[3]: "اعلم أن القرآن العظيم له ظاهر لأهل الظاهر، وباطن لأهل الباطن، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أهل الباطن، لا يفهمه غيرهم ولا يذوقه سواهم، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر، ثم يشير إلى علم الباطن بعبارة رقيقة وإشارة دقيقة ، فمن لم يبلغ فهمه لذوق تلك الأسرار فليسلّم، ولا يبادر بالإنكار فإنّ علم الأذواق من وراء طور العقول، ولا يدرك بتواتر النقول".[4] وقال أيضاً: وقد ندبني شيخاي العارفان الربانيان أن أضع تفسيرا يكون جامعا بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، فأجبت سؤالهم وأسعفت طلبتهم.[5]

الفرع الرابع: حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن)

من أدلة الصوفية على التفسير الإشاري ما روي عن عبد الله ابن مسعود ﷺ مرفوعا: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطنٌ، ولكل حرف حَدٌّ، ولكل حدٍّ مُطَّلَع.[6] وقد جاء في معظم كتب التفسير الإشارية.[7] وعلى فرض صحته، فقد اختلف أهل العلم في معناه.

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمي(٣٢٥- ٤١٢هـ) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، السلمي الأم، محدث، شيخ الصوفية، وعالمهم بخراسان صنف لهم سننا وتفسيرا و تاريخا وغير ذلك، قال ابن حجر: تكلموا فيه وليس بعمدة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٧)، لسان الميزان (٩٢/٧)، طبقات المفسرين للسيوطي(٨٤/١)، الأعلام (٩٩/٦).

(٢) انظر: حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن السلمي (٤١٢هـ) (١٩/١).

(٣) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني (١١٦٠هـ/١٢٢٤هـ): مفسر، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم من أهل المغرب، له كتب كثيرة، منها: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، وغيرها. انظر: الأعلام (٢٤٤/١)، معجم المؤلفين (١٦٣/٢).

(٤) البحر المديد (١ / ٤٩).

(٥) انظر:البحر المديد (١/ ٥٠).

(٦) تقدم تخريجه ص٣٩ من هذه الرسالة.

(٧) انظر: حقائق التفسير (٢١/١)، البحر المديد (٥٠/١)، روح البيان، إسماعيل حقي (٦٢/١)، روح المعاني(٧/١)

فقال الإمام الطبري: "ظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله،" [(١)]، وعلق عليه محققه العلامة أحمد شاكر فقال: الظاهر: هو ما تعرفه من كلامها، وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام. والباطن: هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه، ولم يرد الطبري ما تفعله الطائفة الصوفية وأشباههم في التلاعب بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعبث بدلالات ألفاظ القرآن، وادعائهم أن لألفاظه "ظاهراً" هو الذي يعلمه علماء المسلمين، و"باطناً" يعلمه أهل الحقيقة فيما يزعمون.[(٢)]

وقال الإمام الطحاوي: الظهر منها هو ما يظهر من معناها، والبطن منها هو ما يبطن من معناها، ودل ذلك على أن على الناس طلب باطنها، كما عليهم طلب ظاهرها، ليقفوا على ما في كل واحد منهما مما تعبدهم الله به، وما فيه من حلال ومن حرام[(٣)]، وقال أبو عبيد: إن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين إنما هو حديث حدث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم.[(٤)]

فهذه بعض ما ذكره العلماء وحملوا عليه الحديث من أوجه صحيحة، ولعل أقربها ما ذكره الشيخ أحمد شاكر في توضيح معنى الحديث، وهو لا يعارض ما ذكره الإمامان الطبري والطحاوي.

وقد عرفت الطوائف المختلفة من هذا الحديث مشربها، فكل أوله على هواه ونحلته، وادعى أن ما هم عليه هو الباطن الذي عني بهذا الحديث، واستُخدم شعار علم الباطن في تسويغ كل الأفكار والمعتقدات المبتدعة التي لا دليل عليها من القرآن أو السنة[(٥)]، فإذا اعترض أحد على أيٍ من هذه الفرق، أجابوه: هذا من علم الباطن.

وتقدم قول ابن النقيب في تفسير الظاهر والباطن أن الظاهر ما ظهر من المعاني لأهل العلم– وهذا يشمل التدبر والاستنباط–، والباطن ما تضمنه القرآن من أسرار، وهذا لأهل الحقائق. وهو الذي عناه العلامة أحمد شاكر في قوله: "ولم يرد الطبري ما تفعله الطائفة الصوفية

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٧٢/١).

(٢) المصدر السابق (٧٢/١).

(٣) شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي (٨٧/٨).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٢٣١٢/٦). وانظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (٦٧/٢).

(٥) لأنهم يعلمون أنه لا دليل عليها فلجئوا إلى القول بأن هذا من علم الباطن، ولو كان أمراً مهماً لجاء واضحا مأموراً به في كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى:﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

وأشباههم في التلاعب بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعبث بدلالات ألفاظ القرآن، وادعائهم أن لألفاظه (ظاهراً) هو الذي يعلمه علماء المسلمين، و(باطناً) يعلمه أهل الحقيقة فيما يزعمون". وهذا الباطن إذا لم يعلمه علماء الإسلام وأئمته- وقد أفنوا أعمارهم في فهم وتدبر كتاب الله، فمن يعلمه؟

كما نلحظ المشابهة بين الرافضة والصوفية في تفسيرهم للظاهر والباطن من وجه دون أخر، فالرافضة والصوفية اتفقوا في المراد بالظاهر وهو ظاهر التفسير، واختلفوا في الباطن، فعند الشيعة هو تنزيل الآيات على الأئمة، وأما عند الصوفية فهو تنزيل الآيات على عالم القلب، والملاحظ أن الفرقتين -وإن اختلفتا في تعيين هذا الباطن- فقد اتفقا في السمة العامة لهذا العلم.

قال ابن حزم الأندلسي في الرد على هؤلاء: هذه كلها مرسلات لا تقوم بها حجة أصلا، ولو صحت لما كان لهم في شيء منها حجة بوجه من الوجوه؛ لأنه لو كان كما ذكروا لكل آية ظهر وبطن لكنا لا سبيل لنا إلى علم الباطن منها بظن ولا بقول قائل، لكن ببيان النبي ﷺ الذي أمره الله تعالى بأن يبين للناس ما نزل إليهم، فليس أحد أولى بالتأويل-في باطن ما تحتمله تلك الآية من آخر.... وقد أتت الأحاديث الصحاح بحمل كل كلام على ظاهره.(1)

ثم نسأل: إن كان هناك باطناً لكل آية، هل يكون هذا الباطن عبارة عن ألغاز وأحاجي لا يفهمها إلا المتصوفة، ولماذا لم ينقل عن الصحابة‬ﷺ، وهم أعلم الأمة بكلام الله، وأصحهم أفهاماً وأصفاهم قلوباً شيء من هذا؟ وقد قال الإمام الطحاوي: فعلى الناس طلب باطنها كما عليهم طلب ظاهرها. فهل اعتنى الصحابة ﷺ بالظاهر وتركوا البواطن؟، وأيضاً: ما هو الطريق إلى معرفة هذه البواطن؟ هل هو رياضة أو كشف-الله أعلم بحالهما-؟

إن ما ذكره الصوفية في بواطن بعض الآيات لا يخرج عن كونه تمثيل بالآية، والقياس عليها، أو التكلف في حملها على عالم النفس، فأين تلك الدعاوي التي يزعمونها في علمهم الباطن، وأنه يأتي بالمجاهدة والرياضة، إلى غير ذلك من الدعاوي؟

فمثلاً، عند قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦]، يقول: التستري(2) في تفسيره: أما ظاهرها فالجار الجنب: البعيد الأجنبي، والصاحب بالجنب: هو الرفيق في السفر، وقد قيل الزوجة، وابن

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) (٢٨١/٣).

(٢) التُسْتَري (٢٠٠ – ٢٨٣ هـ) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد، لقي في الحج ذا النون المصري، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠)، الأعلام (١٤٣/٣)، صفة الصفوة (٦٤/٤).

السبيل: الضيف، أما باطنها فالجار ذو القربى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدي بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله، هذا باطن الآية.[١]، وقال عند قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم:٤١] قال: مثل الله تعالى الجوارح بالبر، ومثل القلب بالبحر، وهم أعم نفعاً وأكثر خطراً، هذا باطن الآية. [٢]

إن ما ذكره التستري من كونه باطن الآية ليس يشهد له دليل، لا من القرآن، ولا من السنة، ولا من اللغة. وإنما هو من باب التمثيل وإلحاق النظير بمثله، هذا إن صح ذلك، وهو قد اعترف بالمعنى الظاهر للآية، فهل يحتاج مثل هذا التفسير للرياضة والكشف الذي يزعمونه؟ ثم إن ما ذكره لا يعتمد على الرياضة أو المجاهدة، وإنما يعتمد على الخيال الصوفي.

كما أنه يمكننا أن نبتعد عن هذه الحذلقة المذمومة بالتفسير الظاهر، فالآية نصت على أن سبب الفساد الموجود ناتج بما كسبت أيدي الناس من الذنوب، وهذه الذنوب تعم ذنوب القلب والجوارح، بل سبب فساد الجوارح فساد القلوب.

لا شك أن للقرآن العظيم أسرارَه العظيمةَ، ولفتاتِهِ الباهرةَ، ولا ريب أنه بحر عظيم لا تنفد كنوزه، ولا تنقضي عجائبه، ولكن ذلك كله منوط بما يتسع له اللفظ، ويشهد له الدليل الصحيح، ولا يخرج عن إطار المعنى العام، أما أن تكون هذه الاستنباطات من باب الدعاوى، بمجرد خيالات، لا تتصل بمدلول الألفاظ، ولا بمفهومها، ولا بالسياق القرآني، فلا.

ولنا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لسورة النصر أسوة حسنة في الفهم والاستنباط، فهو لم يخرج في تفسيره عن اللفظ أو السياق، ولم يأتي بما جاءت به المتصوفة من الرمز والإلغاز في تفاسيرهم، كما أنه التزم هدي النبي ﷺ وطريقته التي هي طريق الهداية والتوفيق من الله عز وجل.

المطلب الثالث: مناقشة كلام الألوسي في التفسير الإشاري

ومناقشة كلام الألوسي في عدة نقاط، كما يلي:

- أولاً: تكلم الألوسي عن القرآن وسعة معانيه وأنه مشتمل على خفايا الملك والملكوت، قال رحمه الله: ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، بل ما من حادثة ترسم بقلم القضاء في

(١) تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (٢٨٣هـ) (ص ٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص ١٢١).

لوح الزمان إلا وفي القرآن العظيم إشارة إليها فهو المشتمل على خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت...[١]

قلت: لنستمع لما قاله الإمام الشاطبي حول هذا الموضوع، ففيه الرد الشافي على ما ذكره الألوسي، قال رحمه الله: "إن كثيرًا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف....وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]. وقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، ونحو ذلك، وبفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب، وبما نقل عن الناس فيها، وربما حكي من ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أشياء. فأما الآيات، فالمراد بها عند المفسرين[٢] ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية." [٣]

فلا دلالة في هذه الآيات على ما ذكره الألوسي في عموم القرآن، كما ذكر أيضاً مثله عن التوراة، فعند قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٤٥] يذكر عن كعب الأحبار[٤] أنه حين بلغ صفين، وقف ثم نظر ساعة، ثم قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله، فقيل له: ما يدريك فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى به فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة." ثم يعلق الألوسي عليه فيقول: ظاهر في أن كل شيء أعم مما ذكر، ولعل ذكر ذلك من باب الرمز كما ندعيه في القرآن.[٥]

---

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨/١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٢٠/٦)، مفاتيح الغيب (١٧٧/١٢).

(٣) الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) (١٢٩/٢).

(٤) كعب بن ماتع الحميري اليماني (المتوفى ٣٢هـ) العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة.وكان حسن الإسلام. ومن أهل العلم المعاصرين من تكلم في عدالته. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٩)، تفسير المنار(١٠/١)، الأعلام (٥/ ٢٢٨)، التفسير والمفسرون (١٣٥/١).

(٥) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٥٧/٩).

ومع أن الألوسي شديد النقد للإسرائيليات[1]، إلا أنه وقع فيما وقع فيه لأجل نزعته الصوفية.[2]

وقد نقل هذه القصة الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره، ثم قال: وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب، وإن كنت أخالف الجمهور في مسألة تعديله، وتأول الألوسي له هذا القول الظاهر بطلانه بالبداهة بقوله: "ولعل ذلك من باب الرمز كما ندعيه في القرآن" وما ذكرت هذا إلا للتعجيب من فتنة هذه الروايات الباطلة إلى أي حد وأي زمن وصل تأثيرها السيئ، حتى إن هذا النقادة قد اغتر بمثل هذا منها، وتأوله بما هو باطل مثله، فإنه لم يصح عن أحد من أئمة المسلمين الذين يعتد بعلمهم بكتاب الله تعالى أنه ليس في العالم أو في الأرض شبر إلا وقد كتب فيه – أي: القرآن– ما يقع فيه وما يخرج منه، وإنما قال مثل هذا بعض المجازفين والخياليين من الصوفية على أنه من الكشف الذي يدعونه.[3]

- ثانياً: وأما ما ذكره الألوسي من استنباط ابن برجان لفتح بيت المقدس من مطلع سورة الروم، فقد رد عليه الإمام السخاوي بقوله: ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف، وإنما أخذه فيما زعم من قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[الرُّوم:١-٣]. فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا، ويغلبون في سنة كذا وكذا، على ما تقتضيه دوائر التقدير، ثم قال: وهذه نجابة وافقت إصابة، إن صح، قال ذلك قبل وقوعه، وكان في كتابه قبل حدوثه[4]، قال: وليس هذا من قبيل علم الحروف، ولا من باب الكرامات والمكاشفات، ولا ينال في حساب، وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه.[5]

وقد ذكر الألوسي عن ابن عربي[6] مثل ما ذكره عن ابن برجان، لكن ابن عربي أخذه من الحروف المقطعة في بداية السورة:﴿الم﴾.[الرُّوم:١].، ثم قال الألوسي: "وإذا علمت أن هذه الفواتح السر الأعظم والبحر الخضم فاعلم أن كل ما ذكر الناس فيها رشفة من بحار معانيها ..." [7]

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (٢٥٠/١).

(٢) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد أبو شهبة (ص ٢٠٣).

(٣) انظر: تفسير المنار (١٦٤/٩).

(٤) أشار الباحث سابقاً إلى هذه النقطة المهمة ص٤٠ (في الحاشية) من هذه الرسالة.

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٣٩٩).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠٢/١).

(٧) المصدر السابق (١٠٣/١).

بل وحكى الألوسي عن ابن عربي أنه سقط مرة عن حماره فجاءوا ليحملوه، فقال: أمهلوني، فأمهلوه يسيراً، ثم أذن لهم فحملوه، فقيل له في ذلك، فقال: راجعت كتاب الله تعالى فوجدت فيه خبر هذه الحادثة قد ذكرت في الفاتحة، قال الألوسي: وهذا أمر لا تصله عقولنا ومثله استخراج بعضهم من الفاتحة أيضا أسماء سلاطين ءال عثمان وأحوالهم.... [١]

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام لماذا لم يعرف الصحابة ولا التابعون هذا النوع من التفسير الذي نقله الألوسي عن ابن عربي؟ فمثلاً لم يستنبط بعضهم أسماء الخلفاء أو وقائع مشهورة أو تاريخ وفاة النبي من القرآن الكريم، هل لم يصل هؤلاء الآجلة من الصحابةﷺ وعلماء المسلمين –رحمهم الله– إلى ما وصل إليه ابن عربي وأمثاله في فهم القرآن والاستنباط منه، واستخراج أسراره!، كلا ثم كلا.

والألوسي بهذه النقولات قد فتح باباً واسعاً أمام كل من يريد أن يتكلم في الغيبيات ويزعم أن ذلك من الأسرار التي دلت عليها الآيات، كما فعله بعض الصوفية والذين تأثر الألوسي بكلامهم في هذه المسألة، فمثلاً أبو الحسن الحراني[٢] الصوفي في تفسيره –كما قال الإمام الذهبي عنه–: تكلم في علم الحروف والأعداد، وزعم أنه استخرج منه وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها[٣]، وقال أيضاً: وزعم أنه استخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها، وهذه علوم وتحديدات ما علمتها رسل الله بل كل منهم حتى نوح عليه الصلاة والسلام: يتخوف الدجال وينذر أمته الدجال [٤]، وهذا نبينا ﷺ يقول: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه" [٥] وهؤلاء الجهلة يدعون معرفة متى يخرج نسأل الله السلامة.[٦]

وأيضاً بعض غلاة الصوفية وغيرهم تنبئوا بوقوع أحداث ووقائع ادعوا استنباطها من الحروف المقطعة في القرآن الكريم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلهذا تجد عامة من في

---

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤٤/٧).

(٢) علي بن أحمد بن الحسن الحراني أو الحرالي، أبو الحسن(٦٣٨ هـ): مفسر، من علماء المغرب، قال الذهبي: وكان شيخنا ابن تيمية، وغيره يحط على كلامه ويقول: تصوفه على طريقة الفلاسفة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧/٢٣) تاريخ الإسلام (٣٣٦/٤٦-٣٣٧)، الأعلام (٢٥٦/٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٧/٢٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، ح ٣٠٥٧، (٧١/٤)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح ٧٥٤٠، (١٩٣/٨)، ولفظ البخاري: (ما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه....).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح ٧٥٦٠، (١٩٧/٨).

(٦) انظر: ميزان الاعتدال (١١٤/٣)، لسان الميزان، ابن حجر (٤٩٧/٥)، وكتاب اللسان هو مختصر الميزان.

دينه فساد يدخل في الأكاذيب الكونية مثل أهل الاتحاد فإن ابن عربي في كتابه عنقاء مغرب وغيره أخبر بمستقبلات كثيرة عامتها كذب، وكذلك الذين استخرجوا مدة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل من حروف المعجم الذي ورثوه من اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثوه من الصابئة كما فعل بعض الفلاسفة، وكما فعل بعض من تكلم في تفسير القرآن من أصحاب الرازي ...وقد رأيت من أتباع هؤلاء طوائف يدعون أن هذه الأمور من الأسرار المخزونة والعلوم المصونة وخاطبت في ذلك طوائف منهم وكنت أحلف لهم أن هذا كذب مفترى وأنه لا يجري من هذه الأمور شيء... "[1] قلت: فبين شيخ الإسلام أنهم أخذوه من اليهود.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الرد على هذا التفسير وبيان خطئه وبدعته: أما فواتح السور: تفسيرها بما لا عهد به [2]، فلا يكون، ولم يدَّعِهِ أحد ممن تقدم، فلا دليل فيها على ما ادَّعوا، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه.[3]، وقال الحافظ ابن حجر: وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما الزجر عن عد أبي جاد والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له في الشريعة [4]. قلت ومع هذا فالعجب كل العجب من الألوسي وهو من أهل التحقيق العلمي كيف غلبته نزعته الصوفية.

- ثالثاً: وأما قول الألوسي: فالإنصاف كل الإنصاف التسليم للسادة الصوفية، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق والعلائق إليه....، فيقول الشيخ الذهبي معقباً عليه: ومثل هذه الأقوال أشبه ما تكون بالإكراه لنا على قبول وجدانيات القوم وشطحاتهم مهما أوغلت فى البُعْد والغرابة، وتوريط لنا بتسليم كل ما يقولون تحت تأثير ما لهم في نفوسنا من المكانة العلمية والدينية. [5]

---

(١) مجموع الفتاوى (٨٢/١).

(٢) قال محققه الشيخ: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: من فهمها على أنها أسرار ورموز لحقائق أو أحداث حاصلة أو تحصل، من مثل ما يشير إليه الألوسي في مقدمة تفسيره. انظر: الموافقات (١٢٩/٢)

(٣) المرجع السابق (١٢٩/٢).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٥١/١١). وانظر في تفصيل علاقة الصوفية بعلم الحروف واستخداماته عندهم والرد عليهم: أسرار الحروف وحساب الجمل عرض ونقد، طارق بن سعيد القحطاني، رسالة ماجستير (ص١٣٨-٢٠٣). وقد بين الباحث فيه أن علم الحروف أخذه الصوفية من الرافضة وخصوصاً: الباطنية، والذين أخذوه من اليهود، كما تحدث عن ارتباط علم الحروف بالسحر، وعلاقة الصوفية بالسحر، وانظر في استدلال الباطنية بالأعداد والأرقام: فضائح الباطنية (ص٦٦) وما بعدها.

(٥) التفسير والمفسرون (٢٧٩/٢).

فأقوال المتصوفة وأقوال غيرهم يجب أن تعرض على ميزان الشرع، وعليهم أن يحتكموا إلى الشريعة المحمدية، وإلا فليراجعوا إيمانهم بها، قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، ويجب على المسلم أن يتقيد بالشرع في أقواله وأفعاله، والصحابة ﷺ أفضل هذه الأمة، ومع ذلك لم يشطحوا ولم يلغزوا في عباراتهم ولم يقولوا هذا طور ما وراء العقل، ولم يرد عن أفضلهم أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام أو بالمهدي ﷺ الذي لم يولد بعد، كما يذكر الألوسي عن الكُمَّل من المتصوفة[١]، فلا تسليم في هذه الشريعة إلا للكتاب والسنة، أما غيرهما فيؤخذ منه ويرد.

المبحث الثالث: قواعد وضوابط في التعامل مع التفسير الإشاري مع التمثيل

تحدث الباحث عن التفسير الصوفي، وأنواعه، وأدلته....الخ، وفي هذا المبحث يلخص القواعد والضوابط في التعامل مع هذا التفسير، مستنداً إلى أقوال العلماء في ذلك، مع التمثيل لذلك بنماذج من تفاسير الصوفية للتوضيح، كما يلي:

١. يمكننا تقسيم التفسير الصوفي بحسب قبوله ورده إلى قسمين:

- **القسم الأول:** ما لا يقبل مطلقاً: ومنه:

أ- التفسير النظري الفلسفي، وهو تفسير باطني مرفوض وقد تقدم الحديث عنه.

ب- التفسير الحرفي الإشاري، وهو ما يأخذه الصوفية من إشارات عجيبة من رسم المصحف أو حركات الأحرف، أو من الحروف المقطعة، أو إدعاء أن هذه الحروف ترمز إلى أسرار غيبية ومعان مكنية، أو أن فيها رموز وإشارات إلى حوادث مستقبلة تستخرج عن طريق علم الحروف أو حساب الجمل، فهذا كله باطل من هذيان الصوفية ادعوه على القرآن، ولا يوجد له من الشرع أي دليل يدل عليه، وهو تفسير بدعي لم يعرفه سلف الأمة ﷺ، بل يدخل بعضها في جملة السحر كما تقدم، وهذه المسائل تتعلق بكتاب الله. فخطبها عظيم. فيجب أن يحتاط فيها المسلم أتم الاحتياط. [٢]

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٢٧/١٥).

(٢) انظر في الرد على هذا النوع من التفسير وبين انحرافه: الموافقات (٢٣٥/٤) وما بعدها، التفسير والمفسرون (٢٦٨/٢) وما بعدها، شرح مقدمة في أصول التفسير، صالح آل شيخ (ص ١٣٠).

ومن الأمثلة على التفسير الإشاري الحرفي: ما جاء في تفسير التستري في تفسير البسملة، قال التستري: "الباء بَهاء الله عزَّ وجلَّ. والسين سناء الله عزَّ وجلَّ. والميم مجد الله عزّ وجلّ .والله: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة. لا ينال فهمه إلاَّ الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان".(١) ومثله أيضاً ما جاء في حقائق التفسير للسلمي، عند قوله تعالى: ﴿المص﴾ [الأعراف:١] ينقل عن الحلاج قوله: في القرآن علم كل شيء وعلم القرآن في الأحرف الست في أوائل السور، وعلم الحروف في لام الألف، وعلم لام الألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية... في غيب الهو.(٢) ومثله أيضاً ما جاء في البحر المديد، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الم﴾ [البقرة:١] ، قال ابن عجيبة: يقول أهل الإشارة: يقول الحق جل جلاله: ألف: أفرد سرّك إليّ، انفراد الألف عن سائر الحروف، واللام: ليّن جوارحك لعبادتي ، والميم: أقم معي بمحو رسومك وصفاتك ، أزينك بصفاء الأنس والقرب مني.(٣) ومثله أيضاً ما جاء عند الألوسي في تفسيره، قال: "قال بعضهم من باب الإشارة: كسرت الباء في البسملة تعليما للتوصل إلى الله تعالى والتعلق بأسمائه بكسر الجناب والخضوع وذل العبودية فلا يتوصل إلى نوع من أنواع المعرفة إلا بنوع من أنواع الذل والكسر...." (٤) وكتب التفاسير الإشارية مليئة بهذا النوع من التفسير.

وأورد هنا فائدة جليلة، ذكرها الفخر الرازي في تفسيره حول هذه التفسيرات، يقول رحمه الله: "ذهب أكثر المتكلمين إلى أنه يجب على المكلف تنزيل ألفاظ القرآن على المعاني التي هي موضوعة لها بحسب اللغة العربية، فأما حملها على معان أُخر لا بهذا الطريق فهذا باطل قطعاً، وذلك مثل الوجوه التي يذكرها أهل الباطن، مثل أنهم تارة يحملون الحروف على حساب الجمل وتارة يحملون كل حرف على شيء آخر، وللصوفية طرق كثيرة في الباب ويسمونها علم المكاشفة والذي يدلل على فساد تلك الوجوه بأسرها قوله تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢]، وإنما سماه عربياً لكونه دالاً على هذه المعاني المخصوصة بوضع العرب وباصطلاحاتهم، وذلك يدل على أن دلالة هذه الألفاظ لم تحصل إلا على تلك

(١) تفسير التستري (٢٢/١).

(٢) انظر: حقائق التفسير(٢١٩/٢).

(٣) انظر: البحر المديد (٧١،٧٢/١)، حقائق التفسير (٤٦/١).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(٥١/١). وانظر أمثلة أخرى على هذا النوع من التفسير: المصدر السابق (٩١/٣)، (٩٧/٨)، (٢٠٨/١٦).

المعاني المخصوصة، وأن ما سواه فهو باطل".[1] قلت: وفي هذه الكلمة فائدة عظيمة حول حول هذه المسألة.

- **القسم الثاني:** ما يقبل بشروط، وهو التفسير الإشاري.

٢. أول شرط لقبول التفسير الإشاري: هو ألا يعتقد أن هذا هو معنى الآية أو تفسيرها، وإلا كان تحريفا للمعنى على طريقة الباطنية، ولذلك. وإنما يقبل التفسير الإشاري من وجهين:

- الأول: من باب الاستنباط من الآية.
- الثاني: يقبل من باب التمثيل بالآية أو القياس عليها وإلحاق النظير بالنظير.

قال الإمام ابن تيمية: "فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس، وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص، لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال، فإن كانت "الإشارة اعتبارية" من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وإن كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية".[2] وقال أيضاً: "أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس، لا من باب دلالة اللفظ، فهذا من نوع القياس، فالذي يسميه الفقهاء قياسا هو الذي يسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك. فمن سمع قول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]،وقال: إنه اللوح المحفوظ أو المصحف، فقال: كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين، كان هذا معنى صحيحا واعتبارا صحيحا؛ ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]".[3]

(١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٨٣/٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٧٧/٦).

(٣) المصدر السابق (٢٤٢/١٣).

٣. ذكر بعض العلماء عدة شروط أخرى يجب تحققها في التفسير الإشاري، حتى يكون استنباطاً صحيحاً يتسم بالقبول. فمثلاً، قال ابن القيم: "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى: وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

أ- ألَّا يناقض معنى الآية.
ب- وأن يكون معنًى صحيحًا في نفسه.
ت- وأن يكون في اللفظ إشعار به.
ث- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا.[١]

ويمكننا أن نمثل لهذا الاستنباط الصحيح الذي تتوافر فيه الشروط المذكورة، بما استنبطه الإمام ابن تيمية وقبله الغزالي، من الحديث الصحيح: إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة.[٢] حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فالملائكة لا تحيط بقلب قد ملئ من كلاب الشبهات وصور الشهوات. فجعل البيت إشارة للقلب، والقلب كالبيت للعقائد والأعمال الباطنة، وجعل الكلب إشارة للشبهات، لأن الكلب لا يزال يلهث، وهكذا الشبهة لا تزال تلهث بصاحبها، أما الشهوة تعرض وتزول، وجعل الصورة إشارة إليها، والصورة من جنس الشهوات. والمعنى صحيح في نفسه "هذا المعنى صحيح جاءت الأدلة بذكره. فالشبهات والشهوات مرض إذا استحكم في العبد أو دخل القلب حفت الشياطين واستحوذت صاحبها وابتعدت عنه ملائكة الرحمة".وهو معنى لا يناقض المعنى الظاهر للحديث، وفي اللفظ إشعار به.[٣]

٤. الاحتياط من الإلباس في التفسير الإشاري، فالمتكلم في إشارات الآية يجب أن ينبه على أن كلامه ليس تفسيراً لها، فلذلك لا يحدث بها عامة الناس ممن لا يميز بين هذه الأمور، قال صاحب المنار: "ما يسمونه بالإشارة، وقد اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم الجوزية (٤٩/١).
(٢) تقدم تخريجه ص٣٨ من هذه الرسالة.
(٣) انظر: شرح مقدمة التفسير، صالح آل الشيخ (ص١٣٠)، إحياء علوم الدين (٤٩/١)، مجموع الفتاوى(٢٤٢/١٣).

الصوفية".[1] وقال الشيخ الذهبي: إن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن، مزَّلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم، ولم يذيعوها على الناس فيوقعوهم في حيرة واختلاف، منهم مَن يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، ومنهم مَن يكذبها على الإطلاق، ويرى أنها تقوُّل على الله وبهتان، ليتهم فعلوا ذلك، إذن لأراحونا من هذه الحيرة، وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم، وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله!!![2] وينصح الزرقاني المسلمين قائلاً لهم: نحذرهم الوقوع في هذه الشباك ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية؛ لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط.[3]

ويرى الباحث: أن من ذلك عدم تسمية الإشارة باطن الآية حتى لا يشتبه كلامه بكلام الباطنية أو حتى الصوفية ممن يقسم الدين إلى ظاهر وباطن، وجعلوا علم الباطن علمهم وأفكارهم، ورفعوا من قدره فجعلوه علم الخاصة، وجعلوا طريقه الكشف...إلخ وقد تقدم الحديث عنه، وأيضاً حتى لا يظن المستمع لهذه الإشارات أن التفسير بالظاهر ما هو إلا ظاهر –قشرة–، أما هذه اللطائف فهي الباطن –اللب– وهي أهم وأنفع. وباطن الآية في الحقيقة هو فهمها ومرادها، –والله أعلم–.

وإنما يسمى الإشارة في الآية، أو الاستنباط من الآية، وبالله التوفيق.

٥. يلاحظ أن الأفكار الصوفية شغلت حيزاً كبيراً من التفاسير الإشارية، فيجعلون في الآية إشارة إلا أفكارهم وأحوالهم، فهذه المعاني تعرض على الكتاب والسنة فما وافقهما منها قُبل، وما خالفهما منها رد على صاحبه، فمثلاً، عند قول تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرَّحمن:١٩]: يتكلم ابن عجيبة في إشارة الآية، فيقول: يُشير إلى بحر علم الشريعة، وبحر علم الحقيقة، يلتقيان في الإنسان الكامل ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[الرَّحمن:٢٠]، وهو العقل،

---

(١) تفسير المنار (١٨/١).
(٢) انظر: التفسير والمفسرون (٢٧٩/٢).
(٣) انظر: مناهل العرفان (٧٤/٢).

فإنه يحجز الشريعةَ أن تعدو محلها، والحقيقة أن تُجاوز محلها، فالشريعة محلها الظواهر، والحقيقة محلها البواطن، والعقل برزخ بينهما.[١]

فهذا الكلام لابن عجيبة مليء بمصطلحات الصوفية وأفكارهم، قال أبو حيان الأندلسي: "وليست الحقيقة والشريعة والتمييز بينهما لا من كلام الصحابة﵃ ولا من كلام التابعين، وإنما ذلك من ألفاظ الصوفية واصطلاحاتهم."[٢] وقد علق ابن الجوزي على ذلك قائلاً: وهو جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق...[٣] وسيأتي الحديث عن هذه المسألة بالتفصيل -إن شاء الله تعالى-.[٤]

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٥] يقول السلمي: "قال بعضهم: هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتادا من أوليائه، وسادة من عبيده، فإليهم الملجأ، وبهم الغياث فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان سعيه لغيرهم خاب وخسر."[٥] ويقول ابن عجيبة: في الظاهر: الجبال، وفي الحقيقة: الأبدال، الذين هم أوتاد، بهم يقيهم، وبهم يَصرِف عن قريبهم وقاصيهم.[٦]

وهذا كله من غلو بعض الصوفية في الأولياء والصالحين، وقد قسموهم إلى طبقات وذكروا منهم الأبدال، وجعلوا لهم تصرفاً في الكون.[٧] وهذا كله باطل، ولا دليل عليه.

---

(١) البحر المديد، أحمد بن عجيبة (٤٠٥/٧).

(٢) البحر المحيط (٦٩/٤).

(٣) تلبيس إبليس (ص ٢٨٧).

(٤) انظر ص٨٥ من هذه الرسالة.

(٥) حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن السلمي (٣٢٦/١).

(٦) انظر: البحر المديد (٥٥٠/٥).

(٧) وقد قسم بعض الصوفية الأولياء إلى طبقات، فذكروا منهم: الغوث، وأقطاب والأبدال...الخ، وزعموا أنهم يتصرفون في الكون، وتأثر بهم بعض المفسرين فأوردوا أحاديث الأبدال في تفاسيرهم، وهي أحاديث موضوعة لا تصح، وحتى لفظ الأبدال ليس المقصود به ما عناه المتصوفة، فمثلاً: قال الإمام أحمد: وقال أحمد: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم. وكذا وصف غير واحد من الحفاظ والأئمة بأنه من الأبدال. وكان المقصود منه أنهم أبدالٌ عن الأنبياء وخلفاءُ لهم وورثتُهم، يخلفونهم في سننهم، ويحملون الأمة على طريقهم. فالعلماء ورثة الأنبياء، انظر في دراسة هذا الموضوع بتوسع وأثره على كتب التفسير: فتوى في الغوث والقطب والأبدال=

قال الإمام ابن القيم: "أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول الله ﷺ، وأقرب ما فيها حديث: (لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلا آخر) ذكره أحمد[1] ولا يصح أيضا فإنه منقطع".[2]

٦. نلاحظ أن بعض الإشارات المستنبطة تعتمد على الإسرائيليات، فمثلاً، عند قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٢٦٠]، قال الثعلبي في تفسيره: "ظاهر الآية ما ذكره أهل التفسير، وبطنها: أن إبراهيم عليه السلام أُمر بذبح أربعة أشياء في نفسه بسكين الإياس كما ذبح في الظاهر الأربعة الأطيار بسكين الحديد، فالنسر مثل لطول العمر والأجل، والطاووس زينة الدنيا وبهجتها، والغراب الحرص، والديك الشهوة ".[3]

قال ابن كثير: اختلف المفسرون في هذه الأربعة: ما هي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها، إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن. [4]

والمعاني الإشارية إنّما تستنبط من القرآن أو الحديث، لا من قصص وموضوعات، الله أعلم بصحتها، فضلاً على أنها قد تشتمل في أمثلة أخرى على أمور باطلة.[5]

=والأوتاد ضمن جامع المسائل لبن تيمية (٢/٧-٩٩)، وقد قام محققه: محمد عزير شمس بعمل مقدمات وتحقيقات نفيسة على هذه الفتوى (٢/٧-٥٥)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية(٢/٦١٥-٦٨٢).

(١) مسند أحمد، ح(٨٩٦)، (٢٣١/٢)، وقال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه....وحديثُ الباب باطل عن رسول الله ﷺ،.... وأحاديثُ الأبدال التي رويت عن غير واحدٍ من الصحابة، أسانيدُها كُلها ضعيفة لا يَنْتَهِضُ بها الاستدلالُ في مثل هذا المطلب. انتهى، و أيضاً ضعفه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه على المسند: مسند أحمد (٥٥٠/١)، والشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزياداته، ح(٢٢٦٦)، (٣٣٤/١).

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص ١٣٦).

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري (٢٥٧/٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٨٩).

(٥) انظر مثالاً لذلك: ما ذكره الألوسي في قصة هاروت وماروت: روح المعاني (٤٤٠/١).

٧. هذه الشروط التي يجب مراعاتها في التفسير الإشاري، هي شروط لقبوله لا لوجوب الأخذ به. لأن التفسير الإشاري من قبيل اللطائف.[١]

المبحث الرابع: أثر التفسير الإشاري في التفسير

لقد أثر التفسير الإشاري في التفسير من عدة نواحٍ، نجملها فيما يلي:

أ- ظهرت عدة تفاسير تتبنى هذه الإشارات وتجعل لها ركنا خاصا فيها، فبعد أن يذكر المفسر تفسير الآية بما في ذلك ذكر المعاني والقراءات والإعراب...إلخ. يقول: الإشارة، ويذكر فيها شيئا من هذه الإشارات، وهذه أسماء بعض هذه التفاسير:

١. تفسير القرآن العظيم[٢]، أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ).

٢. حقائق التفسير[٣]، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ).

٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن[٤]، أبو إسحاق الثعلبي (المتوفى ٤٢٧هـ).[٥]

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (٢/٢٨٠).

(٢) من أقدم تفاسير الصوفية، تفسير مطبوع فى مجلد صغير الحجم، ويظهر أن سهلاً لم يؤلف هذا الكتاب، وإنما هي أقوال له جمعها أبو بكر محمد بن أمج البلدى، المذكور في أول الكتاب، انظر التعريف بهذا التفسير ومنهجه في: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٧٢)، التفسير والمفسرون (٢/٢٨١).

(٣) تفسير حقائق التفسير تفسير صوفي إشاري، لقي هذا الكتاب معارضات شديدة من معاصريه وممن أتوا بعده، قال الذهبي: "ألف حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية، نسأل الله العافية". تذكرة الحفاظ (٣ /١٦٦).وقال أيضاً: وله كتاب سماه حقائق التفسير ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرطمة. تاريخ الإسلام (٢٨/٣٠٧). وعدّ السيوطي تفسيره ضمن التفاسير المبتدعة معللا لذلك بقوله: ...وإنما أوردته في هذا القسم لأنه غير محمود. طبقات المفسرين للسيوطي (١/٨٤). وقد عرض ابن الجوزي عدة مواضع منه ورد عليها. تلبيس إبليس (ص٣٢١). وانظر التعريف بهذا التفسير ومنهجه: التفسير والمفسرون (٢/٢٨٤).

(٤) قال في مقدمة تفسيره: "خرجت الكلام فيه على أربعة وعشرين نحوا: البسائط، والمقدمات.... والقصص، والإشارات..." الكشف والبيان (١/٧٥). وهذا التفسير من التفاسير التي أكثرت من ذكر الإسرائيليات والموضوعات والخرافات. انظر التعريف بهذا التفسير ومنهجه: التفسير والمفسرون (١/١٦٣).

(٥) الثَّعْلبي: الإمام الحافظ، أبو إسحاق، أحمد بن محمد ابن إبراهيم النَيسَابوري. كان أحد أوعية العلم، من " العرائس " في قصص الأنبياء وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٤٣٥)، الأعلام (١/٢١٢). وانظر ترجمته المطولة في مقدمة كتابه "قتلى القرآن" لمحققه: د. ناصر بن محمد بن عثمان المنيع.

٤. لطائف الإشارات أو تفسير القشيري[١]، عبد الكريم بن هوازن القشيري(المتوفى:٤٦٥هـ).

٥. التأويلات النجمية[٢]، نجم الدين داية (المتوفى: ٦٥٤هـ) [٣]، وعلاء الدولة السمناني (المتوفى٦٣٦هـ).[٤]

٦. تفسير ابن عربي[٥]، ابن عربي (المتوفى: ٦٣٨هـ).

٧. عرائس البيان في حقائق القرآن[٦]، لأبى محمد الشيرازي[٧] (المتوفى: ٦٦٦هـ).

---

(١) يمتاز هذا التفسير بأنه تفسير إشاري كامل للقرآن الكريم، انظر التعريف بهذا التفسير ومنهجه: علوم القرآن الكريم، د.نور الدين عتر (ص١٠٠) وما بعدها.

(٢) والذي يقرأ في هذا التفسير، ويقارن بين ما كتبه نجم الدين داية، وبين ما كتبه السمناني، يلحظ أن هناك فرقاً بين التفسيرين، ذلك أن الجانب الذي كتبه نجم الدين يتعرض فيه أحياناً للتفسير الظاهر، ثم يعقبه بالتفسير الإشاري قائلاً: والإشارة فيه إلى كذا وكذا، وما يذكره من التفسير الإشاري سهل المأخذ، أما الجانب الذي كتبه السمنانى فلا يعرج فيه على المعاني الظاهرة، كما أنه ليس فيه السهولة التي في الجانب الذي كتبه نجم الدين، بل هو تفسير معقد مغلق، والسر في ذلك: أنه بناه على قواعد فلسفية صوفية فهذا التفسير المعروف بالتأويلات النجمية يُعَد من أهم كتب التفسير الإشاري، وهو أقرب إلى الفهم من غيره لولا هذه التكملة. انظر التعريف بهذا التفسير ومنهجه: التفسير والمفسرون (٢٩٠/٢) وما بعدها.

(٣) عبد الله بن محمد بن شاهاور الرازي، الأسدي، (نجم الدين) صوفي. ولد بخوارزم، وتوفي ببغداد. من آثاره: مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد، وحسرة الملوك، وغيرها. انظر معجم المؤلفين (١٢٢/٦).

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السمناني، علاء الدولة ركن الدين: باحث من علماء الصوفية، شافعي مولده بسمنان (بين الري والدامغان) ووفاته ببغداد. كان يحط على ابن العربي ويكفره. له مصنفات قيل: تزيد على ٣٠٠ وكان كثير البر. انظر: الأعلام(٣٢٣/١)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني (٢٩٧/١).

(٥) تقدم الكلام عليه ص ٣٦ من هذه الرسالة.

(٦) تفسير صوفي إشاري، ولم يتعرض للتفسير الظاهر، انظر التعريف بهذا التفسير ومنهجه: التفسير والمفسرون (٢٨٨/٢).

(٧) هو روزبهان بن أبي النصر الفسوي الشيرازي الكازروني، صدر الدين، أبو محمد البقلي: صوفي، من أهل شيراز. الأعلام (٣٥/٣).

٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان[١]، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري[٢](المتوفى بعد ٨٥٠ هـ).

٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد [٣]، لأحمد بن عجيبة (المتوفى ١٢٢٤هـ).

١٠. روح البيان[٤]، إسماعيل حقي[٥] (المتوفى: ١٢٢٧هـ).

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني[٦]، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ).

ب- ظهرت بعض الإشارات الصوفية في كتب التفسير الأخرى، والتي لم تعنى بالتفسير الإشاري، من ذلك ما ذكره الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨]، قال رحمه الله: "أي لو كنتم كما تدعون أبناؤه وأحباؤه فلم أعدَّت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم ؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن

---

(١) اختصر فيه تفسير الرازي، وطريقته فيه: أنه يوفي الكلام على ظاهر معنى الآية أو الآيات، ثم يقول قال: أهل الإشارة أو التأويل ثم يسوق المعنى الإشاري لتلك الآية أو الآيات تحت هذا العنوان، ومن مميزات هذا التفسير عنايته بوقوف الآيات. انظر التعريف بهذا التفسير ومنهجه: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٧٢)، التفسير والمفسرون (١/٢٢٨)، النيسابوري ومنهجه في التفسير، د. ماجد زكي الجلاد، رسالة ماجستير.

(٢) الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. أصله من إيران، ومنشأه وسكنه في نيسابور. انظر: الأعلام (٢/٢١٦)،

(٣) تفسير صوفي إشاري لا يغفل التفسير بالظاهر، وطريقته مثل طريقة النيسابوري، وتعرض الباحث لمناقشته في عدة مواضع من هذه الرسالة.

(٤) تفسير صوفي إشاري، وانظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن المغراوي (ص١٢٤٧).

(٥) إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر. تركي مستعرب. سكن القسطنطينية، وانتقل إلى "بروسة"، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى "تكفور طاغ"، وأوذي. وعاد إلى "بروسة" فمات فيها. له كتب عربية وتركية. انظر: الأعلام (١/٣١٣).

(٦) سيأتي الحديث عن هذا التفسير، انظر ص١٣١ من هذه الرسالة، التفسير والمفسرون (٢/٢٨٨)، القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، أبو عبد الله محمد الحمود النجدي (ص٥٤).

الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فلم يرد عليه فتلا عليه الصوفي هذه الآية ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ وهذا الذي قاله حسن ".[١]

ت- ظهر أثر التفسير الإشاري فيما يتعلق بالإسرائيليات من جهة قبولها أو ردها، فبعض المفسرين يقبل بعض الإسرائيليات ويجعلها من باب الرموز والإشارات، وآخر يستخرج منها المعاني والإشارات، وقد تقدم الكلام على ذلك.

ث- ظهر أثر التفسير الصوفي الحرفي في إعجاز القرآن، فظهر ما يسمى بالإعجاز العددي[٢]، وقد ذكر الباحث أن بعض المتصوفة زعموا استنباط ومعرفة أوقات بعض الأحداث والوقائع المستقبلية من القرآن الكريم، وذكر منهم أبي الحسن الحرالي الذي زعم استخراج وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها من القرآن الكريم، ورد العلماء عليه، وفي هذا العصر نجد من يزعم استخراج معرفة وقت الساعة من أعداد القرآن الكريم كالدكتور: رشاد خليفة، واعتمد في ذلك على حساب الجمل وهي طريقة المتصوفة كما ذكرت ذلك عنهم.[٣]

فنجد في هذا العصر هذا الدكتور وغيره كثير ممن تكلموا في هذا الأمر تأثروا بأفكار المتصوفة أو قلدوهم. [٤]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٣٨).

(٢) الإعجاز العددي اختلف فيه: فمن الناس من يبالغ فيه، ومنهم من يقبله بشروط، ومنهم من يرفضه رفضاً تاما. انظر: الإعجاز العددي في القرآن الكريم دراسة نقدية تأصيلية، د. صالح صواب، بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر: إعجاز القرآن الكريم، كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس (ص٣٤٧) وما بعدها.

(٣) وقد اعتمد في حسابه هذا على حساب الجمل، فقام بعد قيمة الحروف المقطعة من أوائل السور، وله أخطاء في العد واتباع للهوى فيعد ما يشاء ويترك ما يشاء. وقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧] . ونجد أيضاً: استنباط بعض الدلالات المتعلقة بالأحداث المستقبلية، ومن ذلك كتاب "زوال إسرائيل ٢٠٢٢م نبوءة أم صدف رقمية" لبسام نهاد جرار. انظر: الإعجاز العددي في القرآن الكريم دراسة نقدية تأصيلية، د. صالح صواب (ص ٨ ، ١٧)، أسرار الحروف وحساب الجمل عرض ونقد (ص٢٣٤) وما بعدها.

(٤) انظر: أسرار الحروف وحساب الجمل عرض ونقد (ص٢٣٤) وما بعدها.

الفصل الثاني
أثر الفكر الصوفي في التفسير

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** أثر الفكر الصوفي في تفسير بعض الآيات
- **المبحث الثاني:** الأحاديث الصوفية في التفسير

المبحث الأول
أثر الأفكار الصوفية في تفسير بعض الآيات

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** المفهوم الخاطئ للعبادة عند الصوفية، وأثره في التفسير

- **المطلب الثاني:** الأذكار المبتدعة عند الصوفية. وأثرها في التفسير

- **المطلب الثالث:** أثر الأفكار الصوفية في تفسير القصص القرآني، (قصة موسى والخضر عليهما السلام نموذجاً)

المطلب الأول: المفهوم الخاطئ للعبادة عند الصوفية، وأثره في التفسير

الفرع الأول: عرض لبعض المفاهيم الخاطئة التي ابتدعها الصوفية في العبادة:

العبادة في مفهوم أهل السنة تقوم على عدة أمور، كالحب، والتعظيم، والرجاء، والخوف، واليقين، وغير ذلك من الأمور التي دلت عليها النصوص الشرعية. فمثلاً يجمع المؤمن في عبادته بين الخوف والرجاء، وهما أصلان عظيمان من أصول العبادة لا تستقيم إلا بهما، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فيخاف عقاب الله خوفا دون قنوط، ويرجوا رحمة الله رجاء دون غرور، ولذلك جاءت النصوص الشرعية على طريقة الترغيب والترهيب، فالترغيب يورث الرجاء، والترهيب يورث الخوف، وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزُّمر:٩]، وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦].(١)

وقد ابتدع الصوفية في العبادة وما يتعلق بها أشياء كثيرة، وأتوا في هذا الباب بتصورات محدثة ومفاهيم مغلوطة. فمن ذلك: أنهم تصوروا العبادة عبادة حب فقط، لا خوف ولا رجاء فيها، وجعلوا ذلك قمة الزهد، ويسميه أبو حامد الغزالي "الزاهد المطلق" وهو الذي زهد في الدنيا والآخرة(٢)، فالزهد عند الصوفية تطور من الزهد في الدنيا –على صفته التي تحدثنا عنها– إلى الزهد في الدنيا والآخرة معاً.

لقد بدأ الصوفية يعقدون مقارنة بين الله وجنته. فهذا الصوفي علي بن الموفق (٣) يقول في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها، أو أني أعبدك طمعا في جنتك فاحرمنيها، وإن كنت تعلم أنى أعبدك حبا مني إليك وشوقا إلى وجهك الكريم فأبحنيه مرة واصنع بي ما شئت.(٤)

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين (٢٤/١-٢٥)، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي (٢٧٣/٢) وما بعدها.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٢١٧/٤).

(٣) علي بن الموفق، أبو الحسن العابد (٢٦٥هـ): من أهل بغداد، أحد مشايخ الطريق. له أحوال ومقامات. انظر: صفة الصفوة (٣٨٦/٢)، تاريخ الإسلام (١٣٩/٢٠).

(٤) صفة الصفوة (٣٨٦/٢). انظر إلى هذا الدعاء وقارنه بقوله تعالى عن عباد الرحمن:﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ {الفرقان:٦٥} ، تعرف ضلاله وخطأه، ويكفي أنه لم يدعُ به رسول الله ﷺ –أعبد الخلق لربه وأعرفهم به–، ولا أصحابه ﷺ.

وبهذه الأفكار والتصورات المبتدعة دخلت الصوفية في الأخطاء والبدع، واتسع الخرق شيئا فشيئا، فظهرت بعض عبارات لبعض المتصوفة فيها الاستهزاء بالنار وعذابها، وعدم الخوف منها، حتى وصلوا إلى درجة يحتقرون فيها كل من يريد في عبادته ثواباً أو يخاف عقاباً.

فمثلاً عقد الإمام ابن الجوزي في كتابه "تلبيس إبليس" فصلاً في تلبيس إبليس على الصوفية في الشطح والدعاوى، قال فيه: "اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالبا عليهم والدعاوى بعيدة عنهم". ثم ذكر ﵀ نماذج لخوف السلف وإشفاقهم من النار، ثم قال: "وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨] ".[١]

ثم ذكر ابن الجوزي في هذا الفصل بعض شطحات المتصوفة وعباراتهم في عدم الخوف من النار والاستهانة بعذابها. فذكر مثلاً عن أبي يزيد البسطامي[٢] قوله: "وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم"، فسأله رجل: ولم ذاك يا أبا يزيد؟! فقال: "إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق". ثم علق ابن الجوزي عليه قائلاً: "هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ في وصفها فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٤]، وقال أيضاً: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢]، إلى غير ذلك من الآيات....". ثم قال: "فإذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعي ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدري به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة إلا لقوم مخصوصين من الصحابة، وهذا إن صح عن هذا المدعي فهذا غاية من تلبيس إبليس".[٣]

الفرع الثاني: الرد على المفاهيم الخاطئة التي ابتدعها الصوفية في العبادة:

نجمل الرد على ما تقدم فيما يلي:

١. لقد أكثر الله تعالى في كتابه من ذكر الجنة والنار، وبيان ما فيهما من الثواب والعقاب، ولم يذكر –جل جلاله– ذلك عبثا، بل لحكم عظيمة كثيرة، منها: تخويف عباده وزجرهم عن

---

(١) تلبيس إبليس (ص٣٠١-٣٠٢).

(٢) تقدمت ترجمته ص٢٩ من هذه الرسالة.

(٣) انظر: تلبيس إبليس (ص٣٠٢) وما بعدها.

معصيته، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزُّمر:١٦]، وترغيبهم في العمل وبث النشاط في نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

٢. ذكر الله تعالى طلب الجنة والخوف من النار عن أنبيائه ورسله –عليهم الصلاة والسلام– وأثنى عليهم بذلك، وهم أفضل الخلق وأعرفهم بربهم تبارك وتعالى، فقال تعالى في حق زكريا عليه السلام: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، أي رغبا فيما عندنا ورهبا من عذابنا، والضمير في قوله: (إنهم) عائد على الأنبياء عليهم السلام المذكورين في هذه السورة عند عامة المفسرين. وقال تعالى على لسان خليله إبراهيم ﷺ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾. [الشعراء: ٨٢-٨٧]. فسأل الله الجنة واستعاذ به من النار، وهو الخزي يوم البعث. [١]

كما ذكره سبحانه أيضاً عن عباده الذين هم خواص خلقه وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم وجعل منها : استعاذتهم به من النار، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:٦٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥]، وذكره جل وعلا أيضاً عن سادت العارفين أولي الألباب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية (٢/٧٦-٧٧). وقد ناقش ابن القيم الجوزية في هذا الكتاب هذه المسألة بالتفصيل، ورد فيه على المتصوفة.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١]....إلى غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة.(١)

٣. خطأ الصوفية في هذه المسألة منشأه هو جهلهم بحقيقة الجنة، قال ابن القيم الجوزية: والتحقيق أن يقال: الجنة ليست اسما لمجرد الأشجار والفواكه والطعام والشراب والحور العين، وأكثر الناس يغلطون في مسمى الجنة، فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل ومن أعظم نعيم الجنة: التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والصور إلى هذه اللذة أبدا فأيسر يسير من رضوانه: أكبر من الجنان وما فيها من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، وفي حديث الرؤية: فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجهه(٢).(٣)

٤. قسم ابن القيم رحمه الله الناس في هذا المقام إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول: من لا يريد ربه ولا يريد ثوابه فهؤلاء أعداؤه.
- القسم الثاني: من يريده ويريد ثوابه وهؤلاء خواص خلقه.
- القسم الثالث: من يريد من الله ولا يريد الله فهذا ناقص غاية النقص وهو حال الجاهل بربه الذي سمع: أن ثم جنة وناراً فليس في قلبه غير إرادة نعيم الجنة المخلوق لا يخطر بباله سواه ألبته، بل هذا حال أكثر المتكلمين المنكرين رؤية الله تعالى.
- القسم الرابع -وهو محال-: أن يريد الله ولا يريد منه فهذا هو الذي يزعم هؤلاء، وهذا في التحقيق عين المحال الممتنع: عقلاً وفطرة وحساً وشرعاً.... وإن حدثت فإنما هي حال

---

(١) مدراج السالكين (٧٦/٢) وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ح٤٦٧، (١١٢/١).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٨٠/٢).

عارضة غير دائمة، وليست هي غاية مطلوبة للسالكين، ولا مقدورة للبشر، ولا مأمور بها، ولا هي أعلى المقامات، فيؤمر باكتساب أسبابها. (١)

وبهذا يتبين خطأ التصور الصوفي للعبادة، ومعارضته لنصوص الكتاب والسنة.

الفرع الثالث: أثر المفهوم الخاطئ في العبادة عند الصوفية في كتب التفسير:

ظهرت النزعة الصوفية عند بعض المفسرين وتأثرهم بالفكر الصوفي، من خلال ما قرروه في تفاسيرهم.

وفيما يتعلق بالمفهوم الصوفي الخاطئ للعبادة وأثره في كتب التفسير، سأتكلم على نموذجين من المفسرين الذين تأثروا بهذه الفكرة، وأثرت في تفسيرهم.

النموذج الأول: الفخر الرازي:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، يقسم الفخر الرازي العبادة إلى ثلاث درجات، فيقول: قال أهل التحقيق العبادة لها ثلاث درجات:

- الدرجة الأولى: أن يعبد الله طمعاً في الثواب أو هرباً من العقاب وهذا هو المسمى بالعبادة، وهذه الدرجة نازلة ساقطة جداً لأن معبوده في الحقيقة هو ذلك الثواب، وقد جعل الحق وسيلة إلى نيل المطلوب.

- الدرجة الثانية: أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته والانتساب إليه وهذه الدرجة أعلى من الأولى إلا أنها أيضا ليست كاملة لأن المقصود بالذات غير الله.

- الدرجة الثالثة: أن يعبد الله لكونه إلهاً وخالقاً ولكونه عبداً له والإلهية توجب الهيبة والعزة، والعبودية توجب الخضوع والذلة وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات هذا هو المسمى بالعبودية، وإليه الإشارة بقول المصلي في أول الصلاة أصلي لله، فإنه لو قال أصلي لثواب الله أو للهرب من عقابه فسدت صلاته.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٨١/٢) وما بعدها.

ثم قال: واعلم أن العبادة والعبودية مقام عال شريف ويدل عليه آيات... [(١)] وكأنه قال هذه هي العبادة المقصودة في هذه الآيات وهي التي أمرنا بها القرآن.

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، يطرح الرازي سؤالاً، فيقول: ظاهر قوله ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ يقتضي أنه تعالى أمر المكلف بأن يأتي بالدعاء لهذا الغرض وقد ثبت بالدليل فساده فكيف طريق التوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين ما ذكرناه من المعقول؟

ويجيب الرازي فيقول: ليس المراد من الآية ما ظننتم؛ بل المراد وادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرائط بأسرها وعلى هذا التقدير فالسؤال زائل.[(٢)]

قلت: نلحظ مما سبق أثر الفكرة الصوفية في تفسير وتوجيه الآيات، حتى إن الرازي يلاحظ بوضوح تعارضها مع بعض الآيات، فيجتهد في تأويل النص ليتفق مع هذه الفكرة، وهذه النزعة الصوفية العقلية. وقد نقل ابن عاشور عن الرازي تقسيمه لدرجات العبادة، ثم قال: وما ادعاه الفخر في سقوط الدرجة الأولى ونزول مرتبتها قد غلب عليه فيه اصطلاح غلاة الصوفية وإلا فإن العبادة للطمع والخوف هي التي دعا إليها الإسلام في سائر إرشاده، وهي التي عليها جمهور المؤمنين وهي غاية التكليف، كيف وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].[(٣)] فأشار العلامة ابن عاشور إلى أن كلام الرازي هذا قد غلبه فيه نزعته الصوفية.

وقد عرض الحافظ ابن كثير لكلام الرازي هذا ثم رد عليه، قال: وقال بعض الصوفية: العبادة إما لتحصيل ثواب ورد عقاب؛ قالوا: وهذا ليس بطائل إذ مقصوده تحصيل مقصوده، وإما للتشريف بتكاليف الله تعالى، وهذا -أيضًا-عندهم ضعيف؛ بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال، قالوا: ولهذا يقول المصلي: أصلي لله، ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العذاب لبطلت صلاته. وقد رد ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة لله عز وجل، لا ينافي أن يطلب معها ثوابا، ولا أن يدفع عذابًا، كما قال ذلك الأعرابي: أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ إنما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبيﷺ: (حولها ندندن)[(٤)].[(٥)]

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٢٠٢/١).

(٢) المصدر السابق (١١٠/١٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٨١/١).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، ح٧٩٢، (٢١٠/١). وصححه الألباني.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢١٦/١).

النموذج الثاني: الشيخ الشعراوي:

يظهر تأثر الشيخ الشعراوي بهذا المفهوم الصوفي للعبادة، فقد أشار إليه في عدة مواضع من تفسيره، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ**﴾ [آل عمران:١٥]، قال الشيخ الشعراوي: ﴿**وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ**﴾ [آل عمران:١٥]، "أي: أن الله سيعطى كل إنسان على قدر موقفه من منهج ربه، فمن أطاع الله رغبة في النعيم بالجنة يأخذ جنة الله، ومن أطاع الله لأن ذات الله أهل لأن تطاع فإن الله يعطيه متعة ولذة النظر إليه – سبحانه –تقول رابعة العدوية [(١)] في هذا المعنى:

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلاً

إنِنّي لست مثلهم ولهذا ... لست أبغي بمن أحب بديلا

وقالت أيضاً: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فادخلني فيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها، إنما أعبدك لأنك تستحق أن تُعبد." [(٢)]

وقال أيضاً: فلا ينبغي للعبد أن يكون نفعياً حتى في العبادة، والحق سبحانه وتعالى أهْل بذاته لأن يُعبد، لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته.[(٣)]

ولا شك أن هذا النقد اللاذع يتعارض مع ما مدح الله به عباده وأولياءه، وهذا الخطأ في مسمى الجنة، والمقارنة بينها وبين الله – يعني إما الله أو ثوابه، أما الاثنين معا فلا– هو من أخطاء الصوفية وبدعهم، وقد تقدم الرد عليهم.

ومن اللطيف ذكره: أن الآية التي استشهد بها الشيخ الشعراوي في كلامه، نجد بعدها ذكر النار والتعوذ منها. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾. [آل عمران:١٥-١٦]، فطلب رضوان الله لا ينافي رجاء ثوابه، والخوف من ناره.

---

(١) رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر، ينسب لها عبارات ليست لها، توفيت بالقدس، ١٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧٤/٨)، الأعلام (١٠/٣).

(٢) تفسير الشعراوي (١٣٢٦/٣).

(٣) المصدر السابق (١٣٢٦/٣).

المطلب الثاني: الأذكار المبتدعة عند الصوفية وأثرها في كتب التفسير

ذكر الله تعالى من أجل العبادات، وعبادة من أفضل العبادات، وهو نور للعبد في الدنيا والآخرة، به تزكو نفسه، ويشفى قلبه، وقد جاءت النصوص ببيان فضله، وذكر كيفيته وثوابه، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة به. (١)

وأفضل الذاكرين وأكملهم ذكراً لله هو رسول الله ﷺ، وكان يذكر اللّه عز وجل في كل أحيانه، وعلى جميع أحواله، وخير الهدي هديه ﷺ (٢)، وقد أمرنا الله باتباع ما أمره به، واجتناب ما نهى عنه، فقال تعالى: ﴿**وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر:٧]،وقال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد".(٣)

وقد وقعت المتصوفة في بدع كثيرة، كان منها في باب الذكر أشياء كثيرة. فهم أولاً قد قسموا الذكر إلى قسمين: ذكر العامة، وذكر الخاصة، أما ذكر العامة: فهو الوارد في السنة مثل :لا إله إلا الله، و الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ونحو ذلك. وأما ذكر الخاصة: وهو ما وضعه لهم شيوخهم من الأذكار، ومنها: ذكر الله بالاسم المفرد مظهراً وترديده، أي أن يقول الذاكر: الله الله، أو مضمراً وترديده، أي أن يقول الذاكر: هو هو.(٤)

وقد فنَّد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ دعاوى هؤلاء في ذكرهم المحدَث هذا، ورد عليهم، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الاقتصار على " الاسم المفرد " مظهرا أو مضمرا فلا أصل له، فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد، وأهل الاتحاد. وجماع الدين " أصلان " أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، وذلك تحقيق " الشهادتين ": شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله. ففي الأولى أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية أن محمدا ﷺ هو رسوله المبلغ عنه. فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره، وقد بين لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور... (٥) وقال أيضاً: واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿**قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنعام:٩١]،من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب

---

(١) انظر في موضوع الذكر: كتاب الأذكار للنووي، حصن المسلم لسعد القحطاني، الوابل الصيب لابن القيم.

(٢) انظر هدي النبي ﷺ في الذكر في: زاد المعاد (٢/ ٣٦٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح٢٦٩٧، (١٨٤/٣)، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح٤٥٨٩، (١٣٢/٥).

(٤) انظر: فقه الأدعية والأذكار، د.عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (١/ ١٩٦)، وص١٥٣ من هذه الرسالة.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢١٧).

الاستفهام. وهو قوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُـدًى لِلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:٩١] إلى قوله ﴿ قُلِ اللهُ ﴾ أي: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام، فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول: من جاره فيقول زيد. وأما الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ....[١]

ويضاف إلى ما ذكره شيخ الإسلام فإن الصحابة ﷺ لم يفهموا من هذه الآية وغيرها من الآيات ما فهمته المتصوفة من ذكر الله بتلك الطرق المبتدعة، وإلا لسبقوا الجميع إليه، ولفعله رسول الله ﷺ.

أثر الأذكار المبتدعة عند الصوفية في كتب التفسير:

ظهر الأثر الصوفي في كتب بعض المفسرين، وظهرت النزعة الصوفية لدى بعض المفسرين في أرائهم وأذواقهم، فهذا الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير يتحدث عن ذكر الله بالاسم المضمر "هو" وترديده، فيقول: واعلم أن لفظ "هو" فيه أسرار عجيبة وأحوال عالية، فبعضها يمكن شرحه وتقريره وبيانه، وبعضها لا يمكن، وأنا بتوفيق الله كتبت أسراراً لطيفة، إلا أني كلما أقابل تلك الكلمات المكتوبة بما أجده في القلب من البهجة والسعادة عند ذكر كلمة "هو" أجد المكتوب بالنسبة إلى تلك الأحوال المشاهدة حقيراً، فعند هذا عرفت أن لهذه الكلمة تأثيراً عجيباً في القلب لا يصل البيان إليه، فلنكتب ما يمكن ذكره فنقول: فيه أسرار: الأول: أن الرجل إذا قال: "يا هو" فكأنه يقول: من أنا حتى أعرفك، ومن أنا حتى أكون مخاطباً لك، فأنت أعلى من جميع المناسبات وأنت مقدس عن علائق العقول والخيالات، فلهذا السبب خاطبه العبد بخطاب الغائبين فقال: "يا هو".[٢] ثم ذكر الرازي في ذلك إحدى عشرة فائدة، ثم قال: فوجب أن يكون قولنا هو أعظم الأذكار!!، ولنختم هذا الفصل بذكر شريف رأيته في بعض الكتب يا هو يا من لا هو إلا هو يا من لا إله إلا هو يا أزل يا أبد....، ومن لطائف هذا الفصل أن الشيخ الغزالي رحمة الله عليه: كان يقول لا إله إلا الله توحيد العوام ولا إله إلا هو توحيد الخواص ولقد استحسنت هذا الكلام وقررته بالقرآن والبرهان...[٣]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٢٦)، ولابن القيم مثله: طريق الهجرتين (ص٣٣٩)، وبتوسع في الموضوع: الرد العلمي على شبهات في العقيدة والتصوف، إبراهيم أبو شادي (ص٢٠٨-٢٢٧)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١١٣٩/٢-١١٩١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٢٣/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٢٨/١).

قلت ليت الرازي التزم بهذا المنهج الذي ذكره بقوله: "وقررته بالقرآن والبرهان"، فإن الله في كتابه يقول: ﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر:٧]، فأمر الله تعالى في كتابه باتباع النبي ﷺ، والتزام أوامره، وقد قال ﷺ: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".(١) فليس لأحد من هذه الأمة بعد رسولها ﷺ أن يشرع ما يستحسنه بعقله أو ذوقه، فإنه بذلك يفتح باباً واسعاً للابتداع والاختراع في هذا الدين، وقد يتطور الأمر، فينشغل بعض الناس بهذه الأذكار المبتدعة، ويهجرون الأوراد الشرعية، وقد تحصل طامة أكبر إذا اعتقد بعض الناس أن هذه الأذكار أفضل تأثيراً في القلب أو التقرب بها إلى الله أفضل من غيرها من الأذكار الشرعية. وهذا كله فيه ضرر عظيم على هذا الدين، وهو باب من أبواب الضلال.

ثم إن هذا الذكر المبتدع لو كان خيراً لدلنا الشارع عليه، فكيف يُجعل ذكر مبتدع– لم يدل النبي ﷺ أمته عليه– من أفضل الأذكار، وأعظمها تأثيراً في إصلاح القلب؟ لقد شرع الله تعالى لنا أفضل الأذكار وأكملها التي يحبها ويرضاها لنا، وأقواها تأثيراً في إصلاح القلب وتزكية النفس، فعن طلحة بن عبد الله بن كثير ﷺ أن النبي ﷺ قال: أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.(٢)

وما ذكره الرازي في الفائدة الأولى بقوله: فلهذا السبب خاطبه العبد بخطاب الغائبين فقال: "يا هو"، فإنه يعارض الآيات التي فيها خطاب بين العبد وربه، خطاب فيه معنى العبودية لله، ومنها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، والتي يستشعر فيها العبد جمال وجلال مناجاة الله تعالى، وتذكر عظمته، وكما جاء في الحديث: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]،قال الله تعالى: أثنى على عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، قال مجدني عبدي، فإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. [الفاتحة:٦-٧]. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.(٣)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ح٤٦٠٧، (٤/٢٠٠) وصححه الألباني.

(٢) الموطأ، كتاب الصلح، باب بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ، ح٧٢٦، (٢/٣٠٠). وحسنه الألباني انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ح١١٠٢، (١/ ٢٤٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ح٩٠٤، (٢/٩).

وأخيراً ما ذكره الرازي عن أبي حامد الغزالي من تقسيم التوحيد فهذا أيضاً من البدع، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: المراد بتوحيد الله تعالى الشهادة بأنه إله واحد، وهذا الذي يسميه بعض غلاة الصوفية توحيد العامة، وقد ادعى طائفتان في تفسير التوحيد أمرين اخترعاهما، أحدهما: تفسير المعتزلة، وثانيهما: غلاة الصوفية، فإن أكابرهم لما تكلموا في مسألة المحو والفناء، وكان مرادهم بذلك المبالغة في الرضا والتسليم وتفويض الأمر، بالغ بعضهم في نفي نسبة الفعل إلى العبد، وجر ذلك بعضهم إلى معذرة العصاة، ثم غلا بعضهم فعذر الكفار، ثم غلا بعضهم فزعم أن المراد بالتوحيد اعتقاد وحدة الوجود، وعظم الخطب حتى ساء ظن كثير من أهل العلم بمتقدميهم وحاشاهم من ذلك، ولهم في ذلك كلام طويل ينبو عنه سمع كل من كان على فطرة الإسلام، والله المستعان.[1]

المطلب الثالث: أثر الأفكار الصوفية في تفسير القصص القرآني، (قصة موسى والخضر نموذجاً)

أثرت الأفكار الصوفية في تفسير بعض القصص القرآني، وذكر بعض المفسرين هذه الأفكار في تفاسيرهم، وقد اختلفت مواقفهم منها، فكان منهم من تبنى القول بها، ومنهم من ردها ورفضها.

ومن أكثر القصص القرآني التي تعلقت بها المتصوفة، ونسجت حولها خيوطها، وبثت من خلالها أفكارها، قصة (موسى والخضر)، وقد ذكرها الله تعالى في سورة الكهف من الآية(٦٠- ٨٢).

قال العلامة ابن عاشور: "واعلم أن قصة موسى والخضر قد اتخذتها طوائف من أهل النحل الإسلامية أصلاً بنو عليه قواعد موهومة".[2]

وفيما يلي نتحدث عن بعض الأفكار الصوفية في هذه القصة، وبيان موقف المفسرين منها.

الفرع الأول: القول بولاية الخضر عند الصوفية، وما رتبوا عليه في ذلك

يعتقد الصوفية في الخضر[1] أنه كان ولياً، ولم يكن نبيا [2]، وقد قالوا بذلك ليتوافق مع أصولهم وأفكارهم. ونجملها فيما يلي:

---

(١) انظر: فتح الباري (٣٤٨/١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٦/١٥).

١. حجية الإلهام عند بعض الصوفية:

اعتمد بعض الصوفية على قولهم بولاية الخضر، في العمل بالإلهام والاحتجاج به، فقالوا: كان الخضر ولياً، ومع ذلك فقد عمل بإلهامه وخواطره، فخرق السفينة وقتل الغلام. وقد قال الله تعالي في حق خضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥]، فأثنى عليه وعلى علمه.

وقد رد العلماء على الصوفية في ما ادعوه من حجية الإلهام، وبينوا خطأهم في ذلك، قال العلامة ابن عاشور: فأول ما أسسوه منها أنّ الخضر لم يكن نبياً، وإنما كان عبداً صالحاً، وأن العِلم الذي أوتيه ليس وحياً ولكنه إلهام، وأن تصرفه الذي تصرفه في الموجودات أصل لإثبات العلوم الباطنية، وأن الله منح الخضر البقاء إلى انتهاء مدة الدنيا ليكون مرجعاً لتلقي العلوم الباطنية، وأنه يظهر لأهل المراتب العليا من الأولياء فيفيدهم من علمه ما هم أهل لتلقّيه. وبَنوا على ذلك أن الإلهام ضرب من ضروب الوحي، وسموه الوحي الإلهامي، وأنه يجيء على لسان ملك الإلهام. [٣]

ثم قال: وقد انتصب علماء الكلام وأصول الفقه لإبطال أن يكون ما يسمى بالإلهام حجّة. وعرفوه بأنه "إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر"، وأبطلوا كونه حجّة لعدم الثقة بخواطر

---

(١) الخضر عليه السلام، بفتح الخاء وقد تكسر، وكسر الضاد وقد تسكن، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] وذلك بإجماع العلماء، ودلالة الأحاديث الصحيحة، أشهر أسمائه: بليا بن ملكان، وكنيته: أبو العباس، ولقبه الخضر، وفي البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً، قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٢٨٦/٢) وما بعدها، الزهر النضر في حال الخضر (ص٤١) وما بعدها، روح المعاني (٣١٩/١٥)، أضواء البيان (٣/ ٣٢٢)، وحديث البخاري أخرجه في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ح ٣٤٠٢، (١٥٦/٤).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (٢/ ٥٢٦)، روح البيان (٢٠٦/٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٥).

من ليس معصوماً ولتفاوت مراتب الكشف عندهم، ولا يقام التشريع على أصول موهومة لا تنضبط. والأظهر أن الخضر نبي ﷺ وأنه كان موحىً إليه بما أوحي.(١)

وقال العلامة الشنقيطي: المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء، لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به؛ بل لوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره، باطل لا يعول عليه، لعدم اعتضاده بدليل. وغير المعصوم لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان. وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات. (٢) وقال أيضاً: وبالجملة، فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك،إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل، وما جاؤوا به –ولو في مسألة واحدة – فلا شك في زندقته. (٣)

وقال العلامة الألوسي: وشذ بعضهم فزعم أن الإلهام حجة. واشترط لذلك أن لا يعارضه نص شرعي، ....وممن صرح بأن الإلهام ليس بحجة من الصوفية الشعراني وله في ذلك مؤلف سماه حد الحسام في عنق من أطلق إيجاب العمل بالإلهام.(٤)

٢. عدم إنكار المريد على شيخه، حتى لو خالف أمراً شرعياً:

من الأمور الخطيرة التي يربطها المتصوفة بقصة موسى والخضر، عدم الإنكار على الشيخ في الطريقة، حتى ولو ظهر منه مخالفة صريحة للأوامر والنواهي الشرعية، ولهم في ذلك مقولة مشهورة: " من اعترض انطرد"، قالوا: فالخضر ولي من الأولياء ومع ذلك أتى بأمور تخالف الشرع في الظاهر، وأراد من موسى ألا يسأله عن شيء حتى يخبره هو عنه. قالوا: وهذا ما تفعله الصوفية مع شيوخهم.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٦)، أضواء البيان (٣/٣٢٤).
(٢) انظر: أضواء البيان (٣/٣٢٤).
(٣) انظر: أضواء البيان (٣/٣٢٤).
(٤) انظر: روح المعاني (١٦/١٧).

قال ابن عجيبة في تفسيره: الإشارة: قد أخذ الصوفية آداب المريد مع الشيخ من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام؛ فطريقتهم مبنية على السكوت والتسليم، حتى لو قال لشيخه : لِمَ ؟ لَمْ يفلح أبدًا، سواء رأى من شيخه منكرًا أو غيره، ولعله اختبار له في صدقه، أو اطلع على باطن الأمر فيه، فأحوالهم خضرية، فالمريد الصادق يُسلم لشيخه في كل ما يرى، ويمتثل أمره في كل شيء، فَهِم وجه الشريعة فيه أم لا .... (١)

هكذا يلفق الصوفية القضايا، وهكذا يدلسون!!

إن ربط الصوفية بين واقع مشايخهم، وبين هذه القصة القرآنية ظاهر في البطلان. بل القصة دليل عليهم لا لهم؛ فموسى عليه السلام لم يترك النهي عن كل ما خالف الشرع من أول القصة إلى آخرها، يقول الشيخ القرضاوي: فلا يملك المؤمن أمام ما يراه من مخالفة للشرع، إلا أن يتخذ موقف موسى عليه السلام، بأن ينكر كل ما خالف أمر الشرع، إلا أن يكون معه أمر من الله باتباع ذلك المخالف، ولا أمر بعد رسول الله ﷺ، فقد اكتمل الدين وانقطع الوحي، فموسى ينفذ أمر الله باتباع الخضر، والخضر ينفذ أمر الله كذلك في مواقفه الثلاثة، كما في قوله تعالى على لسانه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢].(٢)

ثم أين الصوفية في صحبتهم لشيوخهم، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللذان هما سببا خيرية هذه الأمة، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠]، وعن علي رضي الله عنه قال: "بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبا فجمعوا، فقال أوقدوا نارا فأوقدوها فقال: ادخلوها فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضا

---

(١) انظر: البحر المديد (٣/٢٩٠).

(٢) انظر: موقف الإسلام من الإلهام و الكشف و الرؤى و من التمائم و الكهانه و الرقي، د. يوسف القرضاوي(ص٥٥).

ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي ﷺ، فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف".[(١)]

قال الشيخ الألباني: وفي الحديث فوائد كثيرة أهمها أنه لا يجوز إطاعة أحد في معصية الله تبارك وتعالى، سواء في ذلك الأمراء والعلماء والمشايخ. ومنه يعلم ضلال طوائف من الناس: الأولى: بعض المتصوفة الذين يطيعون شيوخهم ولو أمروهم بمعصية ظاهرة بحجة أنها في الحقيقة ليست بمعصية، وأن الشيخ يرى ما لا يرى المريد.... [(٢)]

ومن يطالع بعض كتب المتصوفة، فإنه يهوله ما يراه من هذا الضلال الذي تحدث عنه الشيخ الألباني.[(٣)]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال إنها سرية الأنصار، ح٤٣٤٠، (١٦١/٥)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح ٤٥٨٩، (١٦/٦).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني (٣٥٢/١). ويتابع الشيخ الألباني كلامه في نفس الكتاب فيقول: وأعرف شيخا من هؤلاء نصب نفسه مرشدا قص على أتباعه في بعض دروسه في المسجد قصة خلاصتها أن أحد مشايخ الصوفية أمر ليلة أحد مريديه بأن يذهب إلى أبيه فيقتله على فراشه بجانب زوجته، فلما قتله، عاد إلى شيخه مسرورا لتنفيذ أمر الشيخ ! فنظر إليه الشيخ، وقال: أتظن أنك قتلت أباك حقيقة ؟ إنما هو صاحب أمك ! و أما أبوك فهو غائب !

قال: ثم بنى على هذه القصة حكما شرعيا بزعمه فقال لهم: إن الشيخ إذا أمر مريده بحكم مخالف للشرع في الظاهر أن على المريد أن يطيعه في ذلك...، ولا يخفى بطلان هذه القصة شرعا من وجوه كثيرة: منها: أن تنفيذ الحد ليس من حق الشيخ مهما كان شأنه، وإنما هو من الأمير أو الوالي. وأنه لو كان له ذلك فلماذا نفذ الحد بالرجل دون المرأة وهما في ذلك سواء ؟...و لقد جرت بيني وبين أحدهم مناقشة حول تلك القصة و كان قد سمعها من ذلك المرشد....ولما قلت له: لو أمرك شيخك بقتل والدك فهل تفعل ؟ فقال : إنني لم أصل بعد إلى هذه المنزلة ! ! فتبا لإرشاد يؤدي إلى تعطيل العقول و الاستسلام للمضلين إلى هذه المنزلة. انظر: (٣٥٢/١-٣٥٣).

(٣) مثل: كتاب الطبقات الكبرى للشعراني وغيره الكثير من كتب الصوفية، وقد نقل منه صاحب المنار بعض القصص منه، وفيها من الفظاعة والنكارة ما فيها، وردها واستنكرها، انظر: تفسير القرآن الحكيم (٣٤٧/١١). وقد قيل إن هذه الأشياء مدسوسة عليه، فالله أعلم.

٣. تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن أو حقيقة وشريعة عند الصوفية:

قسم بعض الصوفية الدين إلى ظاهر وباطن[١]، الظاهر ويسمونه علم الشريعة وهي مجموعة الأحكام العملية التكليفية، أي ما يسمى (بالفقه الإسلامي)، والباطن ويسمونه علم الحقيقة، وهي ما وراء هذه الأحكام من الإشارات وأعمال القلوب، هذا رأي المعتدلين منهم.[٢] قال العز بن عبد السلام[٣]: الطريقة إلى الله لها ظاهر (أي عمل ظاهر أي بدني) وباطن (أي عمل قلبي) فظاهرها الشريعةُ وباطنها الحقيقة.[٤]، وقال آخرون: الشريعة علم العامة، والحقيقة علم الخاصة من الأولياء وأهل التصوف، قال ابن عجيبة: نزل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة، فخص بها بعضاً دون بعض. وأول من تكلم فيه وأظهره علي بن أبي طالب ﷺ، وأخذ عنه الحسن البصري، ثم ساق سنداً لهذا العلم.[٥] وهذا شبيه بكلام الباطنية. وأما عند غلاتهم: فيعتقدون أنهم يستغنون بخواطرهم (الحقيقة) عن الشريعة[٦]. إلى غير ذلك من المفاسد والرزايا التي وقعت بها الصوفية بسبب هذا التقسيم.

ويمثل الصوفية لهذا التقسيم الذي ابتدعوه بقصة موسى والخضر، قال ابن عجيبة في تفسيره: الإشارة : قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام هي السبب في ظهور التمييز بين أهل الظاهر وأهل الباطن، فأهل الظاهر قائمون بإصلاح الظواهر، وأهل الباطن قائمون بتحقيق البواطن. أهل الظاهر مغترفون من بحر الشرائع، وأهل الباطن مغترفون من بحر الحقائق. وقيل: هو المراد بمجمع البحرين، حيث اجتمع سيدنا موسى، الذي هو بحر الشرائع، والخضر عليه السلام، الذي هو بحر الحقائق، ولا يفهم أن سيدنا موسى عليه السلام خال من بحر الحقائق؛ بل كان جامعاً كاملاً، وإنما أراد الحق تعالى أن ينزله إلى كمال الشرف، بالتواضع في طلب زيادة العلم تأديبا له وتربية، حيث ادعى القوة في نسبته العلم إلى نفسه.[٧]

---

(١) تحدث الباحث عن هذه القضية، انظر ص٤٦ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الصوفية .. نشأتها وتطورها (ص٥١).

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ)، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق. انظر: الأعلام (٢١/٤)، تاريخ الإسلام (٩٣٣/١٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٣٤/١).

(٥) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن عجيبة (ص ١٩).

(٦) سيأتي الحديث عن هذا الفريق قريباً- إن شاء الله تعالى-.

(٧) انظر: البحر المديد (٢٨٥/٣).

بيان خطأ هذا التقسيم والرد عليه:

إن تقسيم الصوفية الدين إلى ظاهر(شريعة) وباطن(حقيقة) تقسيم مردود، ولا دليل عليه، وقد رفضه العلماء، واستنكروه، قال الإمام ابن الجوزي: "فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة، وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع [١] وقال أبو حيان: وليست الحقيقة والشريعة والتمييز بينهما لا من كلام الصحابة ﷺ ولا من كلام التابعين، وإنما ذلك من ألفاظ الصوفية واصطلاحاتهم.[٢] وقال ابن العقيل[٣]: فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة. وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق. فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين. وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع. [٤]

فهذا التقسيم كان باباً من أبواب الضلال التي فتحها الصوفية على أنفسهم، فبعضهم صار يتهاون بالأوامر الشرعية كما تقدم من كلام ابن الجوزي، وغلاتهم ادعوا الاستغناء بما عندهم من الحقيقة عن الشريعة، إلى غير ذلك من الأمور.

"إن بداية الانحراف كانت في هذا الفصل بين الشريعة والحقيقة، وعند أهل السنة: الشريعة هي الحقيقة فالصلاة حركات معينة ولكنها تستلزم الخشية والإنابة، وهكذا كل الأحكام الشرعية القيام بها يعني الإتيان بها على تمامها كما أرادها الله سبحانه وتعالى."[٥]

فهذه التفرقة غير صحيحة؛ بل هي باطلة وقبيحة، نعم هناك أعمال للجوارح وأعمال للقلوب والإيمان يزيد حتى يصبح كالجبال وينقص حتى يكون كالنبتة الصغيرة الضعيفة؛ ولكن كل هذا اسمه شريعة أو إسلام أو دين وكل تقسيم يشعر بأن هناك تضاداً أو تغايراً كمن يفرق بين العقل

---

(١) تلبيس إبليس (ص ٢٨٧).

(٢) البحر المحيط (٦٩/٤)

(٣) أبو الوفاء البغدادي (٤٣١ – ٥١٣ هـ)، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء، يعرف بابن عقيل: شيخ الحنابلة ببغداد في وقته، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته. وكان يعظم الحلاج، ثم تاب من ذلك كله، وأعلن توبته أمام العلماء، له تصانيف أعظمها (كتاب الفنون) وهو في أربعمائة جزء، (الرد على الأشاعرة وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال). انظر: الأعلام (٤/ ٣١٣)،

(٤) تلبيس إبليس (ص ٣٢٩).

(٥) انظر: الصوفية .. نشأتها وتطورها (ص٥١)،

والنقل وكأن النقل مضاد للعقل، أو بين العلم والدين وكأن العلم يخالف الدين، كل هذا لا يكون إلا من ضعف وانحسار أمام أعداء هذا الدين، هذا إن أحسنا الظن بهم.(١)

وأما قصة موسى والخضر عليهما السلام فليست دليلاً للصوفية فيما ذهبوا إليه، ولا مستند لهم فيها البتة، فالتميز الواقع في القصة بين علم موسى وعلم الخضر، هو تميز بين علم نبيين لكل منهما شريعة خاصة به، وليس تميزاً في شريعة موسى، بمعنى أن موسى نصبيه منها علم الظاهر (الشريعة)، والخضر نصيبه علم الباطن (الحقيقة). فليس التمييز في شريعة واحدة كما تدعيه الصوفية.

ثم إن الصوفية بعد أن قالت بهذا التمييز في الشريعة الواحدة، جعلوا نصيب الرسول (موسى) من ذلك هو علم الشريعة، وأما نصيب الولي (الخضر) فهو علم الحقيقة، وهذا كله ضلاله واضح. والرسل جاءت لتعليم الناس ما يصلح ظواهرهم وبواطنهم على السواء، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

وأما قول ابن عجيبة: وقيل: هو المراد بمجمع البحرين، حيث اجتمع سيدنا موسى، الذي هو بحر الشرائع، والخضر عليه السلام، الذي هو بحر الحقائق، فأكتفي بما عقب عليه الألوسي قائلاً: وهو تأويل صوفي والسياق ينبو عنه وكذا قوله تعالى حتى أبلغ إذ الظاهر عليه أن يقال حتى يجتمع البحران مثلا.(٢)

٤. مفهوم العلم اللدني عند الصوفية:

شاع عند المتصوفة تسمية علومهم ومكاشفاتهم بالعلوم اللدنية، ولأبي حامد الغزالي رسالة في إثبات العلوم اللدنية (٣)، فإذا جاءوا بأذكار مبتدعة أو تفسيرا باطنياً للقرآن، أو تكلموا في شيء من الأمور الغيبية، قالوا: هذا فتح من العلم اللدني.

---

(١) انظر: الصوفية .. نشأتها وتطورها (ص٥٣).

(٢) روح المعاني (١٥/٣١٢)

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٢١/١٢٧)، والرسالة اللدنية تنسب للغزالي وليست له، وكذا غيرها من كتب ورسائل مثل كتاب سر العالمين وهو كتاب شعوذة ودجل وليس له بل لرجل من الباطنية، وهذه الكتب تنسب للغزالي استغلالا لشهرته في ترويجها، انظر: كُتُب الإمام الغزالي الثَّابت مِنها والمنحول، د. مشهد العلاّف http://www.ghazali.org/biblio/AuthenticityofGhazaliWorks-AR.htm

قال أبو حيان: "وقد أولع كثير ممن ينتمي إلى الصلاح بادعاء هذا العلم ويسمونه العلم اللدني، وأنه يلقي في روع الصالح منهم شيء من ذلك، حتى يخبر بأن من كان من أصحابه هو من أهل الجنة على سبيل القطع..." [(١)]

وقال ابن القيم الجوزية: ادعت كل طائفة أن علمهم لدني، ورخص سعره، وصار من تكلم في حقائق الإيمان والسلوك وباب الأسماء والصفات بما يسنح له ويلقيه شيطانه في قلبه يزعم أن علمه لدني... وقد صنف في العلم اللدني زنادقة المتصوفين وجهلة المتفلسفين والمتكلمين وكل يزعم أن علمه لدني.[(٢)]

نعتت الصوفية العلم اللدني بأمور مختلفة، خصوها به، فمن ذلك أنهم قالوا إنه علم يحصل بلا اكتساب أو تعلم أو واسطة ملك؛ بل من الله مباشرة.

قال ابن عجيبة: العلم اللدني: هو الذي يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم، وذلك بعد تطهير القلب من النقائص والرذائل، وتفرغه من العلائق والشواغل، فإذا كمل تطهير القلب، فاضت عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، منها ما تفهمها العقول وتدخل تحت دائرة النقول، ومنها ما لا تفهمها العقول ولا تحيط بها النقول، بل تُسلم لأربابها، من غير أن يقتدى بهم في أمرها، ومنها ما تفيض عليهم في جانب علم الغيوب؛....[(٣)]

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخطأ والشطط، فالعلم اللدني والكشف والإلهام –جميع هذه الأمور– لا يسَّلم لها في جميع ما تأتي به، لأنها ليست معصومة، ولم تضمن العصمة إلا في الوحيين– الكتاب والسنة– الذيّن هما ميزان الحق في جميع الأمور، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، فأمر الله تعالى برد الأمور عند التنازع فيها إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ؛ ففيهما الحق والصواب، لا إلى كشف أو إلهامٍ أو غير ذلك من الأمور، والتي يكثر فيها الاختلاف والفرقة.

وهذا التصور الخاطئ للصوفية عن العلم اللدني، جعل بعضهم يعرض عن تعلم العلوم الشرعية، مدعياً أنه يعلمه ربه علماً لدنيا، يأتيه من غير تعلم ولا استدلال.

قال الشيخ محمد عبده عن هذا الإدعاء: وهذا الزعم فتح للجاهلين الذين يلبسون لباس الصلاح دعوى العلم بالله، وفهم القرآن والحديث ومعرفة أسرار الشريعة من غير أن يكونوا قد

(١) البحر المحيط (١٣٩/٦).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٤٣٢/٣).

(٣) انظر: البحر المديد (٢٨٨/٣).

تعلموا من ذلك شيئا، والعامة تسلم لهم بهذه الدعوى وتصدق قولهم: أن الله هو الذي تولى تعليمهم ويسمون علمهم هذا بالعلم اللدني.(١)

ثم قال: إننا لا ننكر العلم الذي يسمونه لدنيا، وإنما ننكر أن يكون غاية لذلك الطريق الجائر الذي يشترط فيه الجهل.(٢)

تحقيق القول في العلم اللدني:

قال الإمام ابن القيم: والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ﷺ وكمال الانقياد له فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل : هل خصكم رسول الله بشيء دون الناس فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه. فهذا هو العلم اللدني الحقيقي، وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما: فهو من لدن النفس والهوى والشيطان فهو لدني لكن من لدن من؟ وإنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا: بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه عز وجل.فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني ولدني شيطاني بطناوي، والمحك: هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله ﷺ.(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما " العلم اللدني " لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم.(٤)

ثم قال: والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام طرفان ووسط . فقوم يزعمون أن مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر. وقوم يقولون: لا أثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالأدلة الشرعية أو العقلية. وأما الوسط : فهو أن ذلك من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم ؛ بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافيا.(٥)

وقد رد الإمام ابن القيم على تعريف الصوفية "للعلم اللدني" بأنه: "العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاما بلا سبب من العبد ولا استدلال". بقوله: ونحن نقول إن العلم الحاصل بالشواهد

---

(١) انظر: تفسير المنار (١٦/١٧).

(٢) انظر: تفسير المنار (١٦/١٧).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٧٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٥).

(٥)انظر: المصدر السابق (١٣/٢٤٦).

والأدلة هو العلم الحقيقي وأما ما يدعي حصوله بغير شاهد ولا دليل فلا وثوق به وليس بعلم نعم قد يقوى العلم الحاصل بالشواهد ويتزايد. (١)

٥. جواز الخروج عن الشريعة عند غلاة الصوفية:

إن من مزاعم غلاة الصوفية دعواهم أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى، فيجوزون الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعونه.

وقد رد العلماء على هذه الزندقة الصوفية، وبينوا عوارها. قال ابن أبي العز الحنفي: وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام، في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق-: فهو ملحد زنديق. فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته. ولهذا قال له: (أنت موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم)(٢)، ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين(٣)، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد(٤)، فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة -: فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلا عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان. وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة".(٥)

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى، زندقة، وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام،

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٣١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، ح١٢٢، (١/٣٥)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، ح ٦٣١٣، (٧/١٠٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ح ٤٣٨، (١/٩٥)، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ، ح١١٩١، (٢/٦٣)، وفي لفظ البخاري: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي.... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة)

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، ح ٣٤٤٩، (٤/١٦٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح٤١١، (١/٩٤).

(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٣/٢٦٠)، وانظر: مدارج السالكين (٢/٤٧٦)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٢٤).

بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره، قال القرطبي في تفسيره[١]: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة. وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص. بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم. ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم، وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب، لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالتهم وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة:٢١٣] إلى غير ذلك من الآيات. وعلى الجملة، فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ. وبيان ذلك:أن من قال: يأخذ عن قلبه؛ وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه ولا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة...[٢]

٦. **تفضيل الولي على النبي عند غلاة الصوفية:**

ذهب بعض غلاة الصوفية إلى تفضيل أوليائهم على النبيﷺ، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: ومن جهلة المتصوفة من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!! وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة.[٣]

وقال الحافظ ابن حجر: "كان بعض أكابر العلماء يقول أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبيﷺ".[٤]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١١) وما بعدها.

(٢) انظر: أضواء البيان (٢٦١/١٩) وما بعدها.

(٣) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (ص ٥٠٥). وراجع رده على ابن عربي حول هذا الموضوع. المصدر السابق (ص٥٠٥-٥٠٦).

(٤) الزهر النضر في حال الخضر (ص٩٦).

وخلاصة الأمر: "أَن القول بولاية الخضر، والقول بأَنه مازال حياً، قد جرا من البلايا والمحن والدعاوى الكاذبة، والتلبيس على العامة بل وعلى الخاصة ما لا يصدقه عقل، ولا يقبله دين من دعوى فضل الولاية والأَولياء على النبوة والأَنبياء، وأَن فلاناً لقي الخضر عليه السلام واستلهمه كذا وكذا . . والقول بولايته وحياته أَبد الدهر: هما معتقد الصوفية في جعل الشريعة لها ظاهر وباطن، وأَن علماء الباطن ينكرون على علماء الظاهر، ولا عكس، وبه قالوا بحجية الإلهام، وأَن الولي أَفضل وأَعلم من النبي، والدعوى الواسعة للقاء الخضر والأَخذ عنه، فمنهم من لقي الخضر يصلي على المذهب الحنفي(١)، وآخر رآه يصلي على المذهب الشافعي".(٢)

قال الحافظ ابن كثير: "وإذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر، مستند يستندون إليه، ولا معتمد يعتمدون عليه". (٣)

تحقيق نبوة الخضر:

يقول الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] وهذا العبد المذكور في هذه الآية الكريمة هو الخضر عليه السلام بإجماع العلماء.(٤)، ثم اختلفوا فيه عليه السلام: هل هو: رسول، أم نبي، أم ولي؟ والصحيح أنه نبي، وهو مذهب جمهور العلماء(٥)، وقد رجحه عدد كبير من المحققين والمفسرين(٦)، ولهم في ذلك أدلة كثيرة، نجملها فيما يلي:

---

(١) ولقد وضع بعض الكذابين في ذلك قصة طويلة، حاصلها: أن الخضر عليه السلام تعلم من أبي حنيفة الأحكام الشرعية، ثم علمها للإمام أبي القاسم القشيري، وأن القشيري صنف فيها كتبا وضعها في صندوق، وأمر بعض مريديه بإلقائه في جيحون، وأن عيسى عليه السلام بعد نزوله يخرجه من جيحون ويحكم بما فيه، وهذا كلام باطل لا أصل له، ولا تجوز حكايته إلا لرده. انظر: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين (٥٧/١).

(٢) انظر: التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص ٦٥).

(٣) البداية والنهاية (٣٨٣/١).

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٢٢).

(٥) نص على أن ذلك قول الجمهور عدد من العلماء، منهم ابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان، والبقاعي والألوسي، وسأوثق ذلك من كتبهم فيما يلي، وقال الرازي هو قول الأكثرين، انظر: مفاتيح الغيب (١٢٦/٢١)، وقال إسماعيل حقي- الصوفي-: والجمهور على انه نبي غير مرسل وعند الصوفية المحققين ولى غير نبي. روح البيان (٢٠٦/٥)، وانظر: التحذير من مختصرات الصابوني، بكر أبو زيد (ص ٥٧).

(٦) منهم:١- ابن عطية (٥٤٢هـ) في تفسيره: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٢٩/٣) وقال" "الخضر نبي عند الجمهور"، ٢-والقرطبي، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/١١) ونسبه للجمهور، =

١. قوله تعالي في حق الخضر:﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً ﴾ [الكهف:٦٥]، ذكر الألوسي في تفسير هذه الرحمة ثلاثة أقوال، فقال: قيل: المراد بها الرزق الحلال والعيش الرغد، وقيل: العزلة عن الناس، وقيل طول الحياة مع سلامة البنية، ثم قال: والجمهور على أنها الوحي والنبوة وقد أطلقت على ذلك في مواضع من القرآن. ثم قال: والمنصور ما عليه الجمهور وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين.[١]

وقال الشنقيطي: الرحمة تكرر إطلاقها على النبوة في القرآن، وكذلك العلم المؤتى من الله تكرر إطلاقه فيه على علم الوحي. فمن إطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى في الزخرف: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾. [الزُّخرف:٣١-٣٢]. أي نبوته، وغير ذلك من الآيات، ومن إطلاق إيتاء العلم على النبوة قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣] إلى غير ذلك من الآيات.[٢]

٢. قوله تعالى في حق الخضر: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:٦٥]، قال القرطبي: أي علم الغيب.[٣]، وقال أيضاً: والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي.[٤] وهو كما قال رحمه الله، فليس لولي أن يطلع على الغيب، وليس هذا من اختصاصه، قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

=٣- والشاطبي، انظر: الموافقات (٥٠٧/٢)، ٤- وأبو حيان (٧٤٥هـ)، انظر: البحر المحيط (١٤٧/٦) ونسبه للجمهور، ٥-وابن كثير (٧٧٤هـ) وانتصر له، قال: "وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه". ثم ذكرها، انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٨٢- ٣٨٣)، ٦-والحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)،، وقال: "والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته". انظر: الزهر النضر في حال الخضر (ص١٦٢)، ٧-والبقاعي (٨٨٥هـ) ونسبه للجمهور، انظر: نظم الدرر (٤٨٩/٤)، ٨- وأبو السعود (٩٨٢هـ) في تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٣٤/٥)، ٩-والألوسي (١٢٧٠هـ)، انظر: روح المعاني (١٥/ ٣٢٠) ونسبه للجمهور، ١٠-والشنقيطي (١٣٩٣هـ) وانتصر له، انظر: أضواء البيان (٣٢٣/٣)، ١١-وابن عاشور (١٣٩٣هـ)، انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٦)، وغيرهم، وانظر ص ١٠٤ (في الحاشية) من هذه الرسالة.

(١) انظر: روح المعاني (١٥/ ٣٢٠).

(٢) انظر: أضواء البيان (٣٢٣/٣)

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/١١)

(٤) انظر: المصدر السابق (١٦/١١)

خَلْفِهِ رَصَدًا﴾. [الجنّ:٢٦-٢٧]، فبين سبحانه وتعالى أن علم الأمور الغيبية خاص به، ولم يستثن من ذلك إلا من ارتضى من رسله فيظهره على ما شاء من الغيب، وما ذكر في القصة فهو من الغيوب، فمثلاً كيف لولي أن يعرف ما سيحدث مع غلام بعد سنين، وأنه سيكون ضالاً، وأنه سيعق والديه، وأن أبويه سيدركان معه الكبر ويكونان بجواره؛ بل ويقطع بذلك، ويرتب عليه حكماً بقتل ذلك الغلام. إن الولي أو غيره من الصالحين لا يعرف لنفسه أو لغيره كم سيعيش، أو كيف سيكون حاله عند البلوغ، فهذا كله من الغيب، الذي يخص الأنبياء، والله أعلم.

٣. "قول موسى له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا*قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا*وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾. [الكهف:٦٦-٧٠]، فلو كان وليا وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد؛ بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصوما، ولم تكن لموسى، وهو نبيٌ عظيمٌ ورسولٌ كريمٌ، واجبُ العصمة، كبيرُ رغبة ولا عظيمُ طلبة، في علم ولي غير واجب العصمة، ولَمَا عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه، ولو أنه يمضي حقبا من الزمان قيل ثمانين سنة، ثم لمَّا اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه، دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم اللدنية، والأسرار النبوية، بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم". [1]

٤. الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء، لعدم العصمة، وفي هذه القصة فعل الخضر أموراً كثيرة، لا يجوز فعلها إلا بوحي يقيني. قال الحافظ ابن كثير: "الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته. وبرهان ظاهر على عصمته لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس، بمجرد ما يلقي في خلده، لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق".[2] وقال

(١) البداية والنهاية (٣٨٢/١).

(٢) المصدر السابق (٣٨٢/١).

الشنقيطي: وبالجملة فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك، إلا عن طريق الوحي. [١]

٥. قوله تعالى في نهاية القصة على لسان الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:٨٢] ، قال الإمام ابن كثير: أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره، قال بعد ذلك كله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢]، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي؛ بل أُمِرْتُ به وأوحى إليّ فيه. فدل هذا على نبوته. [٢] وقال الألوسي: "واستدل بقوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ القائلون بنبوته ﷺ وهو ظاهر في ذلك". [٣]

وقال الشنقيطي: أي وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا. وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا. ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها. لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى، وقد حصر تعالى طرق الإنذار في الوحي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ﴾ [الأنبياء:٤٥]، و(إنما) صيغة حصر. [٤]

٦. كيف يترك موسى ﷺ اتباع ما هو معلوم عنده يقيناً بالوحي إلى إلهام ظني من رجل غير معصوم، "وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات"[٥]؛ بل كان في صنيع الخضر مخالفة شديدة –في الظاهر– لما أوحي إلى موسى، ومع ذلك اتبعه، وانتظر منه الجواب، وصدقه فيما يقول.

فإن قيل: لماذا أنكر موسى على الخضر مع علمه بنبوته؟ فالجواب: أن موسى ما تبع الخضر إلا بأمر من الله، فهو سبحانه من دله عليه، ولذلك لمّا اشترط الخضر عليه التسليم له في صحبته، والصبر على ما يراه منه في أفعاله، وألا يسأله عنها حتى يبينها هو له، أجابه موسى لما شرطه عليه، وهذا لا يكون لغير النبي لأن غيره غير معصوم، فلو لم يكن

(١) انظر: أضواء البيان (٣/٣٢٤). وتقدم الكلام عن الإلهام وبيان أنه ليس بحجة.
(٢) انظر: البداية والنهاية (١/٣٨٣).
(٣) روح المعاني (١٦/١٧).
(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٢٢).
(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٢٢).

نبياً لما أجابه إلى ذلك إلا بشرط ألا يخالف أمراً شرعياً، ولذلك عندما صحبه وعاين منه تلك الأمور العجيبة، كان منه السؤال، فذكره الخضر بشروط صحبته له التي شرطها عليه، كما قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥]، فكان كلما ذكره الخضر بذلك، اعتذر له موسى، ووعده بعدم السؤال في المرة القادمة، كما في قوله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣]، وكما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦]، هذا ما يراه الباحث في الجواب، وبالله التوفيق.

٧. ومما يشهد بنبوة الخضر، ما جاء في نهاية القصة على لسان الخضر، في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨]، فهو يدل على أن الخضر ماض في أعماله العجيبة، كما جاء في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: (رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة[١])[٢]، فهذا كله يدل على نبوته، وأنه قد اختص ببعض العلوم الغيبية، وأنه يشغل وقته، ويتعبد لله بالقيام بهذه الأمور التي أمره الله بها، كما جاء على لسانه في قوله تعالى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:٨٢].

أثر هذه الأفكار في كتب التفسير:

تقدم أن القول بنبوة الخضر هو قول الجمهور، وهو الذي رجحه عدد من المحققين، وذلك بناءً على أدلة كثيرة وقوية يحصل بها اليقين، قال إسماعيل حقي –الصوفي– في تفسيره: والجمهور على أنه نبي غير مرسل وعند الصوفية ولي غير نبي.[٣] فبين حقي أن الصوفية هم من يتزعمون هذا القول.

---

(١) ذَمامة: أي استحياء لتكرار مخالفته. شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٤٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر ، ح ٦٣١٥، (٧/١٠٥).

(٣) انظر: روح البيان (٥/٢٠٦).

وذكرنا أن القول بولاية الخضر وقع بسببه بعض الطوائف والفرق في ضلالات كثيرة بسبب ما بنوه عليه، ومع ذلك كله نرى جماعة من المفسرين يميلون إلى هذا القول، ويقولون به[1]، بل ويقرر بعضهم بعض الأفكار الصوفية التي بناها الصوفية على هذا القول.

فمثلاً: يقول الشيخ الشعراوي: تكلم العلماء في معنى الرحمة هنا، فقالوا : الرحمة وردتْ في القرآن بمعنى النبوة، ومطلق الرحمة تأتي على يد جبريل عليه السلام وعلى يد الرسل، أما هذه الرحمة، فمن عندنا مباشرة دون واسطة الملَك؛ لذلك قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الكهف:٦٥]، فالإتيان والعندية من الله مباشرة، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] أي: من عندنا لا بواسطة الرسل، لذلك يسمونه العلم اللدني، كأنه لا حرجَ على الله تعالى أن يختار عبداً من عباده، ويُنعِم عليه بعلم خاص من وراء النبوة، فعِلْم الخضر من كيس الولاية، وعلم موسى من كيس الرسل، وهما في الحقيقة لا يتعارضان، وإنْ كان لعلم الولاية عِلَل باطنة، ولعلم الرسالة عِلَل ظاهرة. [2]

ثم قال: ونلحظ في هذا الحوار بين موسى والخضر عليهما السلام أدبَ الحوار واختلافَ الرأي بين طريقتين: طريقة الأحكام الظاهرية، وطريقة ما خلف الأحكام الظاهرية، وأن كلاً منهما يقبَل رأْيَ الآخر ويحترمه ولا يعترض عليه أو يُنكره، كما نرى أصحاب المذاهب المختلفة ينكر بعضهم على بعض، بل ويُكفِّر بعضهم بعضاً، فإذا رأَوْا مثلاً عبداً مَنْ عباد الله اختاره الله بشيء من الفيوضات، فكانت له طريقة وأتباع نرى من ينكر عليه، وربما وصل الأمر إلى الشتائم والتجريح، بل والتكفير.

قال: فلكُلٍّ منهما– الخضر وموسى– مذهبه الخاص، ولا يحتج بمذهب على مذهب آخَر. [3]

---

(١) منهم:١– البغوي (٥١٦ هـ) في تفسيره: معالم التنزيل (١٨٨/٥)، ٢– والخازن (٧٤١هـ) في تفسيره: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٢٨/٤)، ٣– والسعدي (١٣٧٦هـ)، في تفسيره: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٨٢/١)، ٤– والشعراوي (١٤١٩هـ) في تفسيره (٩٢٣/٢)، ٥–والصابوني في تفسيره: التفسير الواضح الميسر (ص٧٣٢). والقائلون بعدم نبوته على قسمين: قسم قالوا: بعدم نبوته، وتأثروا بأفكار الصوفية في ذلك، وقسم آخر: قالوا بعدم نبوته دون أن يتأثروا بما بناه الصوفية في ذلك من أمور، بل ردوها ورفضوها.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (٨٩٥٤/١٤) وما بعدها.

(٣) انظر: المصدر السابق (٨٩٥٨/١٤).

مناقشة الشيخ الشعراوي في كلامه السابق:

يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي في تفسيره للآيات، جاء متشبعاً بالفكر الصوفي، متأثراً به. ونوضح ذلك في عدة نقاط:

١- فرق فضيلته بين العلم اللدني – وجعله من علم الولاية–، وعلم النبوة، بأن الأول يكون من الله مباشرة بغير واسطة الملك. وهذا من كلام الصوفية، قال الإمام أبو حيان الأندلسي: زعم ابن عربي الطائي أن الولّي خير من النبيّ قال : لأن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة، والنبيّ يأخذ بواسطة عن الله، ولأن الولي قاعد في الحضرة الإلهية والنبيّ مرسل إلى قوم، ومن كان في الحضرة أفضل ممن يرسله صاحب الحضرة إلى أشياء من هذه الكفريات والزندقة. (١)

٢- ما ذهب إليه فضيلته من ولاية الخضر، قول رده العلماء، وبينوا خطأه، وما ترتب على القول به من وقوع بعض الناس في ضلالات وكفريات، وقد نقل الباحث عن الصوفي إسماعيل حقي أن الصوفية هم من يتزعمون هذا القول، خلافاً لجمهور العلماء.(٢) فالقول بولاية الخضر عليه السلام كما يقول الألوسي- لا يعول عليه ولا يلتفت إليه. (٣)

٣- جعل غفر الله له الاختلاف بين أهل السنة -الملتزمين بالكتاب والسنة- وبين شيوخ الصوفية وأصحاب الطرق، من جنس الاختلاف بين موسى والخضر، وأنهما طريقتان: طريقة الأحكام الظاهرية، وطريقة ما خلف الأحكام الظاهرية، وأن هاذين الطريقين لا يتعارضان في حقيقة الأمر، وأنه يجب أن يحترم كلاً منهما الأخر، وألا ينكر بعضهم على بعض، إلى أخر كلامه.

ويرى الباحث أن في هذا الكلام من اللبس والخطأ ما فيه، كما يظهر فيه الأثر الصوفي واضحاً و جلياً. والقصة لا تدل على ما ذكر الشيخ لا من قريب ولا من بعيد، وقد تعلق بعض الصوفية بهذه القصة بمثل ما ذكر الشيخ، فسوغوا لأنفسهم الخروج على الشريعة، كما اتخذه بعضهم مستنداً في دعوى عدم الإنكار عليهم، وتقدم الحديث عن هاتين الفكرتين الخطيرتين،

---

(١) انظر: البحر المحيط (١٤٨/٦).

(٢) انظر: روح البيان (٢٠٦/٥).

(٣) انظر: روح المعاني (١٧/١٦).

ونقلت ردود العلماء في ذلك. وخلاصة الأمر أنه يجب الإنكار على كل من خالف أمراً من أمور الشريعة في الظاهر أو الباطن.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه.[١] "فلا يملك المؤمن أمام ما يراه من مخالفة للشرع، إلا أن يتخذ موقف موسى ؑ، بأن ينكر كل ما خالف أمر الشرع، إلا أن يكون معه أمر من الله باتباع ذلك المخالف، ولا أمر بعد رسول الله ﷺ.[٢]

وممن قال من المفسرين بولاية الخضر أيضاً: الشيخ السعدي، حيث قال في تفسيره: وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى ؑ[٣]، وقال أيضاً: ذلك العبد الذي لقياه، ليس نبياً، بل عبداً صالحاً، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته.[٤]

أقول -وبالله التوفيق-: لم يذكر الشيخ السعدي من الأدلة على قوله بولاية الخضر سوى قوله: "لأنه وصفه بالعبودية...ولم يذكر رسالته ولا نبوته..."، أما الأدلة على نبوة الخضر فهي كثيرة وقوية، وهي مأخوذة من سياق القصة وألفاظها وغير ذلك -كما تقدم-، كما أن القول بولاية الخضر يتعارض مع القواعد الشرعية -كما تقدم أيضاً-.

وأيضاً: ما ذكره الشيخ فليس بمسلَّم؛ لأن العبودية صفة الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى عن نوح ؑ: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ [الإسراء:٣]، وقال أيضاً: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا** ﴾ [القمر:٩]، وقال سبحانه عن عيسى ؑ: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ** ﴾ [الزُّخرف:٥٩]، وقال سبحانه عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا** ﴾ [الإسراء:١].

وأما الرحمة وإيتاء العلم فقد تقدم أنه يراد بهما النبوة.

الفرع الثاني: القول بحياة الخضر عند الصوفية، وما رتبوا عليه في ذلك:

من معتقدات الصوفية في الخضر: أنه لم يمت، وأنه حي باق إلى الآن، وأنه يلتقي بالأولياء ويأخذون عنه. وكتبهم مليئة بذكر الحكايات في ذلك، قال أبو حامد الغزالي: وما حكى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٦/١).

(٢) انظر: موقف الإسلام من الإلهام و الكشف و الرؤى و من التمائم و الكهانه و الرقي (ص٥٥).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٨١/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤٨٢/١).

عن المشايخ من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه خارج عن الحصر.[1] وقال إسماعيل حقي: " والأكثر على أنه موجود بين أظهرنا وهذا متفق عليه عند الصوفية".[2]

ويعتقد الصوفية أن الخضر قد يتمثل للأولياء وأرباب القلوب ويشاهدوه بصور مختلفة.[3] ويأخذون عنه بعض الأدعية والأوراد[4]، أو بعض الصلوات[5]، أو قد يستفتونه في مسائل فقهية.[6] وقد يسأل أحدهم الخضر ممن تعلمت هذا؟ فيجيب من رسول الله ﷺ. [7]

والخلاصة أن الصوفية تعتمد على الخضر كمصدر من مصادر المعرفة والتشريع. وهذا فيه تعدي واضح على مصادر الشرع[8]، بل فيه فتح باب واسع للبدع، وإذا ما اعترض عليه أحد، قال هذا من العلم اللدني أخذته من الخضر، والخضر أخذه من النبيﷺ.

إن الكتاب والسنة هما مصدرا التشريع لهذه الأمة، وحتى لو كان الخضر حياً فلا يسعه إلا اتباعهما، لا يخرج عنهما قيد أنملة، هذا إن افترضنا جدلاً أنه موجود إلى الآن، ولكن الأدلة الشرعية تدل على موته كما سنذكرها –إن شاء الله تعالى–، ثم نسأل من يقول بحياته كيف تجزم بأنك رأيت الخضر لا غيره؟ وهل لذلك علامة ما؟.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٣/٢٥)،

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي (٥/٢٠٦).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٩٤).

(٤) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي (٣٨٦هـ) (١/١٧)، إحياء علوم الدين (١/٣٣٦)، (٤/٣٥٧)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٢/٥٢٧)

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٢)

(٦) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٧٠).

(٧) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٥٢)، قال الحافظ العراقي في كتابه "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" : "ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته". إحياء علوم الدين– في الحاشية– (١/٣٣٦)، وقال الألوسي: "أجمع المحدثون والقائلون بحياته عليه السلام على أنه ليس له رواية عن النبي ﷺ كما صرح به العراقي في تخريج أحاديث الأحياء وهذا خلاف ما عند الصوفية...".روح المعاني (١١/٣٢١).

(٨) انظر في هذا المعنى: كتاب: أصول بلا أصول، بحث واف في رد عدوان الصوفية ومدعي المهدية على مصادر التلقي والمرجعية الشرعية، د. محمد إسماعيل المقدم، وقد تحدث عن هذا الموضوع (ص٢٣٣) وما بعدها، وانظر: ص ١١٥ من هذه الرسالة.

الرد على القائلين بحياة الخضر:

اختلف العلماء في بقاء الخضر حياً على قولين: فذهب بعض العلماء والصوفية إلى القول بحياته[1]، وذهب جمهور العلماء والمحققين منهم إلى القول بموته[2]، وهو القول الصحيح الذي تدل عليه الأدلة النقلية والعقلية، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

والذي يراه الباحث أن الصوفية كان لهم دور كبير في نشر هذه الفكرة ورواجها، حتى على بعض العلماء[3]، فقد ذكر الصوفية في مشاهدة الخضر ولقائه الحكايات والأمور الكثيرة، وكان بعض العلماء يستأنس بقولهم ويثق بمشاهدتهم. قال العلامة ابن عاشور: ثم اختلفوا في أنه لم يزل حياً اختلافاً لم يبن على أدلة مقبولة متعارفة ولكنه مستند إلى أقوال بعض الصوفية، وهي لا ينبغي اعتمادها لكثرة ما يقع في كلامهم من الرموز والخلط بين الحياتين الروحية والمادية، والمشاهدات الحسية والكشفية، وقد جعلوه رمز العلوم الباطنية.[4].

---

(١) منهم: ١-ابن الصلاح (٦٤٣هـ)، انظر: فتاوى ابن الصلاح (١٨٥/١)، ٢- والقرطبي (٦٧١هـ)، انظر: الجامع لأحكام القرآن(٤١/١١)، ٣- والنووي (٦٧٦هـ)، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٣٥/١٥)، ٤-والسيوطي (٩١١هـ)، انظر: الحاوي للفتاوى (١٣١/٢). ٥-وجمهور الصوفية، انظر: روح البيان (٢٦٥/٥).

(٢) منهم: ١-البخاري (٢٥٦هـ)، ٢-وإبراهيم الحربي(٢٨٥ هـ)، ٣-وابن الجوزي (٥٩٧هـ)، وألف في ذلك كتابا سماه " عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر" انظر: البداية والنهاية (٣٩٠/١)، ٤-وابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) وعد القول بحياة الخضر من التأثر بأقوال اليهود. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري (١٣٨/٤)، ٥-وابن عطية (٥٤٢هـ) ونسبه للجمهور، انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٥٣٧/٣)، ٦-وابن تيمية (٧٢٨هـ)، وقال: "القول الفصل في الخضر ﷺ والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام"، انظر: مجموع الفتاوى (١٠٠/٢٧)، التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص٥٨)، ٧-وأبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ونسبه للجمهور، انظر: البحر المحيط (١٣٩/٦)، ٨-وابن حجر (٨٥٢هـ)، انظر: الزهر النضر في حال الخضر (ص٢٠٨)، ٩-والبقاعي (٨٨٥هـ)، انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨١/٥)، ١٠- والألوسي (١٢٧٠هـ)، انظر: روح المعاني (٣٢٩/١٥)، ١١- والسعدي (١٣٧٦هـ)، انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٢٣)، ١٢-والشنقيطي (١٣٩٣هـ)، انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٦٩/١٩)، ١٣- وابن عاشور (١٣٩٣هـ)، انظر: التحرير والتنوير(١٦/١٦).

(٣) ومن ذلك قول الإمام النووي: "جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر". صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٦/١٥)، وانظر: الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات، مشهور بن حسن آل سلمان (ص ٢٢٥).

(٤) التحرير والتنوير (٣٦٣/١٥).

وقد رد العلماء على الصوفية في قولهم بحياة الخضر، بعدة أدلة نجملها فيما يلي:

١- قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، قال الإمام ابن كثير: "يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام، إلى عيسى عليه السلام، لَمَهما آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من إتباع من بعث بعده ونصرته". [١] فالخضر عليه السلام إن كان نبياً أو ولياً، فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حياً في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزل الله عليه، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه، لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه، وإن كان نبياً فموسى أفضل منه. والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه، أنه اجتمع برسول الله ﷺ في يوم واحد، ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد. [٢]

٢- ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى ليلة العشاء ثم قال: " أرأيتم ليلتكم هذه فإنه إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد ". قال ابن عمر رضي الله عنهما: " فَوَهَلَ [٣] الناس في مَقَالَةِ رسول الله ﷺ، إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال النبي ﷺ: "لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض" يريد بذلك أنها تَخْرِمُ[٤] ذلك القرن.[١] ففي هذا الحديث أخبر ﷺ بأنه على رأس

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣٩٠/١-٣٩١)، أضواء البيان (٣٣١/٣).

(٣) "(فوهَل الناس) بفتح الهاء أي غلطوا يقال وهل بفتح الهاء يهل بكسرها وهلا كضرب يضرب ضربا أي غلط وذهب وهنه إلى خلاف الصواب وأما وهلت بكسرها أهل بفتحها وهلا كحذرت أحذر حذرا فمعناه فزعت والوهل بالفتح الفزع". المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩٠/١٦).

(٤) "قوله (ينخرم ذلك القرن) أي ينقطع وينقضي" المصدر السابق (٩٠/١٦). وقال ابن حجر: "بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النبي ﷺ، وأن مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجودا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودا=

مائة سنة من الليلة التي تكلم فيها بالحديث لم يبق على وجه الأرض أحد ممن هو عليها تلك الليلة، كما بينه ابن عمر رضي الله عنهما، فلو كان الخضر حيا في الأرض لما تأخر بعد المائة المذكورة.[٢] قال ابن الجوزي: فهذا الحديث وغيره من الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر. فالخضر داخل في هذا العموم والأصل عدم المخصص له، حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم.[٣]

٣- عدم وجود دليل صحيح يدل على بقائه، فجملة ما يعتمد عليه القائلون به، روايات ضعيفة أو موضوعة لا تصح[٤]، فلا يحتج بها، هذا فضلاً على أنها تخالف النصوص الصريحة الأخرى التي دلت على موته. أو يعتمدون على "حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر فيالله تعالى العجب هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه".[٥]

٤- يلزم القائلين ببقائه ووجوده الآن، القول باختفائه، ولا دليل على وجوده أصلاً، فالقول بهذا كله هو من باب التوهمات التي لا دليل عليها، فضلاً عن أنه قد ثبتت النصوص بخلافها،

=حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة ﷺ وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتا وغاية ما قيل فيه إنه بقي إلى سنة عشر ومائة وهي رأس مائة سنة من مقالة النبيﷺ". فتح الباري (٧٥/٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، ح٦٠١، (١٢٣/١)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب قَوْلِهِ ﷺ " لاَ تَأْتِى مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ "، ح٦٦٤٢، (١٨٦/٧).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٧٢/١٩).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٣٩٢/١).

(٤) وقد قرر ذلك جماعة من حفاظ الحديث وعلمائه، منهم: ١-الحافظ أبو الخطاب ابن دحية (٦٣٣هـ)، قال: "لا يثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى كما قصه الله من خبره، وجميع ما ورد في حياته لا يصح منه شيء باتفاق أهل النقل وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علته إما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث". الإصابة في تمييز الصحابة (٢٩٦/٢)، ٢-والإمام ابن القيم (٧٥١هـ)، قال: "الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد". المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن القيم الجوزية (ص٦٧)، ٣-والحافظ أبو الفضل العراقي(٨٠٦هـ)، قال في كتابه (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار): "ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته". إحياء علوم الدين- في الحاشية- (٣٣٦/١)، ٤-وقال الشيخ الألباني: كل أحاديث حياة الخضر موضوعة. انظر: السلسلة الضعيفة (٣٨/١٢)، وانظر في مناقشة الروايات الواردة: الخضر بين الواقع والتهويل، محمد خير رمضان يوسف (ص١٦٩-١٨٩).

(٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص٧٥)، روح المعاني (٣٢١/١٥)، والكلام لابن الجوزي.

"ثم ما الحامل له على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لأجره وأعلى في مرتبته وأظهر بمعجزته، ثم لو كان باقيا بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم، وجماعاتهم، ونفعه إياهم، ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم وتسديده العلماء، والحكام وتقريره الأدلة، والإحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار، وجوبه الفيافي والأقطار. واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم. وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم". (1)

٥- أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن، ولم يصاحبه، وقال هذا فراق بيني وبينك، فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة، ولا مجلس علم؟ وكل منهم يقول: قال لي الخضر، جاءني الخضر، أوصاني الخضر فياعجبا له يفارق الكليم، ويدور على صحبة جاهل لا يصحبه إلا شيطان رجيم، سبحانك هذا بهتان عظيم. (2)

٦- "أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول أنا الخضر لو قال: سمعت رسول الله يقول: كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين، ولا مخلص للقائل بحياته عن ذلك، إلا أن يقول: إنه لم يأت إلى الرسول ﷺ ولا بايعه، أو يقول: إنه لم يرسل إليه، وفي هذا من الكفر ما فيه". (3)

---

(1) البداية والنهاية (١/٣٩٠-٣٩١).

(2) روح المعاني (١٥/٣٢١)، وانظر: المنار المنيف (ص٧٥) والكلام لابن الجوزي.

(3) المنار المنيف (ص٧٦)، روح المعاني (١٥/٣٢١)، والكلام لابن الجوزي. وهناك أدلة أخرى على موت الخضر، وكلام لأهل العلم في دفع الإشكالات، وإجابة الاعتراضات، ليرجع لها من أراد التوسع انظر: الزهر النضر في حال الخضر، روح المعاني(١٥/٣٢٠-٣٢٩)، أضواء البيان (٣/٣٢٨- ٣٣٨)، الخضر بين الواقع والتهويل، محمد خير رمضان يوسف (ص١٢٥-٢١١)، موسى والخضر علما الظاهر والباطن، للدكتور محمود المراكبي، وكل هذه الكتب انتهت إلى القول بنبوة الخضر عليه السلام. وموته.

تأصيل لشيخ الإسلام ابن تيمية في بيان خطورة المسألة وتفريعاتها وأثرها على الفرق المختلفة:

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن المسألة ليست خاصة بالخضر وحده دون غيره من الأشخاص، وليست خاصة بأمة الإسلام دون غيرها من الأمم، وليست خاصة بطائفة الصوفية دون غيرها من الطوائف، بل القضية أوسع من هذا كله، فهي باب واسع من أبواب الضلال، التي فتحها الشيطان على الناس لإفساد عقائدهم وعبادتهم.

قال رحمه الله: "ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه رأى الخضر ولا اجتمع به؛ لأنهم كانوا أكمل علماً وإيماناً من غيرهم، فلم يكن يمكن الشيطان التلبيس عليهم كما لبس على كثير من العبَّاد ولهذا كثير من الكفار اليهود والنصارى يأتيهم من يظنون أنه الخضر ويحضر في كنائسهم وربما حدثهم بأشياء وإنما هو شيطان جاء إليهم فيضلهم".[١]

وقال أيضاً: فإن الذين رأوا من قال إني أنا الخضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترة؛ لكن أخطئوا في ظنهم أنه الخضر وإنما كان جنيا، ولهذا يجري مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرٌ ما يأتيهم في كنائسهم من يقول إنه الخضر، وكذلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول إنه الخضر، وفي ذلك من الحكايات الصادقة ما يضيق عنه هذا الموضع، وقد يقول: أنا المسيح أو موسى أو محمد –صلوات ربي وسلامه عليهم– أو أبو بكر أو عمر –رضي الله عنهما– أو الشيخ فلان. فكل هذا قد وقع. ومن هنا ضلت النصارى حيث اعتقدوا أن المسيح بعد أن صلب – كما يظنون – أنه أتى إلى الحواريين وكلمهم ووصاهم، وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك، وذاك الذي جاء كان شيطاناً قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه، ويجوز أن يشتبه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين، ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه، ولم يرفع حتى بلغ رسالات ربه فلا حاجة إلى مجيئه بعد أن رفع إلى السماء. وأصحاب الحلاج[٢] لما قتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه في صورته عياناً. وكذا منتظر الرافضة[٣] قد يراه أحدهم أحياناً ويكون المرئي جنياً. فهذا باب واسع واقع كثيراً وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر

---

(١) الرد على المنطقيين، أحمد بن تيمية (ص١٨٥).

(٢) انظر ترجمته ص٣٢ من هذه الرسالة.

(٣) يعتقد الشيعة أن إمامهم محمد بن الحسن العسكري، –قيل: ولد سنة ٢٥٦ هـ– لم يمت، وأنه حي إلى وأنه لا يموت حتى يخرج فهو المهدي المنتظر عندهم، وأما الآن فهو غائب، ويلتقي ببعض شيوخهم.انظر: في تفصيل عقيدتهم في ذلك: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد (٨١٦/٢–٨٦١)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٨/٤) وما بعدها.

ففي المشركين[١] أكثر مما في النصارى، وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الإسلام، وهذه الأمور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها؛ فينتقلون بسببها إلى ما هو خير مما كان عليه، كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الإنس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم إلى الإسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وإن كان قصد ذلك الرجل فاسداً.[٢]

أثر هذه الفكرة في كتب التفسير:

يظهر الأثر الصوفي في كتب التفسير عند دراسة هذه القضية واضحاً وجلياً، فنجد بعض المفسرين يذهب إلى حياة الخضر إلى الآن، وينتصر لذلك، ويصحح دعاوى بعض الصوفية في لقائه؛ بل ويقرر في جنابات حديثه كلام الصوفية وأفكارهم حول هذه القضية.

فمثلاً، يقول الإمام القرطبي في تفسيره: ذهب الجمهور من الناس إلى أن الخضر مات صلى الله عليه وسلم. وقالت فرقة: حي لأنه شرب من عين الحياة، وأنه باق في الأرض وأنه يحج البيت....والصحيح القول الثاني وهو أنه حي.

ثم ذكر، حديث المائة سنة، -وقد تقدم-[٣]، وأجاب عنه قائلاً: قال علماؤنا: وحاصل ما تضمنه هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أخبر قبل موته بشهر أن من كان من بني آدم موجودا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة... ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من يقول: إن الخضر حي، لأن العموم وإن كان مؤكد الاستغراق فليس نصا فيه، بل هو قابل للتخصيص. فكما لم يتناول عيسى عليه السلام، فإنه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه، ولا يتناول الدجال مع أنه حي كما في صحيح مسلم[٤]، فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام، وليس مشاهد للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا، فمثل هذا العموم لا يتناوله.

قال القرطبي: وقد قيل: إن أصحاب الكهف أحياء، ويحجون مع عيسى عليه السلام، كما تقدم. وكذلك فتى موسى عليه السلام في قول ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكرنا. وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبي في كتابه العرائس: والصحيح أن الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار.

---

(١) قال شيخ الإسلام: "وقد يدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم وقد يقضي بعض حاجاتهم فبهذا وأمثاله ظهر الشرك قديما وحديثا وفعل النصارى وأشباههم ما فعلوه من الشرك". دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، د. محمد السيد الجليند (٦٨/٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٩٤/١٣).

(٣) تقدم في الأدلة على موت الخضر، انظر ص١٠٢ من هذه الرسالة.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح٧٥٧٣، (٢٠٣/٨).

قال[1]: وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي[2] في شرح الرسالة للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات بأنهم رأوا الخضر عليه السلام ولقوه، يفيد مجموعها غاية الظن بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبي وغيرهما.

قال: وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الهواتف[3]: بسند يوقفه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه "أنه لقي الخضر وعلمه هذا الدعاء، وذكر أن فيه ثوابا عظيما[4]ومغفرة ورحمة لمن قاله في أثر كل صلاة، وهو: "يا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا تغلطه المسائل، ويا من لا يتبرم من إلحاح الملحِّين، أذقني برد عفوك، وحلاوة مغفرتك". وذكر أيضا اجتماع إلياس عليه السلام مع النبي عليه الصلاة والسلام[5]. وإذا جاز بقاء إلياس عليه السلام إلى عهد النبي ﷺ جاز بقاء الخضر.

قال: وذكر أبو عمر ابن عبد البر في كتاب التمهيد[6]: عن علي رضي الله عنه قال: "لما توفي النبي ﷺ وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، إن في الله خلفا من كل هالك، وعوضاً من كل تالف، وعزاء من كل مصيبة، فبالله فثقوا، وإياه

---

(١) الكلام وما يليه للقرطبي.

(٢) عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي بن عبد الخالق. أبو محمد الإسكندراني اللخمي، المالكي، الضرير، الرجل الصالح. (المتوفى: ٦٣٨ هـ)، وكان له بالإسكندرية رباط مشهور وانتفع بصحبته جماعة. وله فوائد ومجاميع. وتوفي بمكة في أواخر ذي الحجة. انظر: تاريخ الإسلام (٣٧٠/٤٦).

(٣) هواتف الجنان، ابن أبي الدنيا (ص٦٢)، قال ابن الجوزي: لا يصح، فيه محمد بن الهروي مجهول، وابن محرر متروك، والذي قال فيه ابن المنادي: لقيته وكانت بعرة أحب إلي منه. انظر: الموضوعات، ابن الجوزي (١٩٨/١)، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السيوطي (١٥٤/١).

(٤) جاء فيه، قال: فوالذي نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحصى الأرض لغفر الله عز وجل لك أسرع من طرفة عين. الهواتف (ص٦٢) قلت: لو كان خيراً لدلنا النبي ﷺ عليه، وهذا شبيه بالأحاديث الموضوعة التي تجدها تذكر أدعية وأذكاراً لا أصل لها، وتجعل لها من الأجور ما تفوق ما ذكرته الأحاديث الصحيحة للأذكار الصحيحة، ولو صحت مثل هذه الأحاديث لاشتهرت بين الصحابة رضي الله عنهم، ولرواها حفاظ الحديث، ونقلوها للأمة بالأسانيد الصحيحة كما نقلوا لنا غيرها من الأحاديث، وذلك لأهميتها وفضلها، ولكن لأنها لم تصح أصلاً فلذلك لا نجدها أصلاً في كتب الحديث المعتمدة، كالصحيحين والسنن وغيرهما من كتب الحديث.

(٥) هواتف الجنان (ص٩٩)، وأخرجه الحاكم وصححه، وتعقبه الذهبي، فقال: بل موضوع قبح الله من وضعه. انظر: المستدرك على الصحيحين، ح٤٢٣١، (٦٧٤/٢).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر (١٦٢/٢) وهو حديث موضوع كما سيأتي بيانه-إن شاء الله تعالى-.

فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب" فكانوا يرون أنه الخضر عليه الصلاة السلام. يعني أصحاب النبي ﷺ.

قال: والألف واللام في قوله: "على الأرض" للعهد لا للجنس وهي أرض العرب، بدليل تصرفهم فيها وإليها غالباً دون أرض يأجوج ومأجوج، وأقاصي جزر الهند والسند مما لا يقرع السمع اسمه ، ولا يعلم علمه. [1]

مناقشة كلام القرطبي في حياة الخضر عليه السلام.

يرى الباحث أن كلام الإمام القرطبي في تفسيره حول هذه المسألة، قد جاء مشتملاً على مجموعة من الأخطاء العلمية[2]، والأفكار الصوفية، ونوضح ذلك في عدة نقاط:

١. ذكر الإمام القرطبي أن القول بموت الخضر هو قول الجمهور، وهذا فيه رد على من زعم[3] أنه لم يقل بموته إلا قلة من أهل العلم.

٢. وأما ما أجاب به عن الحديث، فقد تعقبه الشنقيطي، بقوله: كلام القرطبي هذا ظاهر السقوط كما لا يخفى على من له إلمام بعلوم الشرع، فإنه اعترف بأن حديث النبي ﷺ عام في كل نفس منفوسة عموماً مؤكدا؛ لأن زيادة «من» قبل النكرة في سياق النفي تجعلها نصا صريحا في العموم لا ظاهراً فيه كما هو مقرر في الأصول.

قال: ولو فرضنا صحة ما قاله القرطبي رحمه الله من أنه ظاهر في العموم لا نص فيه، وقررنا أنه قابل للتخصيص كما هو الحق في كل عام، فإن العلماء مجمعون على وجوب استصحاب عموم العام حتى يرد دليل مخصص صالح للتخصيص سندا ومتنا، فالدعوى المجردة عن دليل من كتاب أو سنة لا يجوز أن يخصص بها نص من كتاب أو سنة إجماعا.

قال: وقوله: «إن عيسى عليه السلام لم يتناوله عموم الحديث» فيه أن لفظ الحديث من أصله لم يتناوله عيسى؛ لأن النبي ﷺ قال فيه: "لم يبق على ظهر الأرض ممن هو بها اليوم أحد"، فخصص ذلك بظهر الأرض فلم يتناول اللفظ من في السماء، وعيسى عليه السلام قد رفعه الله من الأرض.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/٤١-٤٤).

(٢) وقد تعقبها عليه بعض العلماء، كالعلامة الشنقيطي في تفسيره، انظر: أضواء البيان (١٩/ ٢٨٠-٢٨٨).

(٣) كابن الصلاح، انظر: فتاوى ابن الصلاح (١/١٨٥)

قال: وقوله: "إن الخضر ليس مشاهدا للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا"، لا دليل عليها والأصل خلافه، ثم إنا لو فرضنا أنه لا يراه بنو آدم، فالله الذي أعلم النبي بالغيب الذي هو «هلاك كل نفس منفوسة في تلك المائة» عالم بالخضر، وبأنه نفس منفوسة...

قال: وما ذكره القرطبي من خروج الدجال من تلك العمومات لا دليل فيه؛ لأن الدجال أخرجه دليل صالح للتخصيص، وهو الحديث الذي أشار إليه القرطبي.[١]

٣. ما ذكره من حياة أصحاب الكهف وفتى موسى، فهو دعوى لا دليل عليها، قال الشنقيطي: ودعوى حياة أصحاب الكهف، وفتى موسى ظاهرة السقوط ولو فرضنا حياتهم فإن الحديث يدل على موتهم عند المائة، ولم يثبت شيء يعارضه.[٢]

٤. ما نقله عن الثعلبي، من أن الخضر محجوب عن الأبصار، "دعوى لا دليل عليها، والأصل خلافها، لأن الأصل أن بني آدم يرى بعضهم بعضاً لاتفاقهم في الصفات النفسية، ومشابهتهم فيما بينهم"[٣]. ثم إن في القصة ما يشهد لذلك، فأصحاب السفينة كانوا يعرفون الخضر دون موسى عليهما السلام، ولذلك حملوهما دون أجر[٤]، وهذا يدل على أن الخضر لم يكن مختفياً وإنما كان معروفاً بين الناس في ذلك المكان، وأما موسى فلم يكن معروفا لهم، لأنه لم يكن مرسلاً إليهم، وإنما سافر إلى هذا المكان ليقابل الخضر.

والقول إن الخضر محجوب عن الأبصار، هو من لوازم القول بحياته، كأن يقال: إن كان الخضر حياً فأين هو؟ فيجاب هو غائب مختف عن الأبصار، وهذا أيضاً من كلام بعض المتصوفة، فعندهم ما يسمونه "رجال الغيب"، وهم عندهم أولياء غائبين في الأرض- قال ابن أبي العز الحنفي: "والحق: أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنّ:٦]. وإلا فالإنس يؤنسون، أي يظهرون ويرون، وإنما يحتجب الإنسي

---

(١) انظر: أضواء البيان (٣/٣٣٥-٣٣٧).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٨١/١٩).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٨٣/١٩).

(٤) وقد جاء ذلك في الحديث الطويل الذي ذكر فيه النبي ﷺ قصة موسى والخضر، وتقدم تخريجه ص٨١ من هذه الرسالة.

أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظن أنهم من (الإنس) فمن غلطه وجهله".[١]

٥. ما نقله عن شيخه أبو محمد عبد المعطي، يقال له كيف علم هؤلاء أن من رأوه هو الخضر. قال أبو حيان الأندلسي: وكان قاضي القضاة ابن دقيق العيد[٢] يخبر عن شيخ له أنه رأى الخضر وحدثه، فقيل له: من أعلمه أنه الخضر؟ ومن أين عرف ذلك ؟ فسكت.[٣] وقال ابن عاشور: والأظهر أن الخضر قد لحقه الموت الذي يلحق البشر في أقصى غاية من الأجل يمكن أن تفرض، وأن يحمل ما يعْزى إليه من بعض الصوفية الموسومين بالصدق أنه محوك على نسج الرمز المعتاد لديهم، أو على غشاوة الخيال التي قد تخيم عليهم. فكونوا على حذر ممن يقول: أخبرني الخَضر.[٤]

٦. ما نقله القرطبي من أن الخضر لقي علياً ﵁ وعلمه دعاءً خاصاً، وذكر أن له من الأجر الكبير ما له، فإنه لا يصح – كما تقدم–، وأيضاً فهو مستند الصوفية الذين يزعمون أنهم يتلقون أذكاراً وأوراداً عن الخضر، وهو كلام مردود، لأن فيه إعراضاً عن الأذكار الشرعية التي بلغها رسول الله ﷺ لأمته. وفيه فتح لباب واسع للابتداع والاختراع في الدين، بدعوى أن هذه الأذكار تلقاها من الخضر، كما هو واقع الكثير من الطرق الصوفية التي ابتدعت من الأذكار والأوراد الكثير، وزعموا أنهم تلقوها من الخضر، أو من الإلهام، أو من غير ذلك.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٢١).

(٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المنفلوطي المصري، المالكي الشافعي، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد، أحد الأعلام، وقاضي القضاة، (٦٢٥ – ٧٠٢ هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (٢٠٧/٩)، الأعلام (٢٨٣/٦)، معجم المؤلفين (٧٠/١١).

(٣) انظر: البحر المحيط (١٣٩/٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير(١٦/١٦)، يقول الدكتور محمود المراكبي الذي كان شيخاً لإحدى الطرق الصوفية ثم تركها وتاب منها: خلال أربع عشرة سنة عشتها في التصوف، تعرفت على جمع غفير من رجال التصوف، ولمست بنفسي مكانة الخضر في الفكر الصوفي.... ثم ذكر عدة قصص وتجارب له مع من ادعوا رؤية الخضر بين فيها أن الأمر عبارة عن هوس وخرافات ودعاوى، نتج عنها في بعض الأحيان الوقوع في كبائر الذنوب. انظر: موسى والخضر علماء الظاهر والباطن، د. محمود المراكبي (ص ٦٧) وما بعدها.

٧. وأما خبر التعزية الذي نقله القرطبي عن كتاب التمهيد لابن عبد البر، فهو خبر موضوع لا يصح، قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية: وأما حديث التعزية الذي ذكره أبو عمر – يعني ابن عبد البر – فهو موضوع، رواه عبد الله بن المحرر، وهو متروك، وقال ابن المبارك في حقه– كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه–[١]: فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه، ففضل رؤية النجاسة على رؤيته.[٢] وبالجملة: كل الأحاديث التي فيها حياة الخضر إلى عهد النبي ﷺ موضوعة، وقد تقدم نقل أقوال أهل العلم في ذلك.

٨. قول القرطبي: والألف واللام في قوله: "على الأرض" للعهد لا للجنس وهي أرض العرب...، قول مردود، لما تقدم من بيان عموم الحديث، والإمام القرطبي نفسه بين عموم الحديث لكنه يخصصه، ولو كان الحديث خاص بأرض العرب لما احتاج هو إلى ما ذكره من تخصيص الحديث بالمسيح عليه السلام وغيره ممن ذكره ليستدل على تخصيصه بالخضر. "بل متى قبل هذا التأويل الذي ذكره في المراد بالأرض خرج كثير من الناس من عموم الحديث، وضعف العموم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر:٤٥] "[٣]، وهو خطأ، فالآية والحديث نصان في العموم. قال الشنقيطي: وجمهور العلماء على أن الآية عامة، حتّى إن ذنوب بني آدم لتهلك الجعل في حجره، والحباري في وكرها، ونحو ذلك، لولا أن الله حليم لا يعجل بالعقوبة، ولا يؤاخذهم بظلمهم. وهذا القول هو الصحيح؛ لما تقرر في الأصول من: أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة (من) تكون نصاً صريحاً في العموم. وعليه فقوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾، يشمل كل ما يطلق عليه اسم الدابة نصا.[٤]

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٢١/١) ضمن مقدمة المؤلف.

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٢٩٦/٢).

(٣) انظر: روح المعاني (٣٢٣/١٥). وقاله الألوسي رداً على زعم من خصص الحديث بالبر دون البحر.

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩١/٢).

المبحث الثاني
أثر بعض الأحاديث الصوفية في التفسير

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** علاقة الصوفية بعلم الحديث

- **المطلب الثاني:** أمثلة لبعض الأحاديث الصوفية في كتب التفسير، وبيان أثرها فيها

المبحث الثاني
أثر بعض الأحاديث الصوفية في التفسير

نتحدث في هذا المبحث عن بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتي تحمل فكراً صوفيا، وقد راجت بين بعض المفسرين، فذكروها في كتبهم، وبنو عليها أمورا تتعلق بتفسير بعض الآيات. والله ولي التوفيق.

المطلب الأول: علاقة الصوفية بعلم الحديث

تحدث الباحث في الفصل التمهيدي عن مراحل تطور التصوف، وبين أن التصوف في تاريخه –بخلاف المرحلة الأولى– كان ينتقل من سيء إلى أسوء، وكلما أتى جيل جديد ظهر فيه من البدع والانحراف ما لم يكن فيمن قبلهم.

كما ذكر الباحث أن من أهم أسباب ظهور الانحراف والبدع فيهم، وتلبيس الشيطان عليهم، هو جهلهم، وبعدهم عن العلم والعلماء [(١)]، وكان من أهم العلوم التي بعدت الصوفية عن دراستها، والعناية بها علم الحديث.

مظاهر بعد الصوفية عن علم الحديث:

وقد ظهر ذلك في عدة أمور، منها:

- الكتب الصوفية تجدها مليئة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتي قد يذكرونها أحياناً في معرض الاحتجاج، وكم من أمر اعتقدوه وتعبدوا به قد بنوه على حديث موضوع لا أصل له.

  فمثلاً: من أشهر الكتب الصوفية: كتاب إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، وهو كتاب مليء بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد ساهم هذا الكتاب بما له من شهرة عظيمة بين أوساط المسلمين المختلفة، في انتشار هذه الأحاديث بين الخطباء والوعاظ وغيرهم. وقد ألف الإمام العراقي كتاباً[(٢)] في تخريج أحاديثه، فكان في تخريجه يكثر من قوله: لا أصل له،

---

(١) وقد عقد ابن الجوزي في كتابه " تلبيس إبليس"، فصولاً في ذلك، منها: في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم، وآخر في ذكر تلبيسه على جماعة منهم في دفنهم كتب العلم وإلقائها في الماء. انظر: تلبيس إبليس (ص٢٨٣-٢٩٣).

(٢) وهو مطبوع مع الإحياء في الحاشية، واسمه: (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار).

وأيضاً فقد جمع السبكي في طبقاته الأحاديث الواقعة في الإحياء التي لم يجد لها إسناداً، فبلغت ٩٤٣ تقريباً.[(١)]

وقال ابن الجوزي وهو يتحدث عن الصوفية: "وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري".[(٢)]

- لم يقتصر خطأ المتصوفة في هذا الباب على نشرهم لهذه الأحاديث الموضوعة بين جماهير الأمة، بل انتقل إلى مرحلة أخطر، وهي التعدي على الحديث الشريف؛ فكان فيهم من يضع الحديث، بل ويجعل ذلك قربة إلى الله، ويدعي أنه بذلك يرغب الناس في العبادة ويحثهم عليها.

قال الحافظ ابن حجر: "وبعض المتصوفة نُقِلَ عنهم إباحةُ الوضع في الترغيب والترهيب، وهو خطأٌ مِن فاعله، نشأ عن جهلٍ، لأن الترغيب والترهيب مِن جُمْلة الأحكام الشرعية، واتفقوا على أنّ تعمُّدَ الكذب على النبي ﷺ مِن الكبائر".[(٣)]

- ابتدع بعض المتصوفة أموراً فتحوا بها باباً واسعاً لوضع الحديث، ومن ذلك:

أ- يدعى بعضهم أنه يرى النبي ﷺ يقظة[(٤)]، ويتحدث معه ويأخذ عنه، ولا شك أن في ذلك فتح لباب التقول على النبي ﷺ؛ بل إن الصحابة ﷺ عندما واجهوا أشد الفتن في عصرهم، لم يأتهم النبي ﷺ يقظة، ويقول لهم لا تتقاتلوا، أو افعلوا كذا، وأيضاً، لو كان ذلك ممكناً فلماذا بكى الصحابة ﷺ على النبي ﷺ عند موته.

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢٨٧/٦- ٣٨٩).

(٢) تلبيس إبليس (ص ١٤٧). ومن ذلك صلاة الرغائب وصلاة النصف من شعبان، وغيرها الكثير في كتب الصوفية. انظر: الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، أبو الحسنات اللكنوي الهندي (ص٨٢،٨).

(٣) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني (١١١/١)، وانظر: "الأحاديث الموضوعة عند الصوفية وأثرها على الأمة"، أ.يوسف علي فرحات، بحث ألقي في مؤتمر بعنوان: "خطر الروايات الواهية على الإسلام" في الجامعة الإسلامية،غزة، ذو القعدة ١٤٣٢هـ.

(٤) ومن أشهرهم التيجاني الصوفي الذي زعم أنه أخذ أذكاره وأوراد طريقته عن النبي ﷺ يقظة. انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٥٨) وما بعدها، وص١٥٤ من هذه الرسالة، وفي تفصيل هذا الموضوع: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء، (ص٢٠٧-٢١٨).

ب- ويدعي بعضهم أخذهم الحديث عن الخضر[1]، والخضر تلقاه من النبي ﷺ مباشرة، والصوفي الذي يقول مثل هذا الكلام، يستطيع أن يروي ما يشاء من الأحاديث، بدعوى أنه سمعه من الخضر، ورحم الله ابن المبارك حين قال: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء "[2]. فهذه الدعوى هي باب للكذب على رسول الله ﷺ، وهي اعتداء على علم الجرح والتعديل، ودراسة الأسانيد، واللذان بهما حفظت السنة، وتميزت الأمة.

ت- وآخرون ادعوا أن الحديث يصح عندهم بواسطة الكشف وإن ضعفه المحدِّثون، قال الألوسي معلقاً عليهم: "والتصحيح الكشفي شِنْشِنَة[3] لهم"[4]، فإذا كان ذلك عادة لهم وديدن، فلا يخفى ما في ذلك من فتح لباب الإدعاء في الدين، والوضع على سيد المرسلين محمد ﷺ.

فمثلاً، يروي عن النبي ﷺ أنه قال: " أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم"[5] قال الشيخ الألباني: موضوع، ثم قال: وأما قول الشعراني: "وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين، فهو صحيح عند أهل الكشف"، فباطل وهراء لا يتلفت إليه! ذلك لأن تصحيح الأحاديث من طريق الكشف بدعة صوفية مقيتة، والاعتماد عليها يؤدي إلى تصحيح أحاديث باطلة لا أصل لها، كهذا الحديث لأن الكشف أحسن أحواله – إن صح – أن يكون كالرأي، وهو يخطئ ويصيب، وهذا إن لم يداخله الهوى. [6]

والخلاصة: أن كثيراً من الصوفية كانوا بعيدين عن علوم الحديث، وتمييز الصحيح منه من غيره، مما أدى بهم إلى الوقوع في كثير من المخالفات والأخطاء التي بنوها على روايات ضعيفة أو باطلة.

---

(١) انظر ص٩٩ من هذه الرسالة، وقد حقق الباحث القول بأن الخضر قد مات. وحتى عند من قال بحياته، فقد أجمع المحدثون على أنه ليس له رواية عن النبي ﷺ. انظر: روح المعاني (٣٠٥/٨).

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي (١٧١/٣) وابن المبارك (١١٨/١٨١هـ) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه. انظر: الأعلام (١١٥/٤).

(٣) "الشِّنْشِنَة": العادة الغالبة وفي المثل: شنشنة أعرفها من أخزم، يضرب في قرب الشبه في الخلق، والجمع: شناشن. انظر: المعجم الوسيط (٤٩٦/١).

(٤) روح المعاني (٢٢/١٤).

(٥) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (١٨٣/٢). وقال ابن عبد البر: هذا إسناد لا تقوم به حجة.

(٦) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، ح(٥٨)، (١٤٥/١).

المطلب الثاني: أمثلة لبعض الأحاديث الصوفية في كتب التفسير، وأثرها فيه

الفرع الأول: بيان تأثر بعض المفسرين بالأحاديث الواهية، وأثر ذلك على تفاسيرهم.

إن المطالع لكتب التفسير يلحظ بوضوح هذه الحقيقة، فيجد كثيراً من الأحاديث الموضوعة والباطلة، وقد راجت على بعض المفسرين، فذكروها في تفاسيرهم، واستأنسوا بها في فهم بعض الآيات، ومنهم من بنى عليها أمورا شرعية.

ولقد أدى بهم صنيعهم هذا –في اعتمادهم على هذه الروايات الباطلة– إلى الوقوع في أخطاء كثيرة مختلفة تتعلق بالتفسير؛ بل إن الروايات الموضوعة أحياناً تتضمن معان باطلة تمس العقيدة.

فمثلاً، يقول الدكتور الذهبي عن تفسير الثعلبي: نجده قد وقع فيما وقع فيه كثير من المفسِّرين[(١)] من الاغترار بالأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن، كما اغتر بكثير من الأحاديث الموضوعة على ألسنة الشيعة فسوَّد بها كتابه دون أن يشير إلى وضعها واختلاقها. وفى هذا ما يدل على أن الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها.

ثم قال: هذا.. وإن الثعلبي قد جَرَّ على نفسه وعلى تفسيره بسبب هذه الكثرة من الإسرائيليات، وعدم الدقة في اختيار الأحاديث، اللوم المرير والنقد اللاذع من بعض العلماء الذين لاحظوا هذا العيب على تفسيره، فقال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: "والثعلبي هو نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع"[(٢)].[(٣)]

وقال الشوكاني: "ومن كان من المفسرين تُنفق عليه الأحاديث الموضوعة كالثعلبي والواحدي والزمخشري فلا يحل الوثوق بما يروونه عن السلف من التفسير لأنه إذا لم يفهم الكذب على رسول الله ﷺ لم يفهم الكذب على غيره".[(٤)]

والعجيب من الإمام الشوكاني إذ يعيب على هؤلاء المفسرين إيرادهم الأحاديث الموضوعة والباطلة في تفاسيرهم، ومع كونه من كبار العلماء بالحديث رواية ودراية، إلا أننا نلاحظ أنه أورد في تفسيره مثل هذه الأحاديث، والتي ربما حكم هو عليها بالوضع في بعض

---

(١) "أحاديث فضل سور القرآن مائة وأربعة عشر حديثا ذكرها الزمخشري والبيضاوي تبعا للواحدي كلها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتهم المحدثون بوضعها نوح بن ابي مريم، وقيل غيره". أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، محمد درويش وأبو عبد الرحمن الحوت (ص٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٤/١٣).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون (١٤٥/١).

(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص ٣١٦).

كتبه الأخرى.[(١)] يقول الدكتور الذهبي في حديثه عن منهج الشوكاني في تفسيره: "غير أنى آخذ عليه -كرجل من أهل الحديث - أنه يذكر كثيراً من الروايات الموضوعة أو الضعيفة، ويمر عليها بدون أن ينبه عليها".[(٢)] ثم ذكر أمثلة لذلك.

وكان من أسباب ضعف الحصيلة العلمية عند بعض المفسرين في علم الحديث، انصرافهم إلى العلوم الكلامية، وقد قرروا فيها أن خبر الآحاد ليس بحجة في العقيدة، وأن العقل مقدم على النقل، إلى غيره من الأمور الباطلة التي أبعدت كثيراً من الناس عن علم الحديث، وغيره من العلوم النافعة.

ومن أكثر التفاسير تأثراً بالأحاديث الموضوعة تفاسير الصوفية، فهي مليئة بالأحاديث الموضوعة بل والباطلة التي تتضمن أحيانا مخالفات عقدية أو أموراً باطلة أو بدع منكرة، فمثلاً تفسير روح البيان لإسماعيل حقي وهو تفسير صوفي، نجده مليئاً بالموضوعات والتراهات التي تنسب إلى رسول الله ﷺ، فمثلاً يذكر مؤلفه هذا الكلام الصوفي (إفشاء سر الربوبية كفر) [(٣)] وينسبه للنبيﷺ. وهو كلام باطل لا أصل له؛ بل فيه إشارة إلى وحدة الوجود التي هي عقيدة كفرية، أريد بها نشر الإلحاد وهدم جميع الأديان، وغير ذلك من الأحاديث الباطلة في التفاسير الصوفية الكثير.

الفرع الثاني: أمثلة لبعض الأحاديث الصوفية في كتب التفسير وأثرها فيها

١- حديث: (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني). [(٤)]

لا أصل له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف[(٥)] وتبعه على ذلك الزركشي وابن حجر والسخاوي والسيوطي وغيرهم.[(٦)]

---

(١) انظر مثلاً: ص١٢١ من هذه الرسالة.

(٢) التفسير والمفسرون (٢/٢١٣).

(٣) وهو من كلام ابن عربي، وقال ابن عربي عن نبي الله عيسى: ولهذا كفر قومه لإفشائه سر الربوبية، فعيسى عليه السلام -صانه الله- وقومه عند ابن عربي كفروا لأنهم أفشوا سر الربوبية، وهذا السر الذي كفر ابن عربي من أفشاه، لم يبلغ أحداً في إفشائه ما بلغه هو في كتبه كالفصوص وغيره، فهو كفر نفسه، فلعنة الله عليه. انظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، الشوكاني (ص٤٥).

(٤) لا أصل له، انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، ابن عرّاق الكناني(١/١٤٨)، وقال الشيخ الألباني: "لا أصل له اتفاقا". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٣/٥٠).

(٥) مجموع الفتاوى (١٨/٣٧٦).

(٦) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٣/٥٠).

والواقع أنه من كلام بعض الصوفية، وقد نسبوه كذباً إلى النبي ﷺ، ولما كان هذا الحديث لا أصل له، لجئوا إلى دعوى صحته كشفاً، وهي دعوى لو سلمت لقائلها لصحح ما يشاء من الأحاديث الباطلة نسبتها إلى النبي ﷺ، قال الألوسي: ومن يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلاً، لكن يقول: إنه ثابت كشفا، والتصحيح الكشفي شِنْشِنَةٌ لهم.[1] وقال العجلوني: "وهو واقع كثيرًا في كلام الصوفية، واعتمدوه وبنوا عليه أصولًا لهم".[2]، فإدعاء الصوفية صحة هذا الحديث كشفاً ما هو إلا كذب افتروه ليصححوا به بعض أصولهم التي بنوها عليه. ومنهم ملاحدة الصوفية الذين اعتمدوا عليه في قولهم بوحدة الوجود.[3]

قلت: وقد انطلى أمر هذا الحديث على جماعة من المفسرين، فذكروه مرفوعا إلى النبيﷺ.[4]

فمثلاً، عند قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، يقول أبو السعود في تفسيره: "وقال مجاهد واختاره البغوي معناه إلا ليعرفوه ومداره قوله ﷺ فيما يحيكه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى، لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة". [5]

---

(١) انظر: روح المعاني (٢٢/٢٧).

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، أبو الفداء العجلوني(١٥٦/٢).

(٣) هذا الحديث هو عمدة المتصوفة من أهل وحدة الوجود القائلين بأنه لا يوجد في الكون إلا الله وما المخلوقات إلا مظاهره، وهذه عقيدة كفرية مظلمة لم يبلغها اليهود والنصارى بل كفروا بشيء يسير جدا مما فيه، فاليهود نسبوا عزيراً وحده لله، والنصارى كذلك نسبوا عيسى وحده لله أو قالوا ثالث ثلاثة، وأما هؤلاء فقد أنكروا الله جملة وتفصيلا وجعلوه هو عين مخلوقاته تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا، يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل في تحقيقه لكتاب "مصرع التصوف": أما افتقار الحق إلى الخلق، فيفسره ابن عربي بأنه احتياجه إلى تعين أسمائه وصفاته، بل ماهيته في صور خلقية. فلولا المادة عند ابن عربي ما ظهر للحق وجود. ولا تعينت له ذات، ولذا وضع الصوفية الحديث المفترى: (كنت كنزا مخفيا، فخلقت الخلق فبي عرفوني) وما زلت أذكر ذلك الشيخ الذي راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا، فكان مما قاله أن المراد بـ"فبي" محمد!! وكان دليله على خرافته أن العدد الناتج من حروف "فبي" يساوي العدد الناتج من حروف "محمد" فكلاهما على طريقة حساب الجمل: أبجد هوز إلخ = ٩٢!، وكم صفقنا وانتشينا، ويذهب الطالب الصغير إلى قريته ويحدث الناس بهذا، فيطربون للصبي الصغير إذا جاءهم بعلم لدني رباني!.. انظر: مصرع التصوف، البقاعي (٤١/١)، في الحاشية.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (٢٠٠/٢٨)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود (١٣٠/٢)، البحر المديد (٤٧١/٢)، روح البيان (٨٨/١)، روح المعاني(٤٦/١)، تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي(١٣/٢٧).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود (٨/ ١٤٥).

ونحن نؤمن بأن الله تعالى خلقنا لنعبده ونتعرف عليه كما تضافرت بذلك النصوص، كما قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطَّلاق:١٢]، قال ابن القيم: فأخبر تعالى أنه خلق العالم ليعرف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فهذه الغاية هي المرادة من العباد وهي أن يعرفوا ربهم ويعبدوه وحده، لا يشركوا به شيئا فيكون هو وحده إلههم ومعبودهم ومطاعهم ومحبوبهم.[١]

لكن حديثنا هنا عن هذا الحديث الصوفي الذي استشهد به المفسر، ورفعه إلى النبي ﷺ، وهو لا أصل له، وإنما هم كلام صوفي. كما إنه اعتمد عليه غلاة الصوفية في ما ذهبوا إليه من أمور باطلة، وشتان بين المعرفة عند أهل السنة، وعند غلاة الصوفية.

٢- حديث: (يا جابر: إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره).[٢]

نسبه غير واحد إلى مصنف عبد الرزاق[٣]، ويعتمد عليه غلاة الصوفية في إثبات معتقدهم في النبي ﷺ على أنه خلق من نور الله، ثم خلقت الكائنات من نوره ﷺ.[٤]

والواقع أنه لا أصل له[٥]، فهو غير موجود في مصنف عبد الرزاق ولا غيره، ومثله لا

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية (١٥٩٣/٤).

(٢) وهو حديث طويل، وفيه: (فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش...). انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (٣٠٢/١).

(٣) منهم: العجلوني، انظر: المصدر السابق (٣٠٢/١)، وابن حجر الهيتمي، انظر كتابه: الفتاوى الحديثية(٤٤/١).

(٤) خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء (ص ٩١) وما بعدها، وقد ناقش الموضوع بتوسع.

(٥) وقد ألفت رسائل وكتب في بيان وضع هذا الحديث، منها: مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر، للمحدث الصوفي: أبو الفيض عبد الله بن محمد بن صديق الغماري، تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني، ونص على بطلانه الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٨٢٠/١)، وانظر: الرد العلمي على شبهات في العقيدة والتصوف (ص١٣٢-١٤٦) وما بعدها.

يصح، وذلك لاشتماله على ما يخالف النصوص الصريحة، بل لاشتماله على مفاسد وطامات تتعلق بالعقيدة.[١]

ومن ذلك دعوى: أن النبي ﷺ خلق من نور، وفي ذلك نفياً لبشريته ﷺ، وهو معنى تضافرت به النصوص، قال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾. [الإسراء:٩٣-٩٥]، والآيات في ذلك كثيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والنبي ﷺ خلق مما يخلق منه البشر، ولم يخلق أحد من البشر من نور؛ بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[٢]، وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط؛ بل قد يخلق المؤمن من كافر، والكافر من مؤمن، كابن نوح خلقه منه وكإبراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين، فلما سواه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وفضله عليهم بتعليمه أسماء كل شيء وبأن خلقه بيديه، وبغير ذلك. فهو وصالحوا ذريته أفضل من الملائكة، وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين، وهؤلاء من نور.... الآدمي خلق من نطفة، ثم من مضغة، ثم من علقة ... فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله، وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله، بخلاف الملك الذي تشابه أول أمره وآخره. [٣]

قلت: وقد اغتر به جماعة من المفسرين[٤] فذكروه في تفاسيرهم، وبنو عليه أموراً باطلة.[٥]

---

(١) انظر: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء (ص ٩٦-١٢١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ح٧٦٨٧، (٢٢٦/٨). وقال الشيخ الألباني: "وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس: (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر). ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور، دون آدم وبنيه، فتنبه ولا تكن من الغافلين". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الألباني (٨٢٠/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٩٥/١١).

(٤) انظر: روح البيان (٨١/٩)، روح المعاني (٥١/١)، تفسير الشعراوي (٣٠٢٦/٥)، وذكر معناه –أن خلق النبي من نور–: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٠٧/١)، وابن عجيبة، البحر المديد(٥٧/٧).

(٥) انظر مثلاً ص١٣٤ من هذه الرسالة.

٣- حديث: (كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث).[١]

ذكره بعض المفسرين[٢] عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧]، فمثلاً: يقول الألوسي: "وتقديم نبينا ﷺ مع أنه آخرهم بعثة للإيذان بمزيد خطره الجليل أو لتقدمه في الخلق".[٣] ثم ذكر الحديث.

ومثله أيضاً: **حديث: (كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين).**[٤] وهي أحاديث باطلة وموضوعة، استندت عليها الصوفية في اعتقادهم أن النبي ﷺ خُلق قبل الأنبياء، وأنَّه نُبي منذ ذلك الوقت، وأنه مرسل إلى جميع الأنبياء وأممهم.[٥]

وأما حديث: (متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد).[٦] فصححه بعض أهل العلم، ولكن ليس فيه دليل على ما تقدم، بل معناه كما قال الإمام الطحاوي: كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ نبيا ثم أعاد اكتتابه إياه في الوقت المذكور في هذا الحديث كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، وكان عز وجل قد كتب ذلك في اللوح المحفوظ ثم أعاد اكتتابه في الزبور المحزبة بعد ذلك فمثل ذلك اكتتابه عز وجل النبي ﷺ وآدم بين الروح والجسد بعد اكتتابه إياه قبل ذلك في اللوح المحفوظ أنه كذلك وبالله التوفيق.[٧]

---

(١) أخرجه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان (١٠/٨)، وضعفه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١٥/٢). وأورده الشوكاني في الموضوعات، انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص ٣٢٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة مرسلاً، جامع البيان في تأويل القرآن (٢١٣/٢٠) وذكره ابن الجوزي في تفسيره عن قتادة موقوفاً: زاد المسير في علم التفسير (٣٥٥/٦)، وذكره بعض المفسرين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، منهم البغوي في تفسيره: معالم التنزيل (٣٢١/٦)، والخازن في تفسيره: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٣٢/٥)، وابن كثير في تفسيره: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٨٣) وضعفه، والشوكاني في تفسيره: فتح القدير (٣٠٨/٤) -والعجيب منه أنه أورده في كتابه الموضوعات، وقد تحدث الباحث عن هذا الأمر عند الشوكاني، انظر: ص١١٦ من هذه الرسالة-، والألوسي في تفسيره: روح المعاني(١٥٤/٢١)، وغيرهم.

(٣) روح المعاني (١٥٤/٢١).

(٤) موضوع، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤٧٣/١).

(٥) انظر: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء (ص٨٥) وما بعدها.

(٦) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، ح ٣٦٠٩، (٥/ ٥٨٥). وصححه الألباني.

(٧) انظر: شرح مشكل الآثار (١٥/ ٢٣٤).

وقال الإمام ابن تيمية: حديث ميسرة الفجرﷺ: "قلت يا رسول الله متى كنت نبيا"؟ وفي لفظ: "متى كتبت نبيا"؟[١] قال: وآدم بين الروح والجسد"....لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه: كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: "إن خلق أحدكم يجعل في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: "اكتب رزقه وعمله وأجله وشقيا أو سعيدا ثم ينفخ فيه الروح".[٢] فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟. وما يروى في هذا الباب من الأحاديث: هو من هذا الجنس.[٣]

وقال أيضاً: ولهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي ﷺ في هذا الحديث، فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ وهذا جهل فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره وقد قال له: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:٣]، ومن قال: إن النبي ﷺ كان نبيا قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين وإنما المعنى: أن الله كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه.[٤]

---

(١) مسند أحمد، ح(٢٠٥٩٦)، (٣٤/ ٢٠٢). وصححه محققه: الشيخ شعيب الأرنؤوط. وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي (٢٢٣/٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: [وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا] {الفرقان:٤٨}، ح٣٢٠٨، (١٠٩/٤)، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته،

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٨/٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٢/٨).

٤- حديث: (لولاك لما خلقت الأفلاك). [١]

ذكره جماعة من المفسرين.[٢] وهو حديث موضوع، فضلاً على أنه يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وغير ذلك من النصوص، قال الغماري الصوفي وهو يتكلم عن حديث جابر المتقدم[٣]: فلا بُدَّ أن أحد المتصوفة المتزهدين وضعه، ومثله حديث: {لولاك ما خلقت الأفلاك} وكتب المولد النبوي مليئة بهذه الموضوعات، وأصبحت عقيدة راسخة في أذهان العامة. [٤]

وفي معناه أيضاً، الحديث الذي يذكره بعض المفسرين[٥] في قصة آدم ﷺ، "لما اقترف آدم الخطيئة..."، وفيه أن الله قال لآدم: "فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك".[٦] وهو أيضاً حديث موضوع.[٧]

---

(١) موضوع، انظر: الموضوعات، رضي الدين الصغاني (ص٥٢)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤٥٠/١). قال الألباني: موضوع، وأما قول الشيخ القاري: لكن معناه صحيح، فقد روى الديلمي عن ابن عباس مرفوعا: " أتاني جبريل فقال : يا محمد لولاك لما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار "، وفي رواية ابن عساكر: "لولاك ما خلقت الدنيا ". فأقول (الألباني): الجزم بصحة معناه لا يليق إلا بعد ثبوت ما نقله عن الديلمي، وما نقله الديلمي ضعيف بل واه. ورواية ابن عساكر موضوعة، وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤٥١/١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٩٤/٣١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٠٧/١)، البحر المديد (٣٠٩/٦)، روح البيان (٢٦٧/١)، روح المعاني (٥١/١). وهؤلاء منهم من ذكره مرفوعاً، ومنهم من ذكره دون رفعه.

(٣) هو حديث رقم ٢، ص١١٩ من هذه الرسالة.

(٤) نقلاً عن كتاب: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء (ص٩٦).

(٥) الكشف والبيان (٦١/٧)، روح البيان (٣٣٧/٥).

(٦) أخرجه الحاكم وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: "بل موضوع". انظر: المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، ح(٤٢٢٨)، (٦٧٢/٢).

(٧) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٨٨/١)، وانظر في مناقشة هذا الحديث بتوسع: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء (ص ١٢٢) وما بعدها.

٥- أحاديث ذكر الأبدال، ومنها حديث: (لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلا آخر...).[١]

ذكرها بعض المفسرين[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]، فقيل أنه يُدفع بهم الفساد.

ولا يصح منها شيء كما حققه المحققون من أهل العلم[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والحديث المروي في أن الأبدال أربعون رجلاً حديث ضعيف، فإن أولياء الله المتقين يزيدون وينقصون بحسب كثرة الإيمان والتقوى وبحسب قلة ذلك، كانوا في أول الإسلام أقل من أربعين، فلما انتشر الإسلام كانوا أكثر من ذلك.[٤] وقال أيضاً: وليس لأولياء الله عددٌ محصور تتساوى فيه الأزمنة، ولا لهم مكانٌ معيّنٌ من الأمكنة؛ بل هم يزدادون ويَنقُصون بحسبِ زيادةِ أهلِ الإيمان والتقوى، ولما بعث الله محمداً آمن به طائفة قليلة، ثم تزايد أهل الإيمان حتى بلغوا أربعين، فلم يكن بمكة قبل ذلك أربعون مؤمنا؛ بل ولا عشرة مؤمنون؛ بل ولا أربعة. ثم إن الإيمان زاد، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكثر السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، الذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكل هؤلاء من سادات أولياء الله المتقين، فبايعه تحت الشجرة أكثر من ألف وأربع مائة قد رضي الله عنهم، وكلهم من أهل الجنة، وانتشر الإسلام بعد هذا في أرض اليمن والشام والعراق وخراسان ومصر ومغرب، حتى بقي في العصر الواحد من هذه البلاد من أولياء الله ألوف مؤلفة . فمن قصرهم حينئذ على الأربعين أو ثلاث مائة كان جاهلاً، كما أن من بلغ بهم في أول الإسلام هذا العدد كان جاهلاً. [٥]

ثم قال: فأما لفظ "الأبدال " فقد فسر بثلاث معاني [٦]:

- قيل: سموا أبدالا لأنهم أبدال عن الأنبياء، وهذا المعنى صحيح... والعلماء ورثة الأنبياء...
- وقيل: سموا أبدالاً لأنه كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، وهذا لا يصح، ولا مدح فيه؛ فإن كون الشخص إذا مات قام مقامه غيره قد يكون مع إيمانه، وقد يكون مع كفره، والله

(١) انظر: ص٦١، ٦٢ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩/٣)، الدر المنثور(١٥٦/٣)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي(٢٩٤/٤)، روح البيان (٣٦٢/٥)، روح المعاني (٩٥/٦)، وغيرهم.

(٣) انظر أقوال أهل العلم في تضعيف هذه الأحاديث وبيان وضعها: جامع المسائل لابن تيمية (٢٢/٢) وما بعدها.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤٩٨/٢٧) وما بعدها.

(٥) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٦٤/٢) وما بعدها.

(٦) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٦٧/٢-٧٠).

جعل بعض بني آدم خلفاء بعض مع اختلاف أعمالهم. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥]، وقال:﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ(١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(١٤) ﴾. [يونس]، ...وأيضا فلو كان كل من مات قام مقامه غيره للزم أن يقوم مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي- رضي الله عنهم- أمثالهم، ولم يكن كذلك. وهؤلاء أفضل خلفاء الرسل وأبدالهم ووراثهم....

- وقيل: إنهم بدلوا سيئاتهم حسنات. وهذا معنى التائبين، فكل مؤمن تاب من سيئاته له هذا المعنى.
- وزعم بعضهم أن البدل إذا غاب عن مكانه أبدل بصورة على مثاله. وهذا باطل، ولم يكن السلف يعنون بالبدل هذا المعنى، ولا يجعلون ذلك لازما لمن يسمونه بهذا الاسم.

الفصل الثالث

المفسرون والتصوف

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** الاتجاه الصوفي عند بعض المفسرين

- **المبحث الثاني:** الاتجاه النقدي للتصوف عند بعض المفسرين

المبحث الأول
الاتجاه الصوفي عند بعض المفسرين

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الاتجاه الصوفي عند الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب
- **المطلب الثاني:** الاتجاه الصوفي عند الألوسي في تفسيره روح المعاني
- **المطلب الثالث:** الاتجاه الصوفي عند الشعراوي في تفسيره الخواطر

تمهيد:

تباينت مواقف المفسرين اتجاه الفكر الصوفي، فمنهم من تبنى الاتجاه الصوفي في تفسيره، فنجده يعتني بأقوال الصوفية وأرائهم، ويكثر من النقل عن أعلامهم، ويسميهم بأحسن الأسماء، ويصفهم بخير الأوصاف. كما أنه قد يفسر الآيات أحياناً وفق معتقداتهم وأفكارهم، والتي قد تكون أحياناً بعيدة كل البعد عن المعنى الصحيح. مما أدى بهم إلى الوقوع في بعض الأخطاء والزلل في تفاسيرهم،.

وأما القسم الآخر: فتبنى موقف المناقشة للفكر الصوفي، ومحاكمته إلى الكتاب والسنة، فما وافقهما قبلوه، وما خالفهما ردوه وأبطلوه، ولما كان كثير من المتصوفة قد خالفوا الكتاب والسنة في كثير من الأمور، اتخذ هؤلاء المفسرون منهم موقف النقد والرد، فظهر في هذه التفاسير المنحى النقدي للتصوف، وهؤلاء يُعَدُّون غالبية في مقابل القسم الأول كما سيظهر من خلال هذا الفصل، وبالله العون والتوفيق.

المطلب الأول: الاتجاه الصوفي عند الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب

يحتل تفسير الرازي شهرة واسعة بين أوساط أهل العلم، وذلك لما له ولمؤلفه من المكانة والأهمية العلمية، فمؤلفه: هو أبو عبد الله محمد بن عمر(١)، المعروف بالفخر الرازي، وهو فقيه شافعي، أصولي، مفسر، متكلم(٢)، كما له باع في بعض العلوم الأخرى كالعلوم الطبيعية، وغيرها من العلوم.

وأما تفسيره: فاسمه: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، وهو موسوعة علمية ضخمة، أودع فيه مؤلفه الفوائد والمسائل العلمية واللطائف الكثيرة والمتنوعة. ويظهر أنه كان مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره إلى حد جعل بعض أهل العلم يقول عنه: "فيه كل شيء إلا التفسير".(٣)

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦هـ): وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (١/١٠٠)، الأعلام (٦/٣١٣).

(٢) ولقد ندم الرازي في آخر حياته على اشتغاله بعلم الكلام والفلسفة. انظر: شرح العقيدة الطحاوية(ص١٧٧).

(٣) انظر: البحر المحيط (١/٥١١)، وقال صاحب المنار: وأما تفسيره فقد اشتهر قول بعض العلماء فيه: إن فيه كل شيء إلا التفسير، والحق أن هذه مبالغة في الإنكار على ما هو الغرض الذي امتاز به تفسيره وهو=

النزعة الصوفية عند الرازي في تفسيره:

إن المطالع لهذا التفسير يظهر له بوضوح نزعة مؤلفه الصوفية، فقد حشا الرازي تفسيره بكلام الصوفية، وأفكارهم، وعباراتهم، ومصطلحاتهم.

من ذلك ما ذكره الباحث من نماذج لتأثر الرازي ببعض الأفكار الصوفية[١]، ومنه أيضاً: ما يلاحظ على تفسيره من كثرة استخدام الرازي لمصطلحات الصوفية، مثل: الحقيقة والشريعة[٢]، وغيرها من المصطلحات. وكقوله مثلاً: "الأرواح المقدسة البشرية إذا تطهرت عن دنس الأوصاف البدنية والقاذورات الجسدانية أشرقت بأنوار الجلال وتجلى فيها أضواء عالم الكمال، وترقت من العبدية إلى العندية، بل كأنه لا كمال في العبدية إلا بمشاهدة الحقيقة العندية"[٣]، وقد عقب عليه أبو حيان بقوله: "وهو شبيه بكلام الصوفية".[٤]

التداخل بين الفلسفة والتصوف في التفسير الكبير:

غير أنه يلاحظ على هذه النزعة الصوفية عند الرازي في تفسيره، أنها تأثرت بشخصية المؤلف وميوله الأخرى، ومن أبرزها: ميوله الفلسفية والكلامية، والتي تظهر في تفسيره في كثرة نقله لآراء الفلاسفة وأقوالهم؛ بل إنه حين ينقل عنهم يسميهم بحكماء الإسلام.[٥] فنجد في تفسير الرازي المزج بين اتجاهين، الاتجاه الصوفي، والاتجاه الفلسفي، وهما أمران بينهما من التشابه والالتقاء الكثير.

وقد أنكر جماعة من العلماء على الفخر الرازي نقله لأقوال الفلاسفة في تفسيره، وتسميته لهم بحكماء الإسلام، فمثلاً يقول الإمام أبو حيان الأندلسي في تفسيره: "وكثيراً ما ينقل هذا الرجل

=نقل آراء الفلاسفة والمتكلمين، وحجج المعتزلة والأشاعرة. انظر: تفسير القرآن الحكيم (٣٠٩/١١) فالصواب أن يقال: فيه كل شيء مع التفسير.

وليس هذا المأخذ فقط هو ما سجله العلماء على هذا التفسير، بل قد أخذوا عليه أموراً أخرى، منها: أنه ملأ تفسيره بأقوال الفلاسفة والمتكلمين، ومنها: بعض المخالفات العقدية في هذا التفسير كتأويله للصفات مثلاً، وغير ذلك من الأمور. انظر: التفسير والمفسرون (٢٠٩/٢)، موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، أنفال بنت يحيى إمام. رسالة ماجستير.

(١) انظر: ص٧٤، ٧٨ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٥٣/٥)، (١٣٠/٧)، (١٠٧/١٠)، وغيرها.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٢/١٦).

(٤) البحر المحيط (٢٣/٥).

(٥) مفاتيح الغيب (٦٥/١٧).

[أي: الرازي] عن حكماء الإسلام في التفسير، وينقل كلامهم تارة منسوباً إليهم، وتارة مستنداً به، ويعني: بحكماء الفلاسفة الذين خلقوا في مدة الملة الإسلامية[(١)]، وهم أحق بأنْ يسمّوا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء، إذ هم أعداء الأنبياء والمحرفون للشريعة الإسلامية، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى،..."[(٢)] ثم تكلم رَحِمَهُ اللَّهُ بكلام طويل قيم في ضلالات الفلاسفة وانتشار كتبهم بين الناس في زمانه.

وقال أيضاً في إنكاره على الرازي في موضع أخر: "وهذا الرجل كثيراً ما يورد كلام الفلاسفة –وهم مباينون لأهل الشرائع– في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب، والعرب لا تفهم شيئاً من مفاهيم أهل الفلسفة، فتفسيرهم كاللغز والأحاجي، ويسميهم هذا الرجل حكماء، وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه". [(٣)]

كما ولاحظ أبو حيان في تعقبه للرازي مزج الأخير بين نزعتيه الفلسفة والتصوف في تفسيره.

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآَخِرِنَا وَآَيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[المائدة:١١٤]، نقل كلاماً طويلاً للرازي ثم تعقبه قائلاً: "وهو كلام دائر بين لفظ فلسفي ولفظ صوفي وكلاهما بعيد عن كلام العرب ومناحيها".[(٤)]

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩]، نجد الرازي يقول: "هو إشارة إلى التعظيم هذا ظاهر قول المتكلمين، وأما عند أصحاب الأرواح المشرقة بأنوار جلال الله تعالى فتحت قوله: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أسرار عجيبة لا تسمح الأقلام بمثلها جعلنا الله من أهلها".[(٥)] فيتعقبه أبو حيان قائلا: "وهو كلام عجيب شبيه بكلام أهل الفلسفة والتصوّف". [(٦)]

---

(١) كابن سينا وغيره من الفلاسفة.

(٢) البحر المحيط (٥/١٥١).

(٣) المصدر السابق (٥/٤٠٦).

(٤) المصدر السابق (٤/٦١).

(٥) مفاتيح الغيب (١٢/١١٥).

(٦) البحر المحيط (٤/٦٨).

والخلاصة: أن المنحى الصوفي في التفسير الكبير للرازي ظاهر وواضح، وقد تأثر هذا الاتجاه بنزعة المؤلف الفلسفية. وقد وقع الرازي بسبب ذلك كله في أخطاء ومخالفات كثيرة، تعقبها عليه العلماء كأبي حيان وغيره.

المطلب الثاني: الاتجاه الصوفي عند الألوسي في تفسيره روح المعاني:

يعد العلامة الألوسي[1]من العلماء الذين تشهد لهم مؤلفاتهم بسعة الاطلاع والتبحر في العلم، ومن أهمها تفسيره: روح المعاني، والذي وصفه الشيخ الذهبي بقوله: "موسوعة تفسيرية قيِّمة، جمعت جُلَّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدَّموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة".[2]

وما يعنينا هنا في حديثنا عن هذا التفسير، هو الاتجاه الصوفي الذي سار فيه مؤلفه، وذلك يظهر جلياً لكل من طالع تفسيره، كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

وقد سلك المؤلف هذا الاتجاه الصوفي متأثراً بنزعته الصوفية، فالألوسي له باع واسع، وخبرة في التصوف ومصطلحاته، فقد كان صوفياً وانتمى إلى الطريقة النقشبندية[3]، وتأثر بها، كما تأثر بالفترة التاريخية التي عاشها الألوسي، والتي بلغ فيها التصوف أوجه، وانتشر فيها انتشاراً واسعاً في الخلافة العثمانية، كل ذلك كان له دوره في تكوين شخصية الألوسي الصوفية.[4]

---

(١) الألوسي الكبير(١٢١٧/١٢٧٠ هـ) شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسين الآلوسي، مفسر، محدث، أديب، فقيه شافعي، سلفي العقيدة، صوفي نقشبندي من مؤلفاته: روح المعاني، الأجوبة العراقية والأسئلة الإيرانية، وغيرها. انظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة (١٧٥/١٢)، الأعلام (١٧٦/٧)، الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني، د.أكرم حمدان، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، ج١٤، العدد الثاني (ص٧٧) وما بعدها.

(٢) التفسير والمفسرون (٢٥٧/٢)

(٣) الطريقة النقشبندية تنسب لمحمد بن بهاء الدين النقشبندي البخاري(٧٩١هـ)، طريقة مليئة بالبدع والخرافات، من معتقداتها الباطلة: الحقيقة المحمدية وغيرها، لها فروع في الصين وتركيا، وبعض بلدان آسيا الوسطى، والهند. انظر: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، د. عبد الله بن دجين السهلي (ص٩١-٩٢)، كتاب النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية.

(٤) انظر: الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني، أكرم حمدان، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية غزة – فلسطين، ج١٤، العدد الثاني (ص ٨٢-٨٧).

مظاهر الاتجاه الصوفي في تفسير روح المعاني:

يظهر الاتجاه الصوفي واضحاً في تفسير روح المعاني في عدة نواح، نجملها فيما يلي:

١. يرى الألوسي التسليم للصوفية في أقوالهم وأفكارهم، ويتهم المخالف لهم في عقله، فيقول في مقدمة تفسيره: "فالإنصاف كل الإنصاف التسليم للسادة الصوفية الذين هم مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق والعلائق إليه"[(١)]، وبعد أن عرض كلاماً غامضاً لابن عربي، قال الألوسي: "هو منطق الطير الذي لا نعرفه".[(٢)]

ولا شك في شطط هذا الكلام، وخطئه، فأقوال المتصوفة وأقوال غيرهم من الطوائف والفرق، لا يسلم لها حتى تعرض على الكتاب والسنة وتوافقهما، وإلا فلا، ثم لماذا نسلم لهم؟ هل أقوالهم معصومة من الخطأ والهوى؟ وهذا المبدأ الخطير الذي قرره الألوسي قد جر على المتصوفة من البلايا والرزايا ما الله به عليم. فلقد ألغى كثير منهم عقولهم، وصاروا أسرى للخرافات والأكاذيب التي يمليها عليهم شيوخهم.[(٣)]

٢. يكثر الألوسي في تفسيره من مدح الصوفية وأعلامها، حتى الغلاة منهم، كأمثال: ابن عربي، وابن الفارض[(٤)]، وغيرهم، فمثلاً، يكثر من قوله عن ابن عربي: الشيخ الأكبر قدس سره[(٥)]، ويقول عن ابن الفارض: سيدي عمر بن الفارض قدس الله تعالى سره الفائض[(٦)]، وغير ذلك في مدحه لهؤلاء وغيرهم من الصوفية الكثير.

وليس معنى أن الألوسي يمدح هؤلاء الشرذمة من غلاة الصوفية، أنه يوافقهم في جميع أقوالهم، بل المراد: أن الألوسي كان يعتقد فيهم الجلالة، ولكنه يتأول كلامهم، أو يرده ويرفضه دون أن يقلل من شأن قائله ومكانته عنده، فمثلاً يقول عن ابن عربي: "وبالجملة

---

(١) روح المعاني (٣٢٥/٤).

(٢) روح المعاني (٢٦/٢٧).

(٣) وقد تقدم مناقشة الألوسي في مقالته هذه، انظر ص٥٦ من هذه الرسالة.

(٤) انظر ترجمته ص٣٢ من هذه الرسالة.

(٥) انظر: روح المعاني (١٠/١، ٤٩، ٥١، ٥٤، ٥٨، ٨١، ٩٢، ١٠١، ١٤١، ١٦٦، ١٩٩) وغير ذلك الكثير.

(٦) انظر مثلاً: روح المعاني (٥١/١)، (١٨/٥)، (٢٥٦/٧).

أمر الشيخ الأكبر وأضرابه قدس الله تعالى أسرارهم فيما قالوا ودونوا عندي مشكل، لا سيّما أمر الشيخ فإنه أتى بالداهية الدهياء مع جلالة قدره التي لا تنكر، ولذا ترى كثيرا من الناس ينكرون عليه".[1] ولا يخفى أن النزعة الصوفية عند الألوسي كان لها دورها في تعظيمه لهؤلاء الغلاة، واعتقاد جلالتهم، وإلا فلقد ذمهم كثير من العلماء وشنعوا عليهم أيّما تشنيع، وذلك لما في كتبهم من الكفر والزندقة، والدواهي التي أشار إليها الألوسي.

٣. أطنب الألوسي في تفسيره من ذكر مصطلحات الصوفية، وأفكارهم، وشرحها، وتبيينها. كما أنه يعتني بذكر أقوالهم ونقل أرائهم في المسائل المختلفة [2].

٤. يكثر الألوسي في تفسيره من النقل عن كتب الصوفية، مثل: كتب ابن عربي: كالفتوحات المكية [3] وغيرها، ومثل: تائية ابن فارض [4]، وكتب الشعراني[5] وغيرها من كتب الصوفية.

٥. جعل المؤلف ركناً خاصاً للتفسير الإشاري في تفسيره، فبعدما يفرغ من تفسير الآية بحسب ظاهرها، وذلك بذكر معناها وسبب نزولها، والقراءات الواردة فيها، إلى غير ذلك من الأمور، يقول: الإشارة، فيذكر تحته بعض الإشارات التي تأخذ من الآية، والتي غالباً ما تكون من كلام المتصوفة ومواجيدهم، وهي قد تسلم من المخالفات الشرعية أحياناً، وأحياناً لا. و"لكن وقع له في ما ينقله من الإشارات بلايا وشطحات، نسأل الله العافية".[6]

٦. يَلفتُ انتباهَ المطالع لتفسير الألوسي اجتهاده في تبرئة الصوفية مما ينسب إليهم مما يخالف ثوابت الشريعة، واتهامِ المنكرين عليهم بالقصور في إدراك معانيهم وتذوق مشاربهم[7]، فمثلاً يناقش الألوسي ما نسب إلى ابن عربي من القول بعدم خلود أهل النار، فيقول: وأما ما ينقل

---

(١) روح المعاني (٣٠٩/١٥).

(٢) انظر: روح المعاني (٩/١-١٠)، (٩٤/٦)، وغير ذلك الكثير.

(٣) انظر مثلاً: روح المعاني (١٠١/١، ١٤١، ١٤٢) وغير ذلك الكثير.

(٤) انظر مثلاً: روح المعاني (٥١/١، ٢١٨)، (١٣/٥، ١٨)، (٢٥٦/٧). وغير ذلك الكثير.

(٥) انظر مثلاً: روح المعاني (١٤٥/١٩،١٤١)، (١٩٣/٢٣، ١٩٧).

(٦) انظر: القول المختصر المبين في مناهج المفسرين (ص٥٦).

(٧) انظر: الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني، أكرم حمدان، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية غزة فلسطين، ج١٤، العدد الثاني (ص٩١).

عن حضرة مولانا الشيخ الأكبر ومن حذا حذوه من السادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم من القول بعدم الخلود فذلك مبني على مشرب آخر، وتجل لم ينكشف لنا، وكثير منهم قد بنى كلامه على اصطلاحات ورموز وإشارات قد حال بيننا وبين فهمها العوائق الدنيوية والعلائق النفسانية، ولعل قول من قال بعدم الخلود ممن لم يسلك مسلك أهل السلوك مبني على عدم خلود طائفة من أهل النار وهم العصاة بما دون الكفر وإن وقع إطلاق الكفر عليهم حمل على معنى آخر،على أن الشيخ قدس سره كم وكم صرح في كتبه بالخلود. [١] ثم قال: "نعم قال قدس سره في تفسير الفاتحة من الفتوحات فإذا وقع الجدار وانهدم الصور وامتزجت الأنهار والتقى البحران وعدم البرزخ صار العذاب نعيما وجهنم جنة ولا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة العيان الخ وهذا وأمثاله محمول على معنى صحيح يعرفه أهل الذوق لا ينافي ما وردت به القواطع وقصارى ما يخطر لأمثالنا فيه أنه محمول على مسكن عصاة هذه الأمة من النار، وإياك أن تقول بظاهره مع ما أنت عليه وكلما وجدت مثل هذا لأحد من أهل الله تعالى فسلمه لهم بالمعنى الذي أرادوه مما لا تعلمه أنت ولا أنا لا بالمعنى الذي ينقدح في عقلك المشوب بالأوهام فالأمر والله وراء ذلك". [٢]

٧. تبع الألوسي الصوفية في بعض شطحاتهم، ومن ذلك: قوله بالحقيقة المحمدية[٣]، وترديده لها في تفسيره [٤]وهي من معتقدات غلاة الصوفية وأفكارهم، وقد تقدم للباحث الحديث

---

(١) انظر: روح المعاني (١/١٤٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/١٤٢).

(٣) من معتقدات غلاة الصوفية، وأفكارهم الفلسفية، والتي بنوها على أساس معتقدهم في وحدة الوجود، وتعني أن الحقيقة المحمدية مبدأ الخلق، وأنها النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء فهي عندهم الحق ذاته ظاهراً لنفسه في أول تعين من تعيناته. فالنبي محمد . صلى الله عليه وسلم . عند هؤلاء هو الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا، ومما قالوه أيضاً في الحقيقة المحمدية: أن النبي هو الممد للكائنات بالعلوم، وخلاصة القول أن الحقيقة المحمدية تجعل من الرسول إلهاً، نعوذ بالله من هذا الكفر والإلحاد. وللأسف الشديد فإن الكثير من الطرق الصوفية تجعل هذه العقيدة في أذكارها المبتدعة. انظر في تفصيل هذه العقيدة الخبيثة وبيان بطلانها: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص١٠٥-١٢٣)، التفسير القرآني للقرآن، د.عبد الكريم الخطيب (٨ /٤٣٤-٤٤٠).

(٤) انظر: روح المعاني (١/٥١، ٥٢، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٣١، ٣٩٣)، وغير ذلك.

عنها[١]، ومع أنه لا يخفى كون هذه العقيدة أمشاجاً من الفلسفات الأفلاطونية الحديثة والمسيحية واليهودية، ومن بعض أفكار الباطنية، وأن جملة ما بنيت عليه من الآثار أحاديث موضوعة أو باطلة، إلا أنك تفاجأ بأن الألوسي لا يستنكف عن ترديدها في تفسيره.[٢] والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف:٩]، أي مثلي مثل الرسل عليهم السلام.

٨. الألوسي ورغم نزعته الصوفية فإنه كان ينكر على المتصوفة بعض أفكارهم وأفعالهم المنحرفة، وأقوالهم التي لا يجد لها تأويلاً، فمثلاً، يقول في تفسيره لسورة نوح: "ومعظم آيات هذه السورة الكريمة وغيرها نص في أن القوم كفرة هالكون يوم القيامة، فالحكم بنجاتهم كما يقتضيه كلام الشيخ الأكبر قدس سره في فصوصه مما يبرأ إلى الله تعالى منه".[٣] وأيضاً في تفسيره لسورة الكهف، عند حديثه عن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، يقول: فما قاله اليافعي[٤] في روضه من أنه "لو أذن الله تعالى لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلاً، وعلم الإذن يقينا فلبسه لم يكن منتهكا للشرع، وحصول اليقين له من حيث حصوله للخضر بقتله للغلام إذ هو ولي لا نبي على الصحيح" انتهى عثرة يكاد أن لا يقال لصاحبها لعا[٥]، لأن مظنة حصول اليقين اليوم الإلهام، وهو ليس بحجة، وما ذكره من نفي نبوة الخضر لا يعول عليه ولا يلتفت إليه، وممن صرح بأن الإلهام ليس بحجة من الصوفية: الشعراني وله في ذلك مؤلفٌ سماه: "حد الحسام في عنق من أطلق إيجاب العمل بالإلهام".[٦] وقال أيضاً منكراً على جهلة المتصوفة بعض أقوالهم وأفعالهم: "وحرمة نكاح أزواجه عليه الصلاة

---

(١) انظر ص١١٩ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني، أكرم حمدان، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية غزة- فلسطين، ج١٤، العدد الثاني (ص).

(٣) روح المعاني (٨١/٢٩).

(٤) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين(٦٩٨ - ٧٦٨ هـ): مؤرخ، متصوف، من شافعية اليمن. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٨/٣-٢٠)، الأعلام (٧٢/٤).

(٥) لعا: كلمة يدعى بها للعاثر، معناها الارتفاع، قال أبو عبيدة من دعائهم لا لَعاً لفلان أي لا أقامه الله. انظر: لسان العرب (٤٠٤٦/٥).

(٦) انظر: روح المعاني (١٧/١٦).

والسلام من بعده من خصوصياته ﷺ وسمعت عن بعض جهلة المتصوفة أنهم يحرمون نكاح زوجة الشيخ من بعده على المريد وهو جهل ما عليه مزيد".[(١)]

المطلب الثالث: الاتجاه الصوفي عند الشعراوي في تفسيره الخواطر

الشيخ محمد متولي الشعراوي[(٢)] من علماء هذا العصر، الذين منحهم الله جل وعلا فضلاً وعلماً وشهرة، وله رحمه الله جهوده الطيبة في الدعوة إلى الله في مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي.

ومن أبرز إنجازات الشيخ في خدمته للقرآن وعلومه هو تفسيره الذي حاول من خلاله إعادة الناس إلى القرآن وربطه بواقعهم ومشاكلهم.كما اعتنى فيه برد الشبهات المثارة حول الإسلام وتفنيدها وردها.

كما كان للشيخ رحمه الله أسلوبه الرائع وطريقته الفريدة في تبسيط المعلومة وجذب العامة والخاصة حوله، كما كان له إضافاته واستنباطاته ولطائف في تفسير، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

والشيخ الشعراوي مع ماله من العلم والفضل- فهو كغيره من العلماء والمفسرين يصيب ويخطئ، فهذه طبيعة البشر إلا من عصمه الله من أنبيائه ورسله. وما يعنينا في هذا المقام ونريد أن نسلط الضوء عليه هو الاتجاه الصوفي في تفسيره. والذي تأثر بشخصية الشيخ التي تميل إلى التصوف.

فالشيخ الشعراوي نشأ في بيئة ريفية مصرية تكثر فيها الطرق الصوفية والموالد وغير ذلك من الأمور التي هي من أثر التصوف في مصر، وقد تأثر الشيخ إلى حد ما بهذه البيئة المحيطة به.

---

(١) روح المعاني (٢٢/٧٣).

(٢) محمد متولي الشعراوي(١٣٢٩ - ١٤١٩هـ، ١٩١١ - ١٩٩٨م). العالم المفسِّر، ولد في محافظة الدقهلية بمصر، له جهوده الكثيرة في الدعوة إلى الله، اختير وزيراً للأوقاف المصرية عام ١٩٧٦م ثم أعيد اختياره عام ١٩٧٧م، حصل على وسام الجمهورية سنة ١٩٧٦. انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، المستشار: عبد الله العقيل (٢/١٠٠٢-١٠١٣).

مظاهر الاتجاه الصوفي في تفسير الشعراوي:

يظهر تأثر الشيخ الشعراوي بالتصوف واضحاً في تفسيره في عدة أمور، منها أن الشيخ كان يلقي تفسيره أحياناً في مسجد الحسين بالقاهرة، وهو مسجد فيه ضريح ينسب للحسين، ويعج بالبدع التي تقام حوله، ومنها أيضاً تأثر الشيخ بالأفكار الصوفية في تفسيره لبعض الآيات، وقد ذكر الباحث خلال بحثه بعض النماذج لذلك. (١)

ومنها أيضاً: مدحه للمتصوفة أحياناً خلال تفسيره لبعض الآيات، كقوله مثلاً: "ونجد في مثال الهدهد صفاءً عقدياً في التوحيد كأصفى ما يكون المتصوِّفة"(٢)، وكقوله أيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، قال الشيخ: "وهل عرف العقل البشري كل شيء حتى يبحث في أسرار الروح؟! ولما تعرَّض أحد رجال الصوفية للنقد، واعترض عليه أحد الأشخاص فقال له الصوفي: وهل أَحَطْتَ عِلْماً بكل شيء في الكون؟ قال الرجل: لا، قال: فأنا من الذي لا تعلم".(٣)

ومن ذلك أيضاً: مدحه لمجاذيب الصوفية، قال الشيخ الشعراوي: ولك أن تلاحظ مثلاً أحوال الناس المجاذيب الذين تراهم في أيِّ مكان مُهملين يستقلهم الناس، وينفرون من هيئتهم الرثّة، ومع ذلك ترى أصحاب الجاه والسلطان إذا نزلتْ بهم ضائقة وأعيَتْهم الأسباب يلجئون لمثل هؤلاء المجاذيب يلتمسون منهم البركة والدعاء، وهذا في حَدِّ ذاته أسمى ما يمكن أن يتطلع إليه أهل الجاه وأهل السلطان والنفوذ، أن تكون كلمتهم مسموعةً وأمرهم مُطاعاً، وأن يلجأ الناس إليهم كما لجئوا إلى هذا المجذوب المسكين.فإذا ما أجرى الله الخير على يد هذا الشيخ المجذوب ترى السيد العظيم يتمحك فيه، ويدعوه إلى طعامه، ويدفع عنه أذى الناس ويحتضنه، لأنه جرَّب وعلم أن لديه فيضاً من فيض الله وكرامة يختص الله بها مَنْ يشاء من عباده.(٤)

وكلام الشيخ السابق ناتج عن تأثره بمفهوم الصوفية للولاية، الذين أدخلوا المجانين والمجاذيب في زمرة الأولياء.(٥).

ثم ما ذكره الشيخ من أن الأغنياء إذا ألم بهم خطب لجئوا إلى هؤلاء المجاذيب هو من الجهل الذي لا يمدح فاعله، ولقد استغل بعض الدجاجلة هذه التصورات المنحرفة عند بعض

---

(١) انظر ص٥، ٧٦، ٩٧ من هذه الرسالة.

(٢) تفسير الشعراوي (٥٨٦٥/١٠).

(٣) المصدر السابق (٨٧٢١/١٤).

(٤) تفسير الشعراوي (٩٦٣٧/١٦).

(٥) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي"، د. محمود الشوبكي، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، ج١٠، العدد الثاني (٣٧).

العامة في النصب عليهم ونهب أموالهم[1]، حتى أن منهم من صار يتظاهر بالجنون لكي يصير صاحب بركة يتلمس به، وينفق عليه بدل أن يزجر ويلام على تكاسله.

---

(١) كما ذكر الشيخ الشعراوي ذلك. انظر: تفسير الشعراوي (٨٨٧٦/١٤).

المبحث الثاني

الاتجاه النقدي للتصوف عند بعض المفسرين

ويشتمل على خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** ردود الإمام أبي حيان الأندلسي على الصوفية في تفسيره (البحر المحيط)

- **المطلب الثاني:** ردود الإمام القرطبي على الصوفية في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)

- **المطلب الثالث:** ردود العلامة البقاعي على الصوفية في تفسيره (نظم الدرر)

- **المطلب الرابع:** ردود الشيخ محمد رشيد رضا على الصوفية في تفسيره(المنار)

- **المطلب الخامس:** ردود المفسرين على بدع الصوفية القبوريين الاستغاثة بأصحابها والتبرك بها وغير ذلك

المطلب الأول: ردود أبي حيان الأندلسي على الصوفية في تفسيره (البحر المحيط)

يعدّ الإمام أبو حيان الأندلسي[١] من كبار العلماء والمفسرين الذين تناولوا موضوع انحرافات الصوفية وبدعهم، والرد عليها، وكانت له رحمه الله جهوده المشكورة في ذلك، ومن يطالع تفسيره يلحظ هذه الردود، وقوتها، ونذكر من ذلك عدة نماذج:

١- ردود أبي حيان على تأويلات بعض الصوفية وتحريفاتهم لمعاني القرآن:

وضع الإمام أبو حيان منهجاً له في التعامل مع أقوال المتصوفة المتعلقة بتفسير القرآن، فيقول رحمه الله: "وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ".[٢]

فهو يرى أن يورد من ذلك ما له بعض مناسبة لمدلول اللفظ، ويدع ما دون ذلك؛ إعراضاً عنه لبطلانه أو لكونه لا علاقة له بالآية، وفعل ذلك تنزيهاً لتفسيره من هذه الأقوال.

فمثلاً، عند قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧]، يقول: ولسهل التستري[٣] كلام في المشرقين والمغربين شبيه بكلام الباطنية المحرفين مدلول كلام الله، ضربنا عن ذكره صفحاً. وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين ينسبون للصوفية، لأنا لا نستحل نقل شيء منه، وقد أكثر صاحب كتاب التحرير والتحبير[٤] بحسب ما قاله هؤلاء الغلاة في كل آية، ويسمي ذلك الحقائق وأرباب القلوب، وما ادعوا فهمه في القرآن، لم يفهمه عربي قط، ولا أراده الله تعالى بتلك الألفاظ، نعوذ بالله من ذلك. [٥]

وأحياناً يورد بعض تفسيرات الصوفية، ثم يتعقبها ويردها، فقد كان سيفاً للحق على عنق كل محرف ومبدل.

---

(١) أبو حيان النحوي (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ) محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في غرناطة، انتقل إلى القاهرة فأقام بها. وتوفى فيها، بعد أن كف بصره، واشتهرت تصانيفه في حياته. انظر: الأعلام (١٥٢/٧)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٥٨/٦).

(٢) البحر المحيط (١٠٤/١).

(٣) تقدمت ترجمته ص٥١ من هذه الرسالة.

(٤) لجمال الدين ابن النقيب، تقدمت ترجمته ص ٤٠ من هذه الرسالة، وتفسير ابن النقيب تحدث عنه أبو حيان في مقدمة تفسيره. انظر: البحر المحيط (١١٤/١)

(٥) انظر: البحر المحيط (١٨٩/٨).

فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف:٦٠]، قال رحمه الله: "وقالت فرقة: البحران كناية عن موسى والخضر لأنهما بحرا علم. وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية، والأحاديث تدل على أنهما بحرا ماء". (١)

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[التَّكوير:١]، قال رحمه الله: ذهب قوم إلى أن هذه الأشياء المذكورة استعارات في كل ابن آدم وأحواله عند الموت. فالشمس نفسه، والنجوم عيناه وحواسه، وهذا قول ذاهب إلى إثبات الرموز في كتاب الله تعالى. وهذا مذهب الباطنية، ومذاهب من ينتمي إلى الإسلام من غلاة الصوفية، وإنما هؤلاء زنادقة تستروا بالانتماء إلى ملة الإسلام، وكتاب الله جاء بلسان عربي مبين، لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن، ولا إيماء لشيء مما تنتحله الفلاسفة ولا أهل الطبائع. (٢)

٢- ردوده على طائفة ابن عربي وأتباعه من غلاة الصوفية:

فرقة ابن عربي الطائي، وأتباعه من ملاحدة الصوفية- القائلون بالحلول والإتحاد-، من أشر الناس على دين الإسلام، وعقائد المسلمين، ولقد وقف لهم علماء المسلمين، فحذروا منهم، وبينوا كفرهم وضلالهم. وكان منهم الإمام أبو حيان، فإنه لما رأى خطرهم وضررهم على عقائد المسلمين، أخذته الحمية لدينه، فسل قلمه عليهم، فبين كفرهم وزندقتهم، ورد عليهم، وحذر منهم.

فمثلاً، عند قوله تعالى:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، قال: "والضمير عائد على اليهود والنصارى"، ثم أورد قولين في معنى الآية، ثم قال: وقيل: علم سبحانه أنهم يعتقدون الحلول، وأنه سبحانه تجلى في بواطنهم فيسجدون له معتقدين أنه لله الذي حل فيهم وتجلى في سرائرهم، فهؤلاء اتخذوهم أرباباً حقيقة. ومذهب الحلول فشا في هذه الأمة كثيراً، وقالوا بالاتحاد. وأكثر ما فشا في مشائخ الصوفية والفقراء في وقتنا هذا، وقد رأيت منهم جماعة يزعمون أنهم أكابر. وحكى أبو عبد الله الرازي أنه كان فاشياً في زمانه، وإذا كان هذا مشاهداً في هذه الأمة، فكيف يبعد ثبوته في الأمم السابقة.(٣)

وقال أيضاً في موضع أخر: ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهراً وانتمى إلى الصوفية حلول الله تعالى في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى

---

(١) البحر المحيط (١٣٦/٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٢٤/٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤٦٤/٣-٤٦٥).

القول بالاتحاد والوحدة : كالحلاج، وابن عربي، وابن الفارض، .... وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله –يعلم الله ذلك– وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذروا فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله تعالى ورسله ويقولون بقدم العالم، وينكرون البعث. وقد أولع جهلة ممن ينتمي للتصوّف بتعظيم هؤلاء وادّعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه، والردّ على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين. (١)

٣–ردوده على بعض الأحوال والأفعال المبتدعة لمتصوفة زمانه:

قال رحمه الله: هذا الزمان العجيب؛ الذي ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ، يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصّلاح، ويتركون الاكتساب ويرتبون لهم أذكارا لم ترد في الشريعة يجهرون بها في المساجد، ويجمعون لهم خداماً يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم ونتش أموالهم ويذيعون عنهم كرامات ويرون لهم منامات يدوّنونها في أسفار، ويحضون على ترك العلم والاشتغال بالسنّة ويرون الوصول إلى الله بأمور يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولا نبي مرسل، ...وتعيين خادم يقول الشيخ مشغول في الخلوة ...هذا إن سلم الشيخ وخادمه من الاعتقاد الذي غلب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة فإذ ذاك يكون منسلخاً عن شريعة الإسلام بالكليّة، والتعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرّواتب وتبنى لهم الربط وتوقف عليها الأوقاف ويخدمهم الناس... (٢)

وللإمام أبو حيان ردود أخرى على الصوفية كثيرة منثورة في تفسيره، وإنما ذكر الباحث نماذج منها توضح الاتجاه النقدي لبدع الصوفية في تفسير البحر المحيط.

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣٢/٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣١٢/٤-٣١٣).

المطلب الثاني: ردود الإمام القرطبي على الصوفية في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)

يعتبر الإمام القرطبي[1] من كبار علماء التفسير وأئمته، وتفسيره يعد من أهم التفاسير وأشهرها لدى أهل العلم، وهو تفسير كبير الحجم، غزير العلم.

وقد تعرض الإمام القرطبي في تفسيره للرد على بعض الفرق الضالة المنحرفة[2]، وبيان انحرافاتهم، وتفنيد استدلالاتهم بالقرآن الكريم، ومن جملة هذه الفرق والتي كان لها النصيب الوافر من ردوده على (الصوفية)، فقد أكثر الإمام القرطبي في الرد على بدعهم، وتبيين ضلالاتهم وسخافاتهم، ونقد استدلالاتهم وتعلقاتهم ببعض الآيات.

وكان هذا منه نصحاً لدينه، وشفقة منه على بعض المسلمين الذين انجروا وراء هذه الضلالات، وانخدعوا بهذا السراب الذي يتراءى للبعيد في صورة الزهد والورع والتقوى، وهو في الحقيقة على النقيض تماماً.

والإمام القرطبي في رده على الصوفية ينقل عن غيره من العلماء والمفسرين السابقين كابن الجوزي (صاحب كتاب: تلبيس إبليس)، وابن عربي المالكي(صاحب كتاب: أحكام القرآن) وغيرهما. كما أنه يتعقب بعض المفسرين الذين قالوا ببعض أقوال المتصوفة البدعية وتأثروا بها، كما سيظهر ذلك من الأمثلة الآتية.

١-ردوده على الصوفية في استدلالاتهم الخاطئة ببعض آيات القرآن الكريم:

حاول بعض الصوفية- كغيرهم من الطوائف المبتدعة- تحريف معاني ودلالات القرآن الكريم، وذلك نصرةً لمذهبهم، وترويجاً لبدعتهم، ولقد كان لعلماء الإسلام وقفاتهم القوية في الرد عليهم وبيان خطئهم، والدفاع عن القرآن الكريم.

والإمام القرطبي له جهوده الطيبة في هذا المقام، فمثلاً في تفسيره، نجده يذكر بعض الاستدلالات المغلوطة لبعض الصوفية ثم يردها ويفندها.

فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف:١٥٠]، قال القرطبي: وقد استدل بعض جهال المتصوفة بهذا على جواز رمي الثياب إذا اشتد طربهم على المغنى، ثم منهم من يرمي بها

---

(١) القرطبي (٠٠٠ - ٦٧١ هـ) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمصر وتوفي فيها. انظر: الأعلام (٣٢٢/٥).

(٢) من هذه الفرق مثلاً: الشيعة، ولقد جمع الشيخ مشهور حسن آل سلمان ردود الإمام القرطبي على الشيعة في تفسيره في كتاب أسماه: ردود القرطبي على الشيعة.

صحاحا، ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها، قال: هؤلاء في غيبة فلا يلامون؛ فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع، قال أبو الفرج الجوزي: من يصحح عن موسى عليه السلام أنه رماها رمي كاسر؟ والذي ذكر في القرآن ألقاها، فمن أين لنا أنها تكسرت؟ ثم لو قيل: تكسرت، فمن أين لنا أنه قصد كسرها؟ ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار لخاضه، ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم، وهم يعرفون المغنى من غيره، ويحذرون من بئر لو كانت عندهم، ثم كيف تقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء، وقال ابن عقيل: إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما أدخلوه على أنفسهم من التخريق وغيره مما أفسدوا ... [1]

وعند قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:٤٢]، قال القرطبي: استدل بعض جهال المتزهدة والمتصوفة بقوله تعالى لأيوب: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ على جواز الرقص، قال أبو الفرج الجوزي: وهذا احتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء. قال ابن عقيل[2]: أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص.... [3]

٢- ردوده على بعض الأحاديث الموضوعة التي تحتج بها المتصوفة:

اجتهد الإمام القرطبي من خلال تفسيره في الرد على بعض الأحاديث الموضوعة التي احتجت بها الصوفية، وذلك من خلال بيان وضعها، ومعارضتها لبعض الآيات أو الأحاديث الصحيحة.

فمثلاً، عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] قال القرطبي: هذه الآية ترد ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (احرموا أنفسكم من طيب الطعام فإنما قوى الشيطان أن يجري في العروق منها) [4]، وبه يستدل كثير من الصوفية في ترك أكل الطيبات، ولا أصل له، لأن القرآن يرده والسنة الثابتة بخلافه على ما تقرر في غير موضع، وقد حكى أبو حامد

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨/٧).

(٢) انظر ترجمته ص ٨٦ من هذه الرسالة.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١٥/١٥)، ومثالاً آخر: المصدر السابق (٣٦٦/١٠).

(٤) موضوع، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ح ١٨٧٩، (٣٥٧/٤).

الطوسي قال: كان سهل يقتات ورق النبق[1] مدة وأكل دقاق ورق التين ثلاث سنين.... فهذا الفعل مخالفٌ للشرع والعقل ومعلوم أن البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ...وهو غلو في الدين إن صح عنه ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد:٢٧].[2]

٣-ردوده على أفعال المتصوفة التي تخالف النصوص القرآنية والنبوية:

اعتنى الإمام القرطبي ببيان مخالفات الصوفية في أقوالهم وأفعالهم للكتاب والسنة وهديهما، فنجده في تفسيره لبعض الآيات يذكر أن ما دلت عليه الآية يعارض ما عليه الصوفية من الأحوال.

فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣] ، قال: لما أمر الله تعالى بالكتب والإشهاد وأخذ الرهان كان ذلك نصاً قاطعاً على مراعاة حفظ الأموال وتنميتها، ورداً على الجهلة المتصوفة ورعاعها الذين لا يرون ذلك، فيخرجون عن جميع أموالهم ولا يتركون كفاية لأنفسهم وعيالهم، ثم إذا احتاج وافتقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم، أو أن يأخذ من أرباب الدنيا وظلمتهم، وهذا الفعل مذموم منهي عنه..... [3] ثم نقل عن ابن الجوزي كلاماً طويلاً في الرد على انحرافات الصوفية في موضوع الزهد، ومنها ما يتعلق بالمال والمحافظة عليه، إلى أن قال: ومما يدل على حفظ الأموال ومراعاتها إباحة القتال دونها وعليها....[4]

وعند قوله تعالى على لسان موسى وهو يخاطب أخاه هارون: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه:٩٣]، قال القرطبي: "يريد أن مقامك بينهم وقد عبدوا غير الله تعالى عصيان منك لي"[5]. ثم قال رحمه الله: مسألة: وهذا كله أصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيِّما إذا كان راضياً حكمه كحكمهم. وسئل الإمام أبو بكر

(١) شجر النبق هو: السدر، واحدته سدرة. انظر المعجم الوسيط (٤٢٣/١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩٥/١٠-٢٩٦)، وانظر مثالاً آخر ص من هذه الرسالة.

(٣) انظر: المصدر السابق (٤١٧/٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤١٧/٣-٤٢٠) وانظر أمثلة أخرى لرد الإمام القرطبي على المتصوفة في موضوع الزهد وما يتعلق به: المصدر السابق (٢٦٢/٦)، (١٩٦/٧-١٩٩).

(٥) المصدر السابق (٢٣٧/١١).

الطرطوشي[1] رحمه الله: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأنه اجتمع جماعة من رجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه، ويحضرون شيئا يأكلونه. هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين، الجواب – يرحمك الله – مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم عن الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل–رحمهم الله– وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق. [2]

وعند قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران:٣٨] ، قال القرطبي: وفي هذا رد على بعض جهال المتصوفة، حيث قال: الذي يطلب الولد أحمق، وما عرف أنه هو الغبي الأخرق[3]. ثم شرع رحمه الله يذكر بعض الآيات والأحاديث التي تبين مشروعية: طلب الولد وفضله، وهي كثيرة.

وللإمام القرطبي ردود أخرى على الصوفية كثيرة منثورة في تفسيره[4]، وإنما ذكر الباحث نماذج منها توضح الاتجاه النقدي لبدع التصوف في تفسيره.

---

(١) الطرطوشي (٤٥١ /٥٢٠ هـ) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي، الإمام، الزاهد، شيخ المالكية، أديب، تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان، وسكن الإسكندرية، فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي، من كتبه (سراج الملوك). انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٩)، الأعلام (١٣٤/٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٣٧/١١–٢٣٨). ونموذج آخر: (١٣٨/١٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٣٧/١١–٢٣٨).

(٤) ولقد جمع الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ردود الإمام القرطبي على الصوفية، في كتاب أسماه: "القرطبي والتصوف".

المطلب الثالث: ردود العلامة البقاعي على غلاة الصوفية في تفسيره (نظم الدرر)

يعتبر الإمام البقاعي(١)من العلماء الكبار الذين بذلوا حياتهم في خدمة القرآن وعلومه، وفي جهاد الطوائف المبتدعة المختلفة.

فتفسيره المسمى: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) من التفاسير القيمة النافعة، عنى فيه البقاعي بذكر المناسبات بين السور والآيات، وكتابه عَلَم في هذا الأمر، فإذا ذكرت المناسبات ذكر هذا الكتاب.

يتحدث البقاعي عن تفسيره وأهميته فيقول في خاتمة تفسيره: وهذا تمام ما أردته من نظم الدرر من تناسب الآي والسور، ترجمان القرآن مبدي مناسبات الفرقان، التفسير الذي لم تسمع الأعصار بمثله، ولا فاض عليها من التفاسير على كثرة أعدادها كصيب وبله.... (٢) ثم يذكر رحمه الله أنه مكث في تفسيره أربع عشرة سنة، وأنه لقي من معاصريه المدح والثناء، إلى غير ذلك مما ذكره.

ويقول العلامة الشوكاني رحمه الله في مدحه لهذا التفسير: ومن أمعن النظر فِي كتاب البقاعي فِي التَّفْسِير الَّذِي جعله فِي الْمُنَاسبَة بَين الآي والسور علم أَنه من أوعية الْعلم المفرطين فِي الذكاء الجامعين بَين علمي الْمَعْقُول وَالْمَنْقُول، وكثيراً ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب.(٣)

وما يعنينا هنا في دراسة هذا التفسير: هو الاتجاه النقدي لغلاة الصوفية الذي سلكه فيه مؤلفه.

جهود العلامة البقاعي في الرد على غلاة الصوفية:

وأما الرد على الفرق المنحرفة وخاصة غلاة الصوفية فللإمام البقاعي جهوده الجبارة في هذا المقام، يحدثنا هو عن نفسه في ذلك فيقول: وصنفت في ذلك عدة مصنفات، بانت فيها مخازيهم وظهرت المخبآت، منها: "صواب الجواب للسائل المرتاب"، ومنها: "القارض لتكفير ابن

---

(١) البقاعي(٨٠٩ /٨٨٥ هـ) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: قارئ، محدث، مفسّر، مؤرخ، أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. انظر: الأعلام (٥٦/١)، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد محمد سالم محيسن (٢٥/٢).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦٢٠/٨).

(٣) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (٢٠/١).

الفارض"، ومنها: "تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض"، ومنها: "تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي"[١]، ومنها: تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، أنفقت فيها عمراً مديداً.... [٢]

الاتجاه النقدي لغلاة الصوفية في تفسير نظم الدرر:

كثيراً ما يتعرض الإمام البقاعي في تفسيره لبعض الآيات إلى معتقدات الغلاة من الصوفية ويفندها ويردها، كما ويسفه قائلها ويحمل عليه.

فمثلاً، في تفسيره سورة نوح، عند قوله تعالى على لسان نوح:﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح:٢٤] ، قال البقاعي: وقد بالغ ابن عربي في المروق من الدين، فقال في فصوصه: إن هذا الدعاء حسن في حقهم، وقال: إن الضلال أهدى من الهدى، وإن الضال أحسن حالاً من المهتدي، لأن الضال لا يزال قريبا من القطب المقصود دائراً حوله، والمهتدي صاحب طريقة مستطيلة، فهو يبعد عن المقصود، فأبان أن الله تعالى لم يخلق خلقا أسفه منه، إلا من اتبعه عليه وعلى من ينحو نحوه من الضلال الذي لا يرضاه عاقل من عباد الأصنام الذين لا أسفه منهم، فعليهم أشد الخزي واللعنة. [٣]

ثم عند قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح:٢٥] ، قال: فلعنة الله على من يقول: إن الله تعالى كان غير ناصرهم، مع هذه الدلالات التي هي نص في أنه عدوهم، وأن نصرهم إنما يكون على نبيه نوح عليه الصلاة والسلام، واعتقاد ذلك أو شيء منه كفر ظاهر لا محيد عنه بوجه، وقائل ذلك هو ابن عربي صاحب الفصوص الذي لم يرد بتصنيفه إلا هدم الشريعة المطهرة، ونظمه ابن الفارض في تائيته التي سماها بنظم السلوك، فلعنة الله عليه، وعلى من تبعه، أو شك في كفره، أو توقف في لعنه بعد ما نصب من الضلال الذي سعر به البلاد، وأردى كثيرا من العباد. [٤]

وفي تفسيره لسورة النازعات، عند قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النَّازعات:٢٤]، تعرض البقاعي لمشابهة غلاة الصوفية لفرعون في أقوالهم، واعتقادهم

(١) والكتاب مطبوع هو وكتاب " تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد" كلاهما للبقاعي، تحت عنوان: "مصرع التصوف"، بتحقيق الشيخ: عبد الرحمن الوكيل.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦٢١/٨).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٥٢/٢٠). طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. وقد قام الباحث بالرجوع لهذه الطبعة في عدة مواضع لإتمام النقص في بعض الفقرات في الطبعة الآخرى التي اعتمدتها في توثيق البحث.

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٥٥/٢٠-٤٥٦). طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

بإيمانه[1]، فيقول: فكان هذا نداء فرعون، يعني كلكم أرباب بعضكم فوق بعض وأنا أعلاكم، ولا رب فوقي أصلاً، وذلك لأن الإله عنده الطبيعة، وهي مقسمة في الموجودات، فهم كلهم أرباب، ومن كان أعلى كان أقعد في المراد، وهو كان أعلى منهم، فقبحه الله ولعنه ولعن من تمذهب بمذهبه كابن عربي وابن الفارض وأتباعهما، حيث أنكروا الملك القهار، ورسوله المصطفى المختار، وتبعوا في وحدة الوجود بعض الفلاسفة، ثم الحلاج بعد فرعون هذا الذي لم يصرح الله بذم أحد ما صرح بذمه، ولم يصرح بشقاء أحد ما صرح بشقائه، كهذه الآية ﴿ **فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآَخِرَةِ وَالأُولَى** ﴾ [النَّازعات:٢٥]، فإنها مصرحة بوقوع نكاله في الآخرة كما وقع في الدنيا، وقوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص:٤٠]، إلى غير ذلك من الآيات البينات والدلائل الواضحات التي لا تحصى وهي كثيرة.... [2]

ثم قال: وأنا لا أشك أن الحلاج وابن عربي وابن الفارض، وأتباعهم يكونون في النار تحتهم وتحت آله يشربون عصارتهم، فإنهم ادعوا أنه ناج وصدقوه فيما ادعاه، وادعوا لأنفسهم وغيرهم مثل ما ادعاه تكذيبا للقرآن وإغراقا في العدوان، وأمارة هذه الطائفة الخبيثة التي لا تتخلف أن تقول لأحدهم: العن فرعون الذي أجمع على لعنه جميع الطوائف –وهو مثل عندهم في الشرارة والخبث– فلا يلعنه، وإن لعنه فبعد توقف. [3]

وللإمام البقاعي ردود وتعقبات أخرى على غلاة الصوفية منثورة في تفسيره[4]، وإنما ذكر الباحث نماذج منها، توضح الاتجاه النقدي لغلاة الصوفية في هذا التفسير.

---

(١) قال الإمام ابن تيمية: "وهذا القول كفر معلوم فساده باضطرار من دين الإسلام، لم يسبق ابن عربي إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة، بل ولا من اليهود ولا من النصارى، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون، والقرآن قد دل على كفره وعذابه في الآخرة في مواضع.... ". انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/٢٥٤-٢٥٨).

(٢) انظر: نظم الدرر (٢١/٢٣٣-٢٣٤). طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

(٣) انظر: المرجع السابق (٢١/٢٣٦). طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

(٤) انظر: نظم الدرر (٥/١٦٣)، (٧/٤٢٧)، (٨/٣٨٢، ١٦٧، ١٧٧، ١٩٦).

المطلب الرابع: ردود الشيخ محمد رشيد رضا على الصوفية في تفسيره المنار

يعتبر الشيخ رشيد رضا(١) من كبار علماء عصره، ورجال الإصلاح فيه، الذين كان لهم دوراً بارزاً في الدعوة إلى الله، وفي محاربة البدع والخرافات. (٢)

ومن ذلك: أنه أنشأ مجلة "المنار"، بث فيها آراءه الإصلاحية والاجتماعية، كما أنه بث كثيراً منها في تفسيره، والذي مات قبل أن يكمله. (٣)

لقد كان للشيخ رضا جهوده المباركة في محاربة البدع والطوائف الداعية إليها، وفق منهج السلف الصالح الذي يقوم على الأصول القرآنية والنبوية الواضحة، التي دائماً ما يدندن الشيخ حولها في دعوته.

فلقد قرر الشيخ رشيد غير مرة أن أصول الدين وفروعه مبنية على أساسين: "أحدهما: أن لا يعبد إلا الله تعالى، ثانيهما: ألا يعبد إلا بما شرع. فالعبادات لا تثبت إلا بنص من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، وأنه ليس لأحد أن يزيد فيها برأيه شيئًا ؛ فإن الله تعالى قد أكمل دينه على لسان رسوله ، وكل بدعة في الدين فهي ضلالة....(٤)

كما تكلم الشيخ رشيد كثيراً عن البدع فعرفها وبين أقسامها، وأصل نشأتها، وكيفية القضاء عليها، وحمل على العلماء الذين يقصرون في مقاومتها، ومن ذلك أنه أنشأ لها باباً في مجلته، يشتمل هذا الباب على قسم (الأحاديث الموضوعة والواهية والمنكرة)، وقسم (الموالد والمواسم).(٥)

ومن الفرق المبتدعة التي تعرض لها الشيخ بالمناقشة والرد: الصوفية وطرقها التي هي أم البدع.

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا القلموني (١٢٨٢/ ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م)، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: أحد رجال الإصلاح الإسلامي. من العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. انظر: الأعلام.(١٢٦/٦).

(٢) انظر في هذا الموضوع: محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، خالد بن فوزي بن عبد الحميد آل حمزة.

(٣) وصل فيه إلى الآية ٥٢ من سورة يوسف، ثم توفي فقام الأستاذ محمد بهجت البيطار بتفسير بقية سورة يوسف، وضمَّ تفسير السورة بعضه إلى بعض وأصدره في كتيب مستقل بعنوان: "تفسير سورة يوسف" وطبع سنة ١٣٥٥هـ.

(٤) انظر: مجلة المنار، محمد رشيد بن علي رضا وغيره (٤٧٢/٢٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٤٧٤/٣)، منهج محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي (ص٥٥٠) وما بعدها.

تجربة الشيخ رشيد رضا الصوفية:

وردود الشيخ رشيد على الصوفية كانت عن معرفته التامة بها، فقد كان صوفياً في بداية حياته، وسلك الطريقة النقشبندية، وقطع شوطاً كبيراً فيها، ثم تركها، وتحول عنها، بعد اطلاعه على كتب السلف، لا سيّما كتب ابن تيمية، ومدرسته. (١)

وقد تحدث الشيخ عن هذه الفترة من حياته في كتبه ومقالاته، ودون فيهما بعض تجاربه وخبراته مما مر به في هذه المرحلة، كما كشف رحمه الله عن واقع المتصوفة وأفعالهم وحقائق أحوالهم.

يقول رحمه الله: فسلكت هذه الطريقة معه وقطعت مراتب اللطائف كلها، ورأيت في أثناء ذلك كثيرًا من الأمور الروحية، ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل على أن جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعدُ. (٢)

ويتحدث الشيخ عن ورده الذي التزمه في هذه الطريقة، فيقول: كان الورد اليومي لي في هذه الطريقة ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة، مع تغميض العينين، وحبس النفس بقدر الطاقة، وملاحظة ربط قلبي بقلب الشيخ.

ثم قال: وهذا النوع من الذكر غير مشروع؛ بل هو مخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور، وهذه الرابطة محل إنكار خاص عند علماء الشرع، وهي مقررة في غير هذه الطريقة، وقد تكون بصفة مخلة بالعقيدة، فإن مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادة إلى الله وحده حنيفًا مسلمًا له الدين، فالتوجه فيها إلى الشيخ قد يكون من الشرك الخفي، وإن لم يقصد به عبادته. (٣)

ردود الشيخ محمد رشيد رضا على الصوفية من خلال تفسير المنار:

١. ردود الشيخ محمد رشيد رضا على الطرق الصوفية:

للشيخ رشيد رضا وقفات كثيرة مع الطرق الصوفية والرد عليها، وقد أطنب في عدة مواضع من تفسيره في بيان بدعها وجهلها، والرد عليها.

فمثلاً، عند قوله تعالى:﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾. [يونس:٦٢-٦٣]، تحدث رحمه الله عن صفات أولياء الله المذكورة في الآية، فيقول:

---

(١) انظر: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص٥٥٦).

(٢) انظر: مجلة المنار(ص٣٣/٣٥٣).

(٣) انظر: مجلة المنار(ص٣٣/٣٥٣).

وأما ما وصفهم وعرفهم به فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فهذا استئناف لبيان حال هؤلاء الأولياء النفسية العلمية والعملية. أي هم الذين جمعوا بين الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وملكة التقوى له عز وجل، وما تقتضيه من عمل. وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضي لبيان أنه كان كاملاً باليقين، لم يزلزله شك ولم يحصل بالتدريج، وعن تقواهم بالفعل الذي يدل على الحال والاستقبال لأن التقوى تتجدد دائما بحسب متعلقاتها... [(١)]

ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن انحراف الصوفية في هذا الباب- أي باب الولاية والأولياء- فتكلم بكلام طويل، بين فيه: أن الصوفية جعلت من الأولياء عالم خرافي خيالي، خلعوا عليهم بعض أوصاف الإلوهية، وجعلوا لهم من الخصائص ما يفوق كل ما ورد للأنبياء والمرسلين، وذكر الشيخ عدة شواهد لذلك الانحراف من كتب الصوفية وواقعهم وطرقهم، وناقشها ورد عليها. [(٢)]

ومن ذلك مناقشته للطريقة التيجانية في غلوها في الأولياء يقول رحمه الله: "كان من فساد هذا التصوف الذي بثه الشعراني[(٣)] وأمثاله في المسلمين، أن وجد في المغرب الأقصى في القرن الثالث عشر للهجرة شيخ اسمه الشيخ أبو العباس أحمد التجاني[(٤)]، صار له طريقة من أشهر الطرق امتدت من المغرب الأقصى إلى السودان، فالجزائر، فتونس، فمصر، وصار لها مئات الألوف من الأتباع لما فيها من الغلو في الدعاوى والخرافات والابتداع وتفضيل شيخها نفسه على جميع من سبقه من الأولياء وكذا الأنبياء بأمور منها: ضمان النبي ﷺ له ولأصوله وفروعه وأتباعه ولكل من يكرمه ويحسن إليه ولو بالطعام أعلى منازل الجنة مع رسول الله ﷺ بغير حساب ولا عقاب؛ لأن جميع معاصيهم وتبعاتهم تغفر لهم لأجله... إلخ ، كان الغرض من طريقته أكل أموال الناس وطعامهم والجاه عندهم خلافاً لجميع صوفية العالم، وقد ألف أحد

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم (٣٤٢/١١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٤٤/١١-٣٤٩).

(٣) انظر: ترجمته ص٣٢ من هذه الرسالة.

(٤) التيجاني (١١٥٠ - ١٢٣٠ هـ = ١٧٣٧ - ١٨١٥ م) أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، أبو العباس: شيخ (الطائفة التجانية) بالمغرب. كان فقيها مالكيا، رحل إلى "توات" وأخرج منها، ولبعض أصحابه كتب في سيرته منها (جواهر المعاني). انظر: الأعلام (٢٤٥/١). كما ادعى هذا الرجل أنه خاتم الأولياء وهو بذلك يكذب جميع أقطاب الصوفية الذين ادعوا قبله هذا الأمر، كما ادعى رؤية النبي يقظة. انظر: في هذا الرجل وطائفته التيجانية: دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير (ص٢٧٩-٢٩٧)، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص٢٦٣، ٣٥٠- ٣٦٥)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام(٣/ ٨٩٦-٩٦٦)، مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني، العلامة: محمد الخضر الشنقيطي، ويقع في مجلد ضخم .

أتباعه كتابا كبيرا في مناقبه وكراماته وأوراده تلقاها من لسانه وقلمه، هدم بها هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسماه (جواهر المعاني) وهاك بعض الشواهد منه. [١]

ثم ذكر رحمه الله بعضاً من هذه الشواهد، وعقب عليها، فذكر بعض ما ادعاه التيجاني لنفسه من الكرامات: ضمان دخول الجنة لكل من له علاقة به، أو أحسن بخدمة له، أو من أخذ عنه ذكراً، أو دعا له بلا حساب ولا عقاب. [٢]

ثم ذكر الشيخ كلامهم في ذلك من الكتاب المذكور (جواهر المعاني)، ثم عقب على ذلك الغلو والتبجح قائلاً: والنبي ﷺ لم يضمن مثل هذا في حياته لأحد من أهل بيته ولا خواص أصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم حتى العدد القليل الذين بشرهم بالجنة كالعشرة لم يضمن لهم ما زعم التجاني أنه ضمنه لمن لا يحصى عددا من أصوله وفروعه وأتباعه، ولا يوجد في شريعته ما يدل على أن الله تعالى أذن له بمثل هذا؛ بل قاعدة دينه وشريعته أن الغرم بالغنم، فمن تضاعف حسناتهم تضاعف سيئاتهم كما صرح به الكتاب العزيز في خطاب نسائه ﷺ من سورة الأحزاب[٣]، وصح عنه ﷺ أنه لما نزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] جمعهم وكان مما قاله لهم: (اعملوا لا أغني عنكم من الله شيئا)، قال هذا لعمه وعمته رضي الله عنهما[٤] ولبنته السيدة فاطمة رضي الله عنها سيدة النساء[٥]، فكلام التجاني صريح في أن جميع أتباعه وأقاربه ومحبيه والمحسنين إليه يكونون في عليين فوق أتباع جميع الأنبياء ومحبيهم، وإلا لما بقي للجنات السبع أحد يسكنهن وهو افتراء لم يتجرأ عليه أحد من المجازفين قبله. [٦]

ثم ذكر الشيخ رضا شاهداً آخر للانحراف الموجود في هذا الكتاب، وهو: تفضيل التيجاني أوراده المبتدعة على جميع العبادات المأثورة، فمثلاً من أوراد التيجاني التي اخترعها لمريديه: "صلاة الفاتح" ونصها: "اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، صلى الله عليه وعلى آله حق قدره ومقداره

(١) انظر: تفسير المنار (٣٤٩/١١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٥٠/١١).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾. [الأحزاب:٣٠-٣١]. فهذا حال أزواج النبي، وهن من أقرب الناس إليه، -رضي الله عنهن-.

(٤) أي: عمه: العباس وعمته: صفية رضي الله عنهما أبناء عبد المطلب.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، ح٢٧٥٣، (٦/٤)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)، ح٥٢٢، (١٣٣/١).

(٦) انظر: تفسير القرآن الحكيم (٣٥٢/١١).

العظيم"[(١)]، حيث ذكر التيجاني أن أجرها يعدل أجر كل تسبيح وقع في الكون، وأجر كل دعاء صغير أو كبير، وأجر قراءة القرآن ستة آلاف مرة. ومنها أيضاً: دعاء يا من أظهر الجميل، الذي ذكر التيجاني من جملة ثوابه أن الله يعطي من قاله ثواب سبعين نبياً كلهم بلغ الرسالة، وأيضاً: دعاء السيفي الذي المرة الواحدة منه تعدل ثواب صوم رمضان وقيام ليلة القدر وعبادة سنة، إلى غير ذلك من المبالغات الجنونية التي ذكرها مؤلف الكتاب المذكور عن شيخه التيجاني. والتي يزعم الأخير كذباً وزوراً أخذها عن النبي يقظة[(٢)]، وكأن النبي حجب عن أمته هذا الخير طيلة هذه القرون حتى يأتي هذا الدجال في القرن التاسع عشر ليعلمنا إياها.

ثم ذكر الشيخ شاهداً آخر في انحراف هذه الطريقة الصوفية، ثم قال: ولولا أن له أتباعا في مصر وبلاد المغرب لما سودنا صحائف هذا التفسير بذكر خرافاته وضلالاته....[(٣)]

٢. ردود الشيخ رشيد رضا على الصوفية في ابتداعهم الموالد وما لحقها من مفاسد:

ابتدع الصوفية مسألة الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء، وهو أمر مبتدع مخالف للشريعة، لأنه لا دليل عليه لا من كتاب ولا سنة، ولا من عمل السلف الصالح، والصحابةﷺ أشد منا حباً للنبي ﷺ، ومع ذلك لم يفعلوا ذلك ﷺ.

ولم يقف الأمر بالصوفية عند هذا الحد من ابتداع الموالد؛ بل لقد خالطت هذه الموالد كثيرٌ من البدع والمنكرات.

ولقد واجه الشيخ رشيد رضا هذه الظاهرة البدعية التي انتشرت في عصره، واجتهد في مهاجمتها والرد عليها، ومن ذلك: في تفسيره، فقد تعرض لهذه الموالد وبين بدعها ومفاسدها.

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، يتحدث عن هذه المسألة، فيذكر أولاً: تعجبه من بعض الفقهاء في استحسانهم لهذه الموالد، وبذلهم الأموال فيها، قال الشيخ رضا: "ومن العجيب أن تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء، فصاروا يبذلون فيها الأموال العظيمة زاعمين أنهم يتقربون بها إلى الله تعالى، ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم أو إزالة منكر أو إعانة منكوب لضنوا به

---

(١) ما الجديد في هذا الدعاء؟ وانظر إلى هذا الدجال كيف سمح لنفسه أن يفضل أذكاره –ذات الركاكة في اللفظ والمعنى– على قراءة القرآن المعجز، وأدعية النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وبدل أن يحاكم أمام القضاء لتجنيه الواضح على الدين صار يعد من أولياء الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم أو تفسير المنار(١١/٣٥٢–٣٥٤)

(٣) انظر: تفسير المنار(١١/٣٥٤).

وبخلوا، ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب إلى الله تعالى، كأن كرامة الشيخ الذي يحتفلون بمولده تبيح المحظورات، وتحل للناس التعاون على المنكرات".[1]

ثم يبن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعض هذه المنكرات التي تقع في هذه الموالد، والتي يتغاضى عنها بعض الفقهاء في حضورهم لهذه الموالد، فيقول: فالموالد أسواق الفسوق، فيها خيام للعواهر، وحانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات، الكاسيات العاريات، وبعض هذه الموالد يكون في المقابر، ويرى كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة، ويوقدون الشموع الكثيرة، احتفالا باسم صاحب المولد... [2]

ثم ذكر الشيخ رضا هنا قصة عجيبة حدثت مع شيخه محمد عبده في إنكاره لهذه الموالد، فقال: وذكر الأستاذ الإمام عند شرح مفاسد الموالد هنا أن بعض كبار الشيوخ في الأزهر دعوه مرة للعشاء عند أحد المحتفلين، فأبى فقيل له في ذلك، فقال: إنني لا أحب أن أكثر سواد الفاسقين؛ فإن هذه الموالد كلها منكرات، ووصف ما يمر به المدعو قبل أن يصل إلى موضع الطعام. ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة: كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد؟ قال: أربعمائة جنيه. قال الأستاذ: لا شك أن هذا في سبيل الشيطان، فلو كلمت صاحبك في أن يجعل ذلك لجماعة من المجاورين في الأزهر يستعينون به على طلب العلم فيكون بذله شرعيا، وهؤلاء المجاورون يذكرونه بخير ويدعون له .... فقال الشيخ حينئذ: "أما قرأت حكاية الشعراني مع الزمار إذ رأى شيخاً كبيراً ينفخ في مزمار والناس يتفرجون عليه فاعترض عليه في سره فما كان من الشيخ إلا أن قال: يا عبد الوهاب أتريد أن ينقص ملك ربك مزمارا ؟ فعلم الشعراني أنه من أولياء الله تعالى". قال الأستاذ: ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا إلى المولد.[3]

ثم يعقب الشيخ رضا على هذه القصة قائلاً: فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع! اتخذوا الشيوخ أنداداً، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق، بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة فعلاً لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على الخير، ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله ...، فلا عجب إذا عم فيهم

---

(١) انظر: تفسير المنار (٦١/٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦١/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٦١/٢).

الجهل، واستحوذ عليهم الضعف، وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر؛ لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين. (١)

ويختم الشيخ كلامه هنا ببيان بدعية هذه الموالد فيقول: ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها؛ بل ولا في الثاني، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة، وإنما سرت إلينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى... (٢)

٣. ردود الشيخ رشيد رضا على الكشف الصوفي:

تعرض الشيخ رشيد رضا في تفسيره المنار لبعض الأفكار الصوفية، وناقشها، وكان منهجه في ذلك عرض الأقوال والأفعال على الكتاب والسنة، فما وافقهما منها قبله، وما خالفهما منها رده ورفضه. ومن هذه الأفكار الصوفية التي ناقشها الشيخ في تفسيره: فكرة الكشف الصوفي، وأنه حجة عند بعض الصوفية، ومصدر للمعارف والعلوم عند آخرين.

فقد عقد الشيخ في تفسيره عنواناً لذلك وهو (بطلان الأخذ بالكشف في الدين)، قال فيه: وأما الكشف فليس بدليل عقلي ولا شرعي، وإنما هو إدراكات ناقصة تخطئ وتصيب، وهو يقع للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، ويعترف به صوفية المسلمين لصوفية الهندوس وغيرهم، كما يعترفون بتلبيس الشياطين عليهم فيه، وقلة من يميز بين الكشف الشيطاني والكشف الحقيقي منهم، ولا يصح أن يسمى حقيقياً إلا ما وافق نصاً قطعياً. (٣)

ثم بين ما يقع فيه من الخطأ والتلبيس ودلائله فقال: ومن دلائل الخطأ والتلبيس والتخيلات في الكشف الذي يسمونه النوراني تعارض أهله وتناقضهم فيه، وما يذكرونه فيه من معلوماتهم المختلفة باختلاف معلوماتهم الفنية والخرافية والشرعية، فترى بعضهم يذكر في كشفه جبل قاف المحيط بالأرض، والحية المحيطة به، وهو من الخرافات التي لا حقيقة لها، ومنهم من يذكر في كشفه الأفلاك وكواكبها على الطريقة اليونانية الباطلة أيضا. وأكثرهم يذكرون في كشفهم الأحاديث الموضوعة، فإن اعترض عليهم أو على المفتونين بكشفهم علماء الحديث قالوا: إن الحديث قد صح في كشفنا وإن لم يصح في رواياتكم، وكشفنا أصح لأنه من علم اليقين وعلمكم ظني. والحاصل أن كشفاً هذا شأنه وشأن أهله إن صح أن يصدق فيما لا يخالف

---

(١) انظر: تفسير المنار (٦٢/٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦٢/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٦٥/١١).

نصوص الشرع وعقائده وأحكامه، فلا يصح لمن يؤمن بكتاب الله وسنة رسوله أن يصدق منه ما يخالفهما، وأن يثبت من أمر عالم الغيب ما لم يثبت بهما، وما أغنانا عن هذا كله.(١)

وفي موضع آخر بين خطورة الاعتماد على الكشف في التشريع وأثره على الطوائف الأخرى التي تأثرت بالصوفية في هذه المسألة فقال: قد جرأ هؤلاء الغلاة من الصوفية إخوانهم في الابتداع على دعوى الوحي والتلقي عن الله تعالى كالأنبياء حتى ادعى بعضهم النبوة نفسها؛ بل ادعى بعضهم الإلوهية، وإنك لتجد من كلام غلام أحمد القادياني(٢) – مسيح الهند الدجال – أنه قد ادعى الوحي من الله لهم، وتجد كلامهم في الغلو في أنفسهم ممزوجا باصطلاحات الصوفية، فلم يفسد الإسلامَ على أهله بدعةٌ ولا فلسفةٌ ولا روايةٌ ولا رأيٌ، كما أفسد أدعياء الولاية والكشف... (٣)

وقال في موضع آخر مبيناً تلبيس الشيطان على بعض الصوفية في هذا الكشف: ننبه إلى أكبر الأسباب؛ لزيغ بعض الصوفية عن صراط الكتاب والسنة النبوية، مع اعتراف جميع أئمة شيوخهم بأنهما أصل طريقتهم، والبحر الذي تستخرج منه جميع درر حقائقهم، وهو أن من اشتغل بكثرة ذكر الله التي هي أقرب الطرق إلى معرفة الله وحبه يحصل له في أثناء ذلك من كشف أسرار الكون والمشاهدات والأذواق الروحية ما يفتنه بنفسه وبخواطره وذوقه، فيتوهم أن كل ما يشعر به ويتخيله حقيقة أثبتها الكشف، وإن خالف نصوص الشريعة، والحق أنه يخطئ ويصيب.... (٤)

فبين الشيخ أن هذا الكشف غير معصوم، فهو إن أصاب مرة فقد يخطئ أخرى، والحكم عليه في ذلك كله هو الكتاب والسنة.

وللشيخ ردود كثيرة أخرى على الصوفية(٥)، وإنما ذكر الباحث بعض النماذج منها، والتي توضح الاتجاه النقدي للتصوف في تفسير المنار.

---

(١) انظر: تفسير المنار(١١/٣٦٥-٣٦٦).

(٢) القادياني (١٢٥٥ /١٣٢٦هـ = ١٨٣٩ / ١٩٠٨ م) أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني، ويسمى ميرزا غلام أحمد، ويلقب بالمسيح الثاني: زعيم القاديانية ومؤسس نحلتهم. هندي له كتابات عربية. نسبته إلى (قاديان)، قرأ شيئا من الأدب العربي، واشتغل بعلم الكلام. خدم الحكومة الانكليزية (أيام احتلالها للهند)، فساعدوه في نشر دعوته، ثم أعلن أنه (المهدي)، وآمن به جمهور من الهنود على انه (نبي) تابع للشريعة الإسلامية، وتصدى كثير من معاصريه ومن جاء بعدهم للرد عليه وتكفيره. انظر: الأعلام (١/٢٥٦-٢٥٧)، وللشيخ إحسان إلهي ظهير كتاب: القاديانية- دراسات وتحليل.

(٣) انظر: تفسير المنار (١١/٣٥٥).

(٤) انظر: تفسير المنار (١٠/٢١٥).

(٥) انظر في ردود الشيخ على الصوفية: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص٥٥٥-٥٧٦).

المطلب الخامس: ردود المفسرين على بدع الصوفية في القبور والاستغاثة بأصحابها والتبرك بها وغير ذلك

تعد قبور الأولياء والصالحين من أكثر الأمور التي ظهرت فيها البدع والغلو في هذه الأمة وفي غيرها من الأمم، فقد تحول القبر من مكان يوارى فيه الميت إلى مكان مبارك يقصد من كل مكان للدعاء عنده والتبرك به، بل لدعاء صاحبه والاستغاثة به، وما يتبع ذلك من النذر له، والطواف به، وغير ذلك من الأمور البدعية أو الشركية.

وكان أصل هذه البدع والشرك هو الوقوع فيما حذر منه النبي ﷺ بقوله ﷺ: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[١]، فإشراف القبور وبناء المساجد عليها، جعل الناس يلتفتون إليها ويفتتنون بها، فأمر النبي ﷺ بإبعاد هذه القبور عن أماكن العبادة، وقد قال ﷺ في حديث آخر: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) [٢]، "فقد أشار ﷺ إلى أن القبور ليست موضعاً للقراءة شرعاً، فلذلك حض على قراءة القرآن في البيوت ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها".[٣]

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي[٤] قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرا مشرفاً إلا سويته.[٥]

وأما ما يتعلق بقبر النبي ﷺ، فإنه لم يدفن في مسجده، وإنما دفن في حجرته التي كانت بجانب مسجده، وكان يفصل بينهما جدار فيه باب، كان رسول الله ﷺ يخرج منه إلى المسجد، وهذا أمر مقطوع به عند العلماء، ولا خلاف في ذلك بينهم، والصحابة رضي الله عنهم حينما دفنوه ﷺ في حجرته إنما فعلوا ذلك كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجدا.[٦] كما قالت عائشة: "لولا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ح٤٣٥، (٩٥/١)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ح٥٢٩، (٣٧٦/١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ح١٨٦٠، (١٨٨/٢).

(٣) تلخيص أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني (٨٢/١).

(٤) حيان بن حصين، أبو الهياج الأسدي الكوفي، روى عن علي وعمار، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلى: تابعي ثقة. انظر: تاريخ الإسلام (٣٩٧/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٩/٣).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ح٢٢٨٧، (٦١/٣).

(٦) انظر: الرد العلمي على شبهات في العقيدة والتصوف (ص٩١) وما بعدها.

ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجدا"[1] فلولا الخشية من اتخاذ قبر النبي مسجداً لأبرز قبره أي لدفن خارج بيته[2]، ولكنه دفن فيه، وبقي كذلك إلى عهد عبد الملك بن مروان الذي قام بتوسيع المسجد النبوي وإدخال القبر فيه. قال العلامة ابن عبد الهادي: إنما أدخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك[3] بعد موت عامة الصحابة ﷺ الذين كانوا بالمدينة، وكان من آخرهم موتاً جابر بن عبد الله ﷺ وهو توفي في خلافة عبد الملك، فإنه توفي سنة ثمان وسبعين، والوليد تولى سنة ست وثمانين وتوفي سنة ست وتسعين فكان بناء المسجد وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك.[4] وقال الشيخ الألباني: "فلا يجوز لمسلم بعد أن عرف هذه الحقيقة أن يحتج بما وقع بعد الصحابة ﷺ لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة وما فهم الصحابة والأئمة منها كما سبق بيانه، وهو مخالف أيضا لصنيع عمر وعثمان –رضي الله عنهما– حين وسعا المسجد ولم يدخلا القبر فيه، ولهذا نقطع بخطأ ما فعله الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه ولئن كان مضطراً إلى توسيع المسجد فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة الشريفة وقد أشار عمر بن الخطاب إلى هذا النوع من الخطأ حين قام هو ﷺ بتوسيع المسجد من الجهات الأخرى، ولم يتعرض للحجرة...[5]

ولما رأى العلماء ومنهم المفسرون ما انتهى إليه الحال من رواج هذه البدع على كثير من المسلمين، قاموا بواجب التبليغ عليهم في تبيين الحق في هذه الأمور، وتصحيح العقائد، وكشف الشبهات، وحماية جناب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

وفي هذا المطلب يعرض الباحث لردود بعض المفسرين– والذين هم أهل القرآن والعلماء به– على هذا الشر العظيم الذي اجتاح أكثر بلاد المسلمين. فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، ح ١٣٩٠، (١٠٢/٢)، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ح١٢١٢، (٦٧/٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٠٠/٣).

(٣) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس، (٤٨ – ٩٦هـ)،: من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولي بعد وفاة أبيه (سنة ٨٦ هـ) فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد. وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين، وكان ولوعا بالبناء والعمران، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام. انظر: الأعلام (١٢١/٨).

(٤) الصارم المُنْكِي في الرد على السبكي، ابن عبد الهادي الحنبلي (ص١٥١).

(٥) انظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، الألباني (ص٦٥) وما بعدها. ولقد فصل الألباني في هذا الكتاب في هذا الموضوع.

وهذا المطلب يأتي أيضاً لبيان تأثر المفسرين بقضايا التصوف، ومناقشتها في تفاسيرهم. كما يتبين به دور المفسر في الدعوة إلى الله من خلال تفسيره. وتقرير الحجة على الطوائف المنحرفة من خلال القرآن الكريم.

١. الفخر الرازي (٦٠٦هـ):

قال عند قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:١٨]: "ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله".[١]

٢. شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ):

وهو من أكثر العلماء الذين ردوا على البدع، ووضحوا العقيدة الصحيحة. قال رحمه الله واصفاً قبور الأنبياء والصحابة: علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات وغير ذلك، وأنه لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم لا مسجدا ولا مشهدا، ولم يكن على عهده ﷺ في الإسلام مشهد مبين على قبر، وكذلك على عهد خلفائه الراشدين لم يكن على عهدهم مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره لا على قبر إبراهيم الخليل ولا على غيره.. [٢] ثم تكلم بكلام طويل في الموضوع.[٣]

٣. الإمام أبو حيان (الأندلسي) (٧٤٥هـ):

في تفسيره لسورة التكاثر، قال رحمه الله: كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور، ثم قال: (فزوروها)[٤] أمر إباحة للاتعاظ بها لا لمعنى المباهاة والتفاخر. قال ابن عطية: كما يصنع

---

(١) مفاتيح الغيب (٤٩/١٧).

(٢) انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (١٥٠/٢)

(٣) انظر: المصدر السابق (١٥٠/٢-١٦٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهى عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث....، ح٥٢٢٨، (٨٢/٦).

الناس في ملازمتها وتسليمها بالحجارة والرخام، وتلوينها شرفاً، وابن عطية لم ير إلا قبور أهل الأندلس، فكيف لو رأى ما تباهى به أهل مصر في مدافنهم، وما يضيع فيها من الأموال، لرأى ما لم يخطر ببال، وأما التباهي بالزيارة، ففي هؤلاء المنتمين إلى التصوف أقوام ليس لهم شغل إلا زيارة القبور. زرت قبر سيدي فلان بكذا ... فيذكرون أقاليم طافوها على قدم التجريد، وقد حفظوا حكايات عن أصحاب تلك القبور وأولئك المشايخ بحيث لو كتبت لجاءت أسفاراً، وهم مع ذلك لا يعرفون فروض الوضوء ولا سننه، وقد سخر لهم الملوك وعوام الناس في تحسين الظن بهم وبذل أموالهم لهم. وأما من شذ منهم لأن يتكلم للعامة فيأتي بعجائب، يقولون هذا فتح، هذا من العلم اللدني علم الخضر، حتى أن من ينتمي إلى العلم لما رأى رواج هذه الطائفة سلك مسلكهم ونقل كثيراً من حكاياتهم ومزج ذلك بيسير من العلم طلباً للمال والجاه وتقبيل اليد، ونحن نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لطاعته. (١)

٤. العلامة محمد بن علي الشوكاني (اليمني) (١٢٥٠هـ):

اجتهد الشوكاني في الرد على هذه البدع والشركيات، وله في ذلك كتابٌ: أسماه: "شرح الصدور بتحريم رفع القبور"، وأيضاً في تفسيره كانت له ردود كثيرة في هذا الموضوع.

فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قال الشوكاني: في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحدا من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها، والتقريع والتوبيخ له ما لا مزيد عليه، وفيه من الدفع في صدور عبَّاد القبور، والصد في وجوههم، والفت في أعضادهم، ما لا يقادر قدره، ولا يبلغ مداه...(٢)

وأيضاً عند قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[يونس:٤٩]،قال الشوكاني: أي: لا أقدر على جلب نفع لها ولا دفع ضر عنها، فكيف أقدر على أن أملك ذلك لغيري... فكيف أقدر على أن أملك لنفسي ضرا أو نفعا. وفي هذه أعظم واعظ، وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه المناداة لرسول الله ﷺ، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه، فإن هذا مقام رب العالمين الذي خلق الأنبياء، والصالحين، وجميع المخلوقين، ورزقهم، وأحياهم، ويميتهم، فكيف يطلب من نبي من الأنبياء، أو ملك من الملائكة، أو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه، غير قادر عليه، ويترك الطلب من رب

---

(١) انظر: البحر المحيط (٥٠٥/٨-٥٠٦).

(٢) انظر: فتح القدير (٣١٢/١). ونقله عنه محمد صديق خان في تفسيره: فتحُ البيان في مقاصد القرآن(٩١/٢).

الأرباب القادر على كل شيء، الخالق، الرزاق، المعطي، المانع؟ وحسبك بما في هذه الآية موعظة، فإن هذا سيد ولد آدم، وخاتم الرسل، يأمره الله بأن يقول لعباده: (لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا)، فكيف يملكه لغيره، وكيف يملكه غيره- من رتبته دون رتبته ومنزلته لا تبلغ إلى منزلته- لنفسه فضلا عن أن يملكه لغيره، فيا عجباً لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى، ويطلبون منهم من الحوائج ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل؟ كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك، ولا يتنبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى: لا إله إلا الله، ومدلول: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:١]، وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا ينكرون عليهم، ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأولى؛ بل إلى ما هو أشد منها، فإن أولئك يعترفون بأن الله سبحانه هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، الضار، النافع، وإنما يجعلون أصنامهم شفعاء لهم عند الله ومقربين لهم إليه، وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضر والنفع، وينادونهم تارة على الاستقلال، وتارة مع ذي الجلال. وكفاك من شر سماعه، والله ناصر دينه ومطهر شريعته من أوضار الشرك وأدناس الكفر، ولقد توسل الشيطان، أخزاه الله، بهذه الذريعة إلى ما تقر به عينه وينثلج به صدره من كفر كثير من هذه الأمة المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، -إنا لله وإنا إليه راجعون-.(١)

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، قال ﷺ: أي وما يصدق ويقر أكثر الناس بالله من كونه الخالق الرزاق المحيي المميت إلا وهم مشركون بالله يعبدون معه غيره كما كانت تفعله الجاهلية، فإنهم مقرون بالله سبحانه وبأنه الخالق لهم، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزُّخرف:٨٧]، لكنهم كانوا يثبتون له شركاء فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمر:٣]، ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، المعتقدون في الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه كما يفعله كثير من عبَّاد القبور، ولا ينافي هذا ما قيل من أن الآية نزلت في قوم مخصوصين، فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ لا بما يفيده السبب من الاختصاص بمن كان سبباً لنزول الحكم. (٢)

---

(١) انظر: فتح القدير (٢/٥١١-٥١٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣/٧٠-٧١).

٥. شهاب الدين الألوسي (العراقي) (١٢٧٠هـ):

نجد الألوسي –ومع نزعته الصوفية– يشعر بالغضب الشديد من أفعال بعض المتصوفة كالاستغاثة بغير الله، والتبرك بالقبور وغير ذلك من أفعالهم. فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ*ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[النحل:٥٣-٥٤]، قال رحمه الله مبيناً الحال الذي وصل إليه بعض الصوفية جراء الغلو في الصالحين وقبورهم: وفى الآية ما يدل على أن صنيع العوام اليوم من الجؤار إلى غير اللّه تعالى ممن لا يملك لهم بل ولا لنفسه نفعا ولا ضرا – عند إصابة الضر بهم، وإعراضهم عن دعائه تعالى بالكلية – سفه عظيم وضلال جديد، لكنه أشد من الضلال القديم، ومما تقشعرّ منه الجلود، لحصوله ممن يؤمن باليوم الموعود. إن بعض المتشيخين قال لي وأنا صغير: إياك ثم إياك أن تستغيث باللّه إذا خطب دهاك، فإن اللّه تعالى لا يعجّل في إغاثتك، ولا يهمه سوء حالتك، وعليك بالاستغاثة بالأولياء السالفين، فإنهم يعجّلون في تفريج كربك، ويهمهم سوء ما حل بك، فمجّ ذلك سمعي، وهمى دمعي، وسألت اللّه تعالى أن يعصمني والمسلمين من أمثال هذا الضلال المبين، ولكثير من المتشيخين اليوم كلمات مثل ذلك. (١)

وقال أيضاً: إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل يا سيدي فلان أغثني وليس ذلك من التوسل المباح في شيء، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك، وأن لا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركاً، وأن لا يُكنِّه فهو قريب منه، ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى، وإلا لما دعاه ولا فتح فاه، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم. فالحزم والتجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوى الغنى الفعال لما يريد. (٢)

ثم قال: أصحاب القبور هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه في الجنان عن الالتفات إلى ما في هذا العالم، وبين شقي ألهاه عذابه وحبسه في النيران عن إجابة مناديه... ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته وتنجح طلبته؛ فان ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل، وقد يتمثل الشيطان للمستغيث في صورة الذي استغاث به، فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به

(١) انظر: روح المعاني (١٤/١٦٦)، ونقله عنه المراغي في تفسيره (١٤/٩٣-٩٤).

(٢) روح المعاني (٦/١٢٨).

هيهات هيهات، إنما هو شيطان أضله وأغواه، وزين له هواه، وذلك كما يتكلم الشيطان في الأصنام ليضل عبدتها. (١)

وعند قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]، قال الألوسي: واستدل بالآية على جواز البناء على قبور الصلحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة في ذلك وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي وهو قول باطل عاطل فاسد كاسد ... ثم بين الألوسي الأدلة على بطلان هذا القول، إلى أن قال: وبالجملة لا ينبغي لمن له أدنى رشد أن يذهب إلى خلاف ما نطقت به الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة معولاً على الاستدلال بهذه الآية، فإن ذلك في الغواية غاية، وقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها، وتعليق القناديل عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، واستلامها، والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة، إلى غير ذلك محتجاً بهذه الآية الكريمة وبما جاء في بعض روايات القصة من جعل الملك لهم في كل سنة عيداً، وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله عز وجل، ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله في قبره عليه الصلاة و السلام وهو أفضل قبر على وجه الأرض. (٢)

٦. جمال الدين القاسمي(١٣٣٢هـ):

العلامة القاسمي من العلماء الذين لهم جهودهم في تقرير العقيدة الصحيحة، والدفاع عنها وبيان ما يضادها. ونلحظ في تفسيره خير مثال على ذلك.

ومن أهم قضايا العقيدة التي يدندن حولها رحمه الله: توحيد العبادة لله وحده. وإفراده تعالى بها، ولذلك كان رحمه الله كثيراً ما يهاجم كل ما اتخذه الناس نداً -سواء كان قبراً أو غيره- من دون الله فصرفوا له شيئاً من العبادة.

فمثلاً عند قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]، قال القاسمي: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أي: من المتنازعين، وهم أرباب الغلبة ونفوذ الكلمة: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾أي : نصلي فيه، تبركا بهم وبمكانهم. ثم قال: تنبيه: قال ابن كثير: حكي في

---

(١) انظر: روح المعاني (١٢٩/٦).

(٢) انظر: روح المعاني (٢٣٧/١٥-٢٣٩).

القائلين ذلك قولان: أحدهما: أنهم المسلمون منهم، والثاني: أنهم المشركون. والظاهر أنهم هم أصحاب النفوذ. ولكن هل هم محمودون أم لا ؟ فيه نظر. لأن النبي ﷺ قال: (لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) يحذر ما صنعوا. [١]

ثم عقب القاسمي قائلاً: وعجيب من تردده في كونهم غير محمودين، مع إيراده الحديث الصحيح بعده، المسجل بلعن فاعل ذلك. وهو أعظم ما عنون به على الغضب الإلهي والمقت الرباني. والسبب في ذلك أن البناء على قبر النبي والولي مدعاة للإقبال عليه والتضرع إليه. ففيه فتح لباب الشرك وتوسل إليه بأقرب وسيلة. وهل أصل عبادة الأصنام إلا ذلك؟... [٢]
ثم ذكر كلاماً طويلاً في الموضوع. وللقاسمي ردود كثيرة أخرى على بدع الصوفية في القبور وما يتعلق بها مبثوثة في تفسيره.

٧. العلامة محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ):

الشيخ رضا له ردوده الكثيرة في هذا الموضوع، ولطالما كان يدندن في تفسيره فيه وفي أبعاده المختلفة على واقع الأمة، فكم ضيعت الأمة من الأوقات والأموال في هذه القبور وبنائها والتمسح بها. وكم أفسدت عقائد كثير من المسلمين بسبب الغلو في هذا الأمر.

يقول رحمه الله: وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الأوثان التي كانت في قوم نوح– ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر –: أنها كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت. [٣] ومعنى قول إبليس وحيه ووسوسته. وكانت العبادة لهم توسلاً بهم واستشفاعاً وتقرباً إلى الله وذبائح تذبح لهم منذورة أو غير منذورة، وطوافا بتماثيلهم ونحو ذلك مما يفعل الآن كثير من أهل الكتاب ومن اتبع سننهم من المسلمين شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فإن المسلمين لا يتخذون للأنبياء والصالحين صورا ولا تماثيل يعظمونها ويطوفون بها ويذبحون عندها، وإنما استبدلوا القبور المشيدة وما يضعونه عليها بالتماثيل.

قال: وقد تساهل بعض مقلدة الفقهاء في إنكار هذه الأعمال؛ بل قالوا أقوالاً جرأت الناس على استحسان هذه البدع كقول بعضهم: إن قبور الصالحين تزار للتبرك بها. وإجازة بعضهم

---

(١) تقدم تخريجه ص١٦٠ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي (٧/١٦-١٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق)، ح ٤٩٢٠، (٦/١٦٠).

تشريفها بالبناء وكسوتها كالكعبة واتخاذها مساجد خلافاً للأحاديث الصحيحة، وتشريعا شركيا لترويج الشرك، ... وهكذا فعل النصارى بصور الأنبياء والصالحين وما زال بعضهم إلى الآن يقولون: إنهم لا يعبدون هذه الصور التي يتخذونها في كنائسهم؛ بل يريدون بوضعها فيها تذكر أصحابها للاقتداء بهم، وتعظيمهم بالتبرك بهذه الذكرى، ولا أزال أذكر كلمة راهب قالها لي في كنيسة دخلتها لأجل التفرج والاختبار وكنت غلاماً يافعاً، وكان ذلك الراهب يخبرني أنا ومن معي بما في الكنيسة وبأسماء أصحاب الصور التي في جدرها، وقد قال غير مرة إنهم لا يعبدونها ولكنها (تذكار)، وكان يكرر كلمة (تذكار)، ولعله كان يجهل كما يجهل كثير من المسلمين حقيقة معنى العبادة، فيظن أن تعظيم تلك الصور ووضعها في الكنائس ودعاءها ونداءها والنذر لها والتوسل والاستشفاع بها إلى الله، لا يسمى عبادة لها ولأصحابها، وأما مشركو العرب في زمن البعثة فلم يكونوا يجهلون أن هذا كله يسمى عبادة؛ لأن اللغة لغتهم، ولم يكن لهم عرف ديني مخصص لعموم العبادة اللغوي ولا باعث على التأويل أو التحريف، فكانوا يصرحون بأنهم يعبدون أصنامهم ويسمونها آلهة؛ لأن الإله هو المعبود وإن لم يكن رباً خالقاً، ويقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس:١٨، ويسمونهم أولياء أيضاً ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمر:٣] الآية . وقد فعل أهل الكتاب ومن اتبع سننهم من المسلمين مثل ذلك ولكن سموه توسلاً وأنكروا تسميته عبادة، والتسمية لا تغير الحقائق، وكذلك تغيير المعبودات من البشر والملائكة، وما يذكر بها من صورة وتمثال أو قبر أو تابوت، فكل تعظيم ديني لهذه الأشياء أو الأشخاص بما ذكر أو غيره مما لم يرد به شرع عبادة لها وإشراك مع الله عز وجل من حيث ذاته، ومن حيث كونه شرعاً لم يأذن به الله. [(١)]

٨. العلامة أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ):

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣]، قال المراغي: وفى ذلك إيماء إلى أنه لا ينبغي أن نوجه وجوهنا شطر قبور الأولياء والصالحين، ونشد الرحال إلى من بَعُدَ منهم ونتقرب إليهم بالنذور ونطوف بهم كما يطوف الحاج بيت الله الحرام، داعين متضرعين خاشعين نطلب منهم ما عجزنا عنه بكسبنا من دفع ضر أو جلب نفع، وكيف نتذكر هذه الآيات وأمثالها التي تجعل العبادة خاصة به تعالى وما الدعاء إلا

---

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم (١٢٨/٨-١٢٩). وللمؤلف ردود أخرى كثيرة حول هذا الموضوع منثورة في تفسيره: انظر: مثلاً: المصدر السابق (٣٢٢/١١، ٤٠٠)، (٢٠٣/١٢-٢٠٤).

مخ العبادة وروحها، ولكن أكثر العلماء وجمهرة الناس يتأولون هذه العبادة ويسمونها توسلا واستشفاعا، والأسماء لا تغير من قيمة الحقائق شيئا، فذلك بعينه هو ما كان يدّعيه المشركون وأهل الكتاب ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمر:٣].(١)

٩. العلامة محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ):

في تفسيره لسورة الحجرات تعرض الشنقيطي لهذه المسألة وفصل فيها أتم تفصيل، يقول رحمه الله: من أهم المسائل، اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته، التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه كحق النبي ﷺ ليضع كل شيء في موضعه، على ضوء ما جاء به النبي ﷺ في هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

ثم قال: وإذا عرفت ذلك فاعلم أن من هذه الحقوق الخاصة بالله تعالى: التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدر على كشفها إلا الله، وقد بين – جل وعلا – في آيات كثيرة من كتابه أن التجاء المضطر من عباده إليه وحده في أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى. ومن أصرح ذلك الآيات التي في سورة النمل، أعني قوله تعالى: ﴿قُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٥٩] إلى قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:٦٤]، فإنه – جل وعلا – بين خصائص ربوبيته الدالة على أنه المعبود وحده، فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠]، فهذه المذكورات التي هي خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السماء....من خصائص ربوبية الله؛ ولذا قال تعالى بعدها: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ يقدر على خلق السماوات والأرض، والجواب لا؛ لأنه لا إله إلا الله وحده.

قال: ثم قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١] فهذه المذكورات أيضا، من خصائص ربوبيته – جل وعلا – ولذا قال بعد ذكرها أإله مع الله ؟ والجواب: لا.

والاعتراف لله بأن هذه الأمور من خصائص ربوبيته – جل وعلا – هو الحق، وهو من طاعة الله ورسوله، ومن تعظيم الله وتعظيم رسوله بالاقتداء به ﷺ في تعظيم الله.

---

(١) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (٦٤/١١).

ثم قال تعالى وهو محل الشاهد: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢] فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعا، وكشف السوء.... من خصائص ربوبيته – جل وعلا – ولذا قال بعدها ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ مع قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ تعلم أن إجابة المضطرين إذا التجئوا ودعوا وكشف السوء عن المكروبين، لا فرق في كونه من خصائص الربوبية بينه وبين خلق السماوات والأرض، ....لأنه – جل وعلا – ذكر الجميع بنسق واحد في سياق واحد، وأتبع جميعه بقوله: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾. فلا فرق البتة بين تلك المذكورات في كونها كلها من خصائص الربوبية. ثم قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣]، فهذه المذكورات من خصائص ربوبيته – جل وعلا. ولذا قال تعالى : أإله مع الله ، ثم نزه – جل وعلا – نفسه عن أن يكون معه إله يستحق شيئا مما ذكر فقال – جل وعلا : ﴿تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾..... [1]

ثم قال: واعلم أن الكفار في زمن النبي ﷺ كانوا يعلمون علماً يقينا أن ما ذكر من إجابة المضطر وكشف السوء عن المكروب، من خصائص الربوبية وكانوا إذا دهمتهم الكروب، كإحاطة الأمواج بهم في البحر، في وقت العواصف يخلصون الدعاء لله وحده، لعلمهم أن كشف ذلك من خصائصه فإذا أنجاهم من الكرب رجعوا إلى الإشراك. وقد بين الله جل وعلا هذا في آيات من كتابه....وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧] ....وقد قدمنا هناك أن بعض المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالا من هؤلاء الكفار المذكورين؛ لأنهم في وقت الشدائد يلجئون لغير الله طالبين منه ما يطلب المؤمنون من الله، وبما ذكر تعلم أن ما انتشر في أقطار الدنيا من الالتجاء في أوقات الكروب والشدائد إلى غير الله – جل وعلا – كما يفعلون ذلك قرب قبر النبي ﷺ وعند قبور من يعتقدون فيهم الصلاح زاعمين أن ذلك من دين الله ومحبة الرسول ﷺ وتعظيمه ومحبة الصالحين، كله من أعظم الباطل، وهو انتهاك لحرمات الله وحرمات رسوله....ومعلوم أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر بذلك هو ولا أحد من أصحابه، وهو ممنوع في شريعة كل نبي من الأنبياء ، والله – جل وعلا – يقول: ﴿مَا

(١) انظر: أضواء البيان (٤٠٤/٧) وما بعدها.

كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩] .... [(١)]

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء العلماء من كبار المفسرين ممن ذكر الباحث، بل هناك غيرهم كثير[(٢)]، تحدثوا عن بدع الصوفية في القبور وردوا عليها، وكلهم بذل جهده في تحذير الأمة من هذه الضلالات والشركيات التي انتشرت في الأمة، وهذا يبين لنا دور أهل التفسير في نشر السنة ومحاربة البدع، وكيف لا وقد آتاهم الله فضل الاشتغال بكتابه وتعلمه وتعليمه.

كما تبين للباحث أن المفسرين لا يفرقون بين ما يفعله المسلمون اليوم عند قبورهم، وبين ما كان يفعله المشركون عند أصنامهم، فكله شرك في العبادة، على أنه ليس كل من ارتكب كفراً يكون كافراً.

تم بحمد الله وتوفيقه.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٤٠٨/٧) وما بعدها، وقد فصل المؤلف في هذا الموضوع في موضع آخر: انظر: المصدر السابق (٣٠١/٢) وما بعدها.

(٢) منهم ابن عاشور (١٣٩٣هـ) وقال: "…. وكان بناء المساجد على القبور سنة لأهل النصرانية، فإن كان شرعاً لهم فقد نسخه الإسلام، وإن كان بدعة منهم في دينهم فأجدر". انظر: التحرير والتنوير (٢٩٠/١٥)، وسيد طنطاوي ونقل من كلام الألوسي، انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٤٩٤/٨)، وأبو بكر الجزائري، انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري (٥٩٢/١)، (٢٠٨/٣-٢٠٩)، وأيضاً: التفسير القرآني للقرآن (١٠٨٧/٣- ١٠٩٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على سيدنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: فهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولاً: أهم نتائج البحث:

١. أثر التصوف تأثيراً كبيراً في الأمة الإسلامية، وحتى على بعض علمائها ومفكريها، على اختلاف في مدى هذا التأثير ونوعه، وقد ظهر ذلك على بعض المفسرين في مدحهم للباس الصوف، ووصفه بأنه لباس الصالحين، وتفضيله على غيره، ومحاولة التدليل على ذلك ببعض آيات القرآن الكريم.

٢. كثر الاختلاف والتنازع في مفهوم التصوف واشتقاقه وتعريفه اختلافاً يصعب معه التوفيق بين الآراء، وقد رجح الباحث اشتقاق التصوف من الصوف.

٣. من الأخطاء الشائعة ربط التصوف بأهل الصفة أو بالزهد، وقد حرف المتصوفة مفهوم الزهد بمعناه الشرعي والذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الغلو فيه والمبالغة في ترك المباحات إلى حد لا يقبله الإسلام بل ويرفضه رفضاً قاطعاً.

٤. مرَ التصوف بعدة مراحل، انتقل فيها من السيئ إلى الأسوأ، وكانت المرحلة الأولى هي أفضل المراحل وأبعدها عن الأخطاء والبدع، وإن لم تخل منها.

٥. التصوف ليس قسماً واحداً، فمنه التصوف السني ويمثله أوائل الصوفية إلى حد كبير، والتصوف البدعي ويمثله الطرق الصوفية، والتصوف الفلسفي وهو المبني على نظريات فلسفية كفرية، كوحدة الوجود، والحلول، وغير ذلك.

٦. التفسير الصوفي ينقسم إلى قسمين: نظري مبني على نظريات فلسفية، وهو ما لا يقبل أبداً، والتفسير الإشاري ويمكن أن يقبل بشروط على اعتبار أنه نوع من الاستنباط من الآية أو القياس عليها وإلحاق النظير بالنظير، لا على أنه معنى الآية، ويختلف التفسير الصوفي المعتدل مع التفسير الباطني في أنه يؤمن بالمعنى الظاهر ويعتبر أنه المراد من الآية.

٧. يستند التفسير الصوفي أساساً إلى تقسيم الصوفية للقرآن إلى ظاهر، وباطن وهو ما وراء النص من إشارات، وهو عندهم من علم الباطن، والذي يختلف عن العلم الظاهر في مصادره ووسائله ومضمونه.

٨. لم تسلم كتب التفسير الإشاري من الوقوع في أخطاء وانحرافات كثيرة، بل شابه بعضها تأويلات الباطنية.
٩. تغلب الأفكار الصوفية على الإشارات المستنبطة في كتب التفسير الإشاري، وهذه الأفكار تختلف في الحكم عليها بحسب موافقتها أو معارضتها للكتاب والسنة.
١٠. ظهر أثر التفسير الصوفي على التفسير من خلال بعض التفاسير التي اعتنت بالتفسير الصوفي وجعلت له ركناً خاصاً به، كما ظهرت بعض الإشارات الصوفية في بعض كتب التفسير الأخرى، وأيضاً ظهر أثر التفسير الإشاري فيما يتعلق بالإسرائيليات من جهة قبولها أو ردها، وأخيراً ظهر أثر التفسير الصوفي الحرفي في إعجاز القرآن، فظهر ما يسمى بالإعجاز العددي أو تأثر به.
١١. أثرت الأفكار الصوفية في تفسير بعض الآيات، وتحريف دلالاتها، وقد تأثر بهذه الأفكار مجموعة من المفسرين، مما أدى بهم في الوقوع في أخطاء في التفسير.
١٢. تأثر بعض المفسرين بالأفكار الصوفية في تفسيرهم القصص القرآني، وظهر ذلك في أقوالهم وترجيحاتهم.
١٣. ظهر بعد المتصوفة عن علم الحديث، بل ظهر من بعضهم التعدي عليه من خلال وضع الحديث، أو تصحيحه عن طريق الكشف، أو دعوى أخذه بواسطة الخضر عن النبيﷺ، وغير ذلك من الأمور التي أدت بهم إلى الوقوع في البدع والانحرافات بسبب اعتمادهم على الروايات الضعيفة والموضوعة، والتي تأثر بها بعض المفسرين، وأوردوها في تفاسيرهم، مما كان له أثره السيئ فيها.
١٤. ظهر الاتجاه الصوفي في مجموعة من كتب التفسير -وخصوصاً المتأخرة منها- في العناية بذكر أقوال المتصوفة وأرائهم في التفسير، ومدحهم، والدفاع عنهم، وأحياناً في موافقتهم على بعض شطحاتهم.
١٥. ظهر الاتجاه النقدي للتصوف في مجموعة من كتب التفسير، في الرد على بدع وأقوال الصوفية، ونقد استدلالهم ببعض الآيات، وبيان مخالفة أحوالهم لنصوص القرآن الكريم. وظهرت أهمية دور المفسرين في محاربة البدع والضلالات وأصحابها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: أهم التوصيات

١. يوصي الباحث الباحثين العمل على تنقية التفسير وبيان الدخيل عليه، من خلال أبحاث ودراسات علمية متخصصة تسلط الضوء على تفاسير معينة وتبين ما فيها من دخيل.

٢. أوصي المفسرين بالاهتمام بمقاومة أهل البدع والرد عليهم وعلى استدلالاتهم المغلوطة ببعض الآيات.

٣. أوصي المفسر بالاهتمام بواقع أمته ومشاكلها، وأن يكون له دوره البارز في دعوتها ونهضتها.

٤. أوصي الباحثين بإفراد ردود المفسرين على البدع والطوائف المنحرفة في كتب مستقلة، وذلك يسهل في نشرها والاستفادة منها.

٥. أوصي باختصار بعض التفاسير القيمة، وذلك بالاقتصار على ما فيها من العلوم الصحيحة، واستثناء كل الشطحات الصوفية التي قد تكون مشينة لهذا التفسير، وإعادة طباعتها تحت عنوان: تهذيب تفسير فلان أو كذا، أو تنقية التفسير كذا، أو زبدة التفسير كذا....الخ.

وأخيراً فإن الله يسر لي إتمام هذه الرسالة على هذا الوجه، فله الحمد وله الشكر أولاً وآخراً، وأسأله تعالى أن يتم نعمته علي فيها، بأن أرى قبولها وفائدتها تعم المسلمين، وأسأله تعالى أن يبارك فيها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يتقبلها منا، إنه سميع الدعاء.

هذا وما كان من توفيق وصواب في هذه الرسالة فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي أو من الشيطان، وأسأل الله أن يثبتنا على دينه حتى نلقاه.

الفهارس

وتشتمل على خمسة فهارس:

١) فهرس الآيات القرآنية.

٢) فهرس الأحاديث.

٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤) فهرس المصادر والمراجع

٥) فهرس الموضوعات.

أولا: فهرس الآيات القرآنية

٢١	مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ	٧٩	١٦٨-١٦٩
٢٢	وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ	٨١	١٠٢
٢٣	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ	١١٠	٨٣
٢٤	بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ	١٢٥	١١
٢٥	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ	١٣٣	٧٢
٢٦	لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ	١٥٣	٢١
٢٧	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	١٨٥	١٠٧
٢٨	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ	١٩٠-١٩١	٧٣
	سورة النساء		
٢٩	وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى	٣٦	٥١
٣٠	فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ	٥٩	٥٠
٣١	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	٦٥	٥٧
٣٢	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ	٨٢	٤١
٣٣	وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ	١١٣	٩٣
	سورة المائدة		
٣٤	وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ	١٨	٦٦
٣٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا	٨٧	٢٥
٣٦	قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ	١١٤	١٣٠
٣٧	رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ	١١٩	١٣٠
	سورة الأنعام		
٣٨	مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ	٣٨	٤٠،٥٢،٥٣

٣٩	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	٥٢	٧
٤٠	اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	١٢٤	٩١
٤١	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ	١٥٣	٣٢
٤٢	وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ	١٥٤	٥٢،٤٠
٤٣	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ	١٦٥	١٢٤
٤٤	قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ	٩١	٧٧
	سورة الأعراف		
٤٥	المص	١	٥٨
٤٦	يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا	٢٦	١٣،١١
٤٧	قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ	٣٢	١٤،١٢
٤٨	قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ	٣٣	٤٧
٤٩	وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا	٥٦	٧٥
٥٠	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ	١٤٥	٥٣
٥١	وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي	١٥٠	١٤٣
٥٢	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي	١٨٧	٦٧
	سورة التوبة		
٥٣	فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ	١٢	٤٥
٥٤	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ	٣١	١٤١
٥٥	وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ	٧٢	٧٣
٥٦	وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ	٩٢	٥
	سورة يونس		
٥٧	إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ	٣	١٦٦
٥٨	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ	١٣-١٤	١٢٤

٥٩	وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ	١٨	١٦٦، ١٦٠
٦٠	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ	٤٩	١٦١
٦١	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ	٦٢-٦٣	١٥١
	سورة النحل		
٦٢	وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا	١٥	٦٢
٦٣	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ	٥٣-٥٤	١٦٣
٦٤	وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ	٨٠	١٠
٦٥	وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ	٨١	١٠
٦٦	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ	٨٩	٥٣
	سورة يوسف		
٦٧	قُرْآنًا عَرَبِيًّا	٢	٥٨
٦٨	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ	٣	١٢٢
٦٩	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ	٢٠	١٩
٧٠	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ	١٠٦	١٦٢
	سورة الإسراء		
٧١	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا	١	٩٩
٧٢	إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا	٣	٩٩
٧٣	وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ	٢٣	٣٦
٧٤	وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ	٦٠	٤٥
٧٥	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ	٦٧	١٦٨
٧٦	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ	٧٠	١٤٤
٧٧	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي	٨٥	١٣٧
٧٨	قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا	٩٣-٩٥	١٢٠
	سورة الكهف		

٧٩	قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا	٢١	١٦٤
٨٠	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ	٢٨	٧،٥
٨١	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا	٦٠	١٤١
٨٢	فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا	٦٥	٩٧،٩٣،٩٢، ٨١
٨٣	هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	٦٦-٧٠	٩٤
٨٤	قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	٧٢	٩٥
٨٥	قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا	٧٣	٩٦
٨٦	قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	٧٥	٩٦
٨٧	قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا	٧٦	٩٦
٨٨	قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا	٧٨	٩٦
٨٩	وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا	٨٢	٩٦،٩٥،٨٣
	سورة مريم		
٩٠	وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا	٥٧	٣٧
	سورة طه		
٩١	أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي	٩٣	١٤٥
	سورة الأنبياء		
٩٢	قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ	٤٥	٩٥
٩٣	فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ	٩٠	٧٢
٩٤	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ	١٠٥	١٢٢
	سورة الفرقان		
٩٥	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا	٦٣	٧٢

٩٦	وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا	٦٥	٧٢،٧٠
٩٧	إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا	١٢	٧١
	سورة الشعراء		
٩٨	وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ	٨٢-٨٧	٧٢
٩٩	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ	٢١٤	١٥٣
	سورة النمل		
١٠٠	قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ	٥٩	١٦٧
١٠١	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	٦٠	١٦٧
١٠٢	أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ	٦١	١٦٧
١٠٣	أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ	٦٢	١٦٨
١٠٤	أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا	٦٣	١٦٨
١٠٥	قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	٦٤	١٦٧
	سورة القصص		
١٠٦	وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ	٣١	٤٤
١٠٧	فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ	٤٠	١٤٩
	سورة الروم		
١٠٨	غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ	٢-٤	٥٤،٤٠
١٠٩	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ	٤١	٥٢
	سورة السجدة		
١١٠	تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا	١٦	٧٠
	سورة الأحزاب		
١١١	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى	٧	١٢١

١١٢	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ	٣٠-٣١	١٥٣(الحاشية)
	سورة فاطر		
١١٣	إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	٢٨	٧١،٧٥
١١٤	وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ	٤٥	١١١
	سورة يس		
١١٥	وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ	١٢	٤٥
	سورة ص		
١١٦	هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣٩	٢٣
١١٧	وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ	٤٠	٢٣
١١٨	ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ	٤٢	١٤٤
	سورة الزمر		
١١٩	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى	٣	١،١٦٦،١٦٧ ٦٢
١٢٠	أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ	٩	٧٠
١٢١	لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ	١٦	٧٢
	سورة الشورى		
١٢٢	وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا	٥١	٣٨
	سورة الزخرف		
١٢٣	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ	٣١-٣٢	٩٣
١٢٤	إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ	٥٩	٩٩
١٢٥	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ	٨٧	١٦٢
	سورة الأحقاف		
١٢٦	قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ	٩	١٣٥
	سورة محمد		

١٢٧	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	٢٤	٤١
	سورة الذاريات		
١٢٨	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	١٢٣،١١٩،١١٨
	سورة القمر		
١٢٩	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا	٩	٩٩
	سورة الرحمن		
١٣٠	رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ	١٧	١٤٠
١٣١	مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ	١٩	٦١
١٣٢	بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ	٢٠	٦١
	سورة الواقعة		
١٣٣	لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ	٧٩	٥٩
	سورة الحديد		
١٣٤	وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ	٢٧	١٤٥
	سورة الحشر		
١٣٥	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ	٧	٧٩،٧٧
	سورة الجمعة		
١٣٦	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ	٢	٨٧
	سورة الطلاق		
١٣٧	اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ	١٢	١١٩
	سورة نوح		
١٣٨	وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا	٢٢	٣٦
١٣٩	وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا	٢٤	١٤٨
١٤٠	مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا	٢٥	١٤٨

	سورة الجن		
١٤١	وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا	٦	١٠٩
١٤٢	عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ	٢٦-٢٧	٩٣
	سورة النازعات		
١٤٣	اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	١٧	٤٥،٤٤
١٤٤	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى	٢٤	١٤٨
١٤٥	فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى	٢٥	١٤٩
	سورة التكوير		
١٤٦	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ	١	١٤١
	سورة النصر		
١٤٧	إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ	١	٤١
١٤٨	فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا	٣	٤١
	سورة المسد		
١٤٩	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ	١	٤٥
	سورة الإخلاص		
١٥٠	قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ	١	١٦٢

ثانياً: فهرس الأحاديث

٢١	إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة	صحيح مسلم	١٣
٢٢	أيُّ اللباسِ كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ ؟ قال: الحِبَرَة	متفق عليه	١٥
٢٣	إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة	سنن أبو داود، صحيح	٧٩
٢٤	أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا	سنن أبو داود، حسن	١٥
٢٥	حديث وجود الدجال الآن	صحيح مسلم	١٠٦
٢٦	حولها ندندن	سنن أبو داود، صحيح	٧٥
٢٧	خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من	صحيح مسلم	١٢٠
٢٨	رأيتُ عَلَى رسول الله ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الحُلَلِ	سنن أبو داود، حسن	٢٠
٢٩	رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى	صحيح مسلم	٩٦
٣٠	رد النبي ﷺ التبتل على عثمان بن مظعون رضي الله عنه	متفق عليه	١٣
٣١	عن عائشة أنها جعلت للنبي ﷺ بُردة من صوف، فلبسها، فلما عَرِق	سنن أبو داود، صحيح	١٥
٣٢	فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجهه	صحيح مسلم	٧٣
٣٣	قالت عائشة: لولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي	صحيح مسلم	١٥٨-١٥٩
٣٤	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	صحيح مسلم	٨٠
٣٥	قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له	صحيح البخاري	٤١
٣٦	كان ﷺ يستعيذ من فتنة الفقر	متفق عليه	٢٣
٣٧	كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور، ثم قال: (فزوروها)	صحيح مسلم	١٦٠
٣٨	كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث	تفسير الثعلبي، موضوع	١٢١
٣٩	كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق	لا أصل له	١١٧
٤٠	كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين	موضوع	١٢١
٤١	كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم	متفق عليه	٩٠
٤٢	لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت	صحيح مسلم	١٥٨
٤٣	لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة.	متفق عليه	٣٨
٤٤	لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل	مسند أحمد، ضعيف	٦٣
٤٥	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم	متفق عليه	١٥٨،١٦٠،

	مساجد		١٦٥
٤٦	لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته	صحيح مسلم	٢٣
٤٧	لما اقترف آدم الخطيئة	المستدرك على الصحيحين، موضوع	١٢٣
٤٨	لما توفي النبي ﷺ وسجي بثوب هتف هاتف من	التمهيد، موضوع	١٠٧
٤٩	لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة	متفق عليه	٨٤
٥٠	لولاك لما خلقت الأفلاك	موضوع.	١٢٣
٥١	ما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه	متفق عليه	٥٥
٥٢	متى كتبت نبيا"؟ قال: وآدم بين الروح والجسد	مسند أحمد، صحيح	١٢٢
٥٣	متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد	سنن الترمذي، صحيح	١٢١
٥٤	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد	متفق عليه	٧٧
٥٥	يا جابر: إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك	باطل	
٥٦	يا حنظلة ساعة وساعة	صحيح مسلم	٢١

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم:

رابعاً: المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية، ط١.

٢. الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات (المتوفى: ١٣٠٤هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد – بغداد.

٣. أحكام القرآن لابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي، ابن العربي(٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعد بن حزم الأندلسي (المتوفى:٤٥٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٥. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦. الأربعون النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى:٦٧٦هـ)، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق وأنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٧. أسرار الحروف وحساب الجمل عرض ونقد، طارق بن سعيد القحطاني، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، ١٤٢٩هـ.

٨. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد أبو شهبة ، مكتبه السنة، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٩. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (المتوفى: ١٢٧٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١١. أصول بلا أصول بحث واف في رد عدوان الصوفية ومدعي المهدية على مصادر التلقي، والمرجعية الشرعية، د. محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٢. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراة من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون دار النشر، ط١، ١٤١٤هـ.
١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٤. إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، الأردن، ١٩٩١م.
١٥. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٦. الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وأثارها، د.عبد الرحمن بن صالح الدهش، رسالة دكتوراة مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤ م.
١٧. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
١٨. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن عجيبة، تقديم ومراجعة:محمد أحمد حسب الله، دار المعارف.
١٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، تحقيق: أحمد عبد الله قرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.
٢٠. البداية والنهاية، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م.
٢١. بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.
٢٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت.
٢٣. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.
٢٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢٥. تاريخ ابن خلدون أو ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

٢٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٧. التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، المعروف بابن القيم الجوزية، دار الفكر.

٢٨. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤.

٢٩. التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ويليه تنبيهات مهمة لبعض العلماء، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، ط٢، ١٤١٠هـ.

٣٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م .

٣١. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)، ابن السبكي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ)، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

٣٢. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٣. تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، ط١، ١٣٤٣هـ.

٣٤. التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٥. التصوف، ماسنيون ومصطفى عبد الرازق، من كتب دائرة المعارف الإسلامية ١٦، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٣٦. التعرف لمذهب التصوف، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (٣٨٠ هـ)، ضبطه وعلق عليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٣٧. تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي ود.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٩. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى:٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٠. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم،(ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م).

٤١. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى:١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٤٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

٤٣. التفسير القرآني للقرآن، د.عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٤. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

٤٥. التفسير الواضح الميسر، محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٨، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٨م.

٤٦. تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي.

٤٧. التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧ ،٢٠٠٠م.

٤٨. تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى٥٩٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤٩. تلخيص أحكام الجنائز، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط٣، مكتبة المعارف.

٥٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى، مؤسسة القرطبه.

٥١. تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني، ط٢، مكتبة دار اليقين للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٥٢. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، نور الدين، علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني (المتوفى: ٩٦٣هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٥٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠ م.

٥٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م .

٥٥. جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى:٧٢٨هـ)، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥٦. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٧. جامع المسائل لابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ)، تحقيق: حمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٨. جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٠. جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، أبو البركات خير الدين نعمان بن محمد أفندي الألوسي البغدادي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٦١. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٦٢. الجنيد بن محمد وآراؤه العقدية والصوفية عرض ومناقشة، نوال عبد السلام فلاتة، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٩هـ.
٦٣. الحاوي للفتاوى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م.
٦٤. حقائق التفسير أو تفسير السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق سيد عمران، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٦٥. خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة، د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لنيل درجة الماجستير، ونوقشت وأجيزت في عام ١٤١٥هـ.
٦٦. الخضر بين الواقع والتهويل، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ، محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، والدار الشاميّة، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٦٧. الدر المنثور في التأويل بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى : ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن تركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية، د. عبد الله حسن يمامة، ط١، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٦٨. دراسات في التصوف والفلسفة والإسلامية، د. صالح الرقب ود. محمود الشوبكي، مكتبة بيت المقدس، فلسطين، خانيونس، ط٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٦٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد/ الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٧٠. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي

(المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٧١. الرد العلمي على شبهات في العقيدة والتصوف، إبراهيم أبو شادي، دار الإتقان، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٧٢. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٧٣. الرد على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان

٧٤. الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، ط٢، ١٤١٥هـ.

٧٥. الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق كل من: د.عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٧٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى:١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٧. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٧٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٧٩. الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس، تحقيق: حماد سلامة ود.محمد عويضة، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.

٨٠. الزهر النضر في حال الخضر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة أهل الأثر ومكتبة غراس، الكويت، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٨١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ط١، ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م.

٨٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢ م.
٨٣. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
٨٤. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٨٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٨٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
٨٧. شرح الأربعين النووية، صالح بن عبد العزيز آل شيخ، تحقيق وعناية: عاطف بن محمد مرسي رفاعي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٨٨. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
٨٩. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤١٩هـ.
٩٠. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (٢٣٩هـ/٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٩١. شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.

٩٢. الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى : ٧٤٤هـ) تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، قدم له: مقبل بن هادي الوادعي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٩٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى:٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٩٤. صحيح البخاري، واسمه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ .

٩٥. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٩٦. صحيح مسلم، واسمه: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة . بيروت.

٩٧. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري ود.محمد رواس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٩٨. الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمد صبحي حسن الحلاق، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٩٩. الصوفية .. نشأتها وتطورها، تأليف: محمد العبده وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، الكويت، ط٢.

١٠٠. الصوفية في نظر الإسلام " دراسة وتحليل"، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٠١. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٠٢. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٠٣. طبقات الشافعية . لابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٠٤. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى:٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٠٥. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

١٠٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.

١٠٧. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد بن عبد العزيز القصير، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠٨. العلاقة بين التشيع والتصوف، فلاح إسماعيل أحمد، رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١١هـ.

١٠٩. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م.

١١٠. علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د.عدنان زرزور، دار الأعلام، الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥ م.

١١١. عوارف المعارف، أبو حفص عمر بن محمد السهروردي (**٦٣٢هـ**)، المكتبة العلامية، القاهرة، مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

١١٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.

١١٣. فتاوى ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١١٤. الفتاوى الحديثية، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، دار الفكر.

١١٥. الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى:٨٥٢ هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١١٧. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت،١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

١١٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١١٩. الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بين عربي (المتوفى٦٣٨هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، مصر.

١٢٠. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٢١. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٢٢. فصوص الحكم، محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي (المتوفى: ٦٣٨هـ)، علق عليه د. أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢٣. فضائح الباطنية، محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

١٢٤. فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الكويت، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٢٥. فقه التصوف لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، أبو العباس، حققه: زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي.

١٢٦. الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه، أحمد عرفات القاضي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

١٢٧. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٣، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

١٢٨. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة،محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٩. قتلى القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: د. ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٣٠. قضية التصوف..المنقذ من الضلال، د.عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط٥.

١٣١. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م.

١٣٢. القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، أبو عبد الله محمد الحمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ.

١٣٣. الكافي، أبى جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (٣٢٨هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري. ونهض بمشروعه الشيخ محمد الإخوندى، دار الكتب الإسلامية، مرتضى آخوندى تهران، بازار سلطاني، ط٣، (١٣٨٨هـ). تنسيق وتدقيق وفهرسة إلكترونية: مرآة التواريخ.

١٣٤. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٣٥. كشف المحجوب للهجويري، دراسة وترجمة وتعليق: دكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل، راجعه: د. أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الإسكندرية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٣٦. الكشف والبيان أو تفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٣٧. اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م.

١٣٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٣٩. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ /١٩٩٨م.
١٤٠. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة .
١٤١. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٤٢. اللمع، أبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م.
١٤٣. مباحث في علوم القرآن، د.مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧.
١٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة،١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.
١٤٥. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م.
١٤٦. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.
١٤٨. محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، خالد بن فوزي بن عبد الحميد آل حمزة، دار علماء السلف، الإسكندرية، مصر، ط٢، ١٤١٥هـ.
١٤٩. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٥٠. مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م.
١٥١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٥٢. المستدرك على الصحيحين،أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
١٥٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٥٤. المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر و حمزة الزين، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٥٥. مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، الناشر: عباس أحمد الباز – مكة المكرمة.
١٥٦. مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وآثرها السيئ على الأمة الإسلامية، أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد وشركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٥٧. معالم التنزيل، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٥٨. المعجم الصوفي، محمود عبد الرازق الرضواني، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية دار العلوم جامعة القاهرة، المصدر: موقع الشيخ الرضواني.
١٥٩. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٦١. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
١٦٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٦٣. معراج التشوف إلى حقائق التصوف، عبد الله أحمد بن عجيبة (**١٢٢٤هـ**)، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.

١٦٤. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٦٥. المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مؤسسة الرسالة.

١٦٦. من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، المستشار: عبد الله العقيل، تقديم: مصطفى مشهور وآخرون، دار البشير، ط٩، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٦٧. المنار المنيف في الصحيح والضعيف أو نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٦٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ،١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

١٦٩. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، وهو مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، طبع على نفقة بعض المحسنين تحت إشراف الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية، ١٤١٣هـ.

١٧٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٧١. منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٧٢. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٧٣. موسى والخضر علما الظاهر والباطن، د. محمود المراكبي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط٢، رقم الإيداع: ٣٠١٠/١٩٩٦م.

١٧٤. الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب

المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١، جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ /١٩٦٦ م، جـ٣: ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.

١٧٥. الموضوعات، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (المتوفى: ٦٥٠هـ)، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث – دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٧٦. موقف الإسلام من الإلهام و الكشف و الرؤى و من التمائم و الكهانه و الرقي، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٧٧. موقف المستشرقين من دراسة الفرق (الصوفية) عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة "، د. لطيفة بنت عبد العزيز المعيوف، رسالة دكتوراه مقدم إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٨هـ.

١٧٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق :علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣م.

١٧٩. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٨١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

١٨٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٨٣. هواتف الجنان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد الزغلي، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م.

١٨٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، ج٢، ج٣، ج٦، ط١٩٠٠م، ج٤، ط١، ١٩٧١م، ج٥، ج٧، ط١، ١٩٩٤م.

المجلات والأبحاث والمواقع الإلكترونية:

١٨٥. الأحاديث الموضوعة عند الصوفية وأثرها على الأمة، أ.يوسف علي فرحات، بحث ألقي في مؤتمر بعنوان: "خطر الروايات الواهية على الإسلام" في الجامعة الإسلامية، غزة، ٧ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، الموافق 10/5/٢٠١١م.

١٨٦. الإعجاز العددي في القرآن الكريم دراسة نقدية تأصيلية، د. صالح صواب، بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر: إعجاز القرآن الكريم، كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن.

١٨٧. الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، ج١٤، العدد الثاني، (ص٧٥-١٢٨)، ٢٠٠٦م.

١٨٨. مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ٢٠٠٢م، (ص٤٢٨-٣٥٥).

١٨٩. مجلة الجندي المسلم، العدد ٨٧، ربيع الأول سنة ١٤١٨هـ.

١٩٠. مجلة المنار، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) وغيره، مصر.

١٩١. شبكة الألوكة**http://www.alukah.net/Sharia/0/31801/**

خامسا: فهرس الموضوعات:

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذه رسالة ماجستير بعنوان: (أثر الفكر الصوفي في التفسير دراسة ونقد) تناول فيها الباحث أثر الفكر الصوفي في التفسير، وأثر النزعة الصوفية على المفسرين وأرائهم وأقوالهم.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما التمهيد: فقد تناول فيه الباحث التعريف بالتصوف لغة واصطلاحا، واشتقاقه، وعلاقته بالزهد، وأهم مراحله، وأقسامه.

وأما الفصل الأول: فقد تناول فيه الباحث التفسير الصوفي وتعريفه، وأقسامه، وأدلته، وحكمه، والفرق بينه وبين التفسير الباطني، وعلاقته بقضية الظاهر والباطن، وأهم الضوابط والقواعد للتعامل معه، وأثره على التفسير.

وأما الفصل الثاني: فقد تناول فيه الباحث أثر الأفكار الصوفية على التفسير، وذكر لذلك عدة أمثلة، منها: أثر المفهوم الصوفي الخاطئ للعبادة على التفسير، وأيضاً: أثر الأذكار المبتدعة عند الصوفية على كتب التفسير، وأيضاً: أثر الأفكار الصوفية في تفسير القصص القرآني، ومثل له بقصة موسى والخضر عليهما السلام، وأخيراً عقد مبحثاً لأثر الأحاديث الصوفية في كتب التفسير، وذكر لذلك عدة أمثلة.

وأما الفصل الثالث: فقد تناول فيه الباحث اختلاف مواقف المفسرين من التصوف، وعرض لذلك اتجاهين مختلفين، الأول: الاتجاه الصوفي المؤيد، ومثل له بالرازي والألوسي والشعراوي من المفسرين، والثاني: الاتجاه النقدي للتصوف، ومثل له بالقرطبي وأبو حيان والبقاعي ومحمد رشيد رضا، وختم ذلك بردود المفسرين على بدع القبور وما يتعلق بها.

وأما الخاتمة: فقد استعرض فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، والتوصيات النابعة من الدراسة.

Abstract

Praise be to allah alone, and peace and blessings be no prophet after him, but after:
This Master's thesis entitled: (impact of Sufi thought in the study and interpretation of criticism) to address the impact of Sufi thought researcher in interpretation, and the impact of the trend Sufi commentators and their opinions and their words.
The search came in the introduction, preface and three chapters and an epilogue.
As provided: in which the researcher has dealt with the importance of the topic and selected emitters, and research objectives and the methodology of the researcher, and the previous studies and research plan.
introduction: researcher has dealt with the definition of Sufism and idiomatically language, and derived, and its relationship to the asceticism, and the most important stages, and its divisions.
The first chapter: it dealt with the researcher interpretation mystic, definition, and its divisions, and its evidence, and judgment, and the difference between him and the esoteric exegesis, and its relationship to the issue visible and the invisible, the most important controls and rules to deal with it, and its impact on the interpretation.
The second chapter: it dealt with the researcher impact ideas mystical interpretation, and said so several examples, including: the impact of the concept mystic wrong to worship on interpretation, and also: the impact of prescribed innovated when mystical books of interpretation, and also: the impact of ideas of Sufism in the interpretation of Quranic stories, and like him the story of Moses and vegetables ^, and finally held Mbgesa the impact of Sufism in conversations written explanation, and said so several examples.
The third chapter: it dealt with the researcher different positions commentators of mysticism, and display it two different directions, first: the trend mystic pro, and like him Balraza and Alusi and Hubert of commentators, and the second: the trend cash of Sufism, and like him Balcrdoba and Abu Hayyan and Biqai and Muhammad Rashid Rida, and seal commentators on responses Bida graves and related.
The conclusion: the researcher reviewed the key findings, and recommendations stemming from the study.